

ألف يوم ويوم

طاهر أبو فاشا

الجزء الثاني

ألف يوم ويوم

طاهر أبو فاشا

الجزء الثانى

مكتبة مدبولى

- ٢ -

زعفـران وعطرشان

وتعود بنا الرواية .. إلى أصل الحكاية .

ومن باب التذكير .. وحتى نلتقي في التفكير .. نشير إلى أصل هذه الاساطير .. فقد مربنا أن الأميرة ياسمين بنت الملك طومان .. كانت قد خرجت لصيد الغزلان .. ورأينا ما صدر عن الغزالة وما صدر عن الغزال عندما وقع كل منهما فى الحبال .. ورأينا كيف تخلى الذكر عن أنثاه .. بعد أن سهلت له سبيل النجاة .. وردّت إليه الحياة .

ورأينا كيف تعكر صفو الأميرة .. وداخلتها أفكار مثيرة .. وقالت إن ما صدر عن الغزالة والغزال .. هو مجرد رمز أو مثال .. لغدر الرجال .. ويا من تأمنين الماء فى الغربال .

وقرنت الأقوال .. بالأفعال . فأضربت عن الزواج .. ورفضت كل احتجاج .. وردّت جميع الخُطاب .. وأغلقت فى وجوههم الباب .. وهم من خيرة الشباب .

ورأينا كيف شعر أبوها بالاحراج .. وكيف ثار وهاج .. وأراد ان يكرهها على الزواج .

ورأينا كيف تدخَّلَتْ مربيتُها جلفدان .. بينها وبين السلطان .. وقالت له إن الزواج .. امتزاج .. وإن الإكراه .. يأباه الله .. ولا يرضاه .. وكشفت له الحقيقة .. ورسمت له طريقه . فقد تسلطت على الأميرة فكرة .. وليس علاجها أن تكره .. إذ لا يقاوم الأفكار .. إلا الافكار .. وطلبت مهلة لتؤثر فى نفسى الأميرة .. بحكاياها الكثيرة .. والمثيرة .. حتى تتخلص الأميرة من عقدة الغزالة والغزال .. وتُحسن رأيها فى جنس الرجال .. وتصبح فى أحسن حال .

واقتنع السلطان بفكرتها وبدات هى فى تنفيذ خطتها .. فتسللت الى نفس الأميرة .. وحكت لها هذه الحكاية المثيرة .. وضربت لها المثال .. على وفاء الرجال بما وقع للأمير معزوز .. مع حبيبته عزوز .. وكيف حفظ عهدها .. وبقى على حبه لها .. حتى بعد أن فقدت جمالها .

وظنت جلفدان أنها بعد هذه الحكاية التى حكتها .. وتلك الرواية التى نمقتها قد أثرت فى نفس الأميرة وأقنعتها .. ولكن آمالها خابت .. وجاءت حكايتها بعكس ما أرادت ..

ونحن الآن .. مع الأميرة بنت السلطان .. ومربيتها جلفدان .. فى البستان.

* * *

ياسمين : (وبعد أن سمعت قصة معزوز وعزوز) هيه . وماذا بعد يا جلفدان؟

جلفدان : (فى لطف) وماعسى أن يكون بعد يا بنت السلطان ؟ تزوج الحبيبان .. وصفا لهما الزمان .. وعاشا فى التبات والنبات .. حتى أخلفا صبياناً وبنات .. وراحت حكايتهما مثلًا للوفاءوإنكار الذات . .

ياسمين : أما أنها قصة عجيبة .

جلفدان : (بلهجة الإثارة) وحوادثها الغريبة .

ياسمين : إننى يا خالتى .. لم أنم طول ليلتى .

جلفدان : وفيم ذاك يا أميرتى ؟

ياسمين : أرقتنى حكايتك وسهرت مع أحداثها المثيرة .

جلفدان : فماذا رأيت يا أميرة ؟

ياسمين : أشياء كثيرة .

جلفدان : ورأيت وفاء الرجال ؟

ياسمين : بعض الرجال .

جلفدان : هذه هى الحقيقة يا ابنتى .. الناس معادن يا أميرتى .. فيهم المعدن النفيس .. وفيهم المعدن الخسيس .
هذه هى الحقيقة الأزلية .. المسألة - كما ترين - مسألة شخصية وليست قاعدة كلية .

ياسمين : ... ...

جلفدان : هيه . أتسمعين ؟

ياسمين : وأفكر فيما تقولين .

جلفدان : فماذا تقولين ؟

ياسمين : لا أدرى .. أنا لا أدرى .. أنا فى حيرة من أمرى . الشك والظنون والأوهام .

إننى أتخبط فى ظلام .

جلفدان : الشك يا مولاتى مرحلة من مراحل الايمان .

ياسمين : ولكن إلى هذا الحد يا جلفدان .

جلفدان : وأكثر يا بنت السلطان .

ألم تسمعى بما وقع للاميرة عطرشان .. مع حبيبها زعفران .. الذى خاض المجهول ووصل إلى مالم يصل إليه إنسان .

ياسمين : (فى دهشة) يصل الى ما يصل إليه إنسان ؟

جلفدان : فى ذلك الزمان ..

ياسمين : عجباً

جلفدان : (تثير فضولها) .. إنها قصة لو كتبت بالإبر .. على آماق البصر .. لكانت عبرة لمن اعتبر .

ياسمين : (فى شوق وفضول) .. وكيف كان ذلك بالله يا جلفدان ؟

جلفدان : (وهى تجرها الى قصة جديدة) .. كان ذلك يا مولاتى فى بلاد النهروان .. أيام سلطانها العادل الملك كنعان .. ابن كهلان .

وكان لهذا السلطان .. وزير أريب اسمه لقمان .. حكيم الزمان .

وعالم العصر والأوان .. وكان السلطان يقربه اليه .. ويعتمد عليه فقد كان يثق بحكمته .. وبعد نظرته .. الى ما كان يتحلى به من الوفاء .. وصدق الولاء ولهذا كان هذا الوزير .. موضع التقدير .

وعلى الرغم من تقدُّم سنّه .. كان السلطان يجعله على رأس جنده ويصحبه فى رحلات صيده .

فاتفق فى مرة من المرات .. وفى أثناء رحلة من هذه الرحلات .. أن لاح لهما سرب من الظباء .. فانطلقا وراءه فى البيداء .. وظلا يضربان فى العراء .. حتى ابتعدا عن الحياة والأحياء .. وانقطعا عن الاتباع والرفقاء .. وأصبحا تائهين فى هذه البيداء .. ولا زاد معهما ولا ماء .

* * *

وشد السلطان عنان جواده وشد الوزير عنان جواده .. وأقبل السلطان . على وزيره لقمان .

السلطان : لقمان .
لقمان : ماذا جرى يامولاى السلطان .
السلطان : لقد ابتعدنا عن الاتباع والأعوان .
لقمان : أنتظر يامولاى السلطان .
السلطان : ألا نمشى فى هذا الاتجاه .
لقمان : (وهو يشير الى الجهات الأربع) ولماذا لا نمشى فى هذا الاتجاه .. أو فى هذا الاتجاه .. أو فى هذا الاتجاه .
السلطان : آه . مسألة فيها اشتباه .
لقمان : وقد تتوقف عليها الحياة .
(ويشير الوزير الى الافق قائلًا) .. انظر يامولاى .
رمال لاتصل الى مداها الأبصار .. تبتلع القوافل كما تبتلع السفن البحار .
السلطان : إنك تخيفنى يالقمان .
لقمان : ما كان لنا أن ننعزل عن الاتباع والأعوان .
السلطان : دعك مما كان .. قل لى : ماذا نصنع الآن .
لقمان : ليس أمامنا إلا طريقان ..
فاما أن يهتدى الينا أعواننا .. أويلطف الله بنا .. ويرسل الينا من يدلّنا .
السلطان : (فى يأس) .. وأين منا أعواننا .. وقد انقطعنا هنا .. ومن ذا يدلّنا

* * *

جلفدان : وعندئذ يصل إليهما صوت رفيع حاد يقول « أنا » والتفت السلطان .. ووزيره لقمان .. واذا قزم قصير .. له رأس كبير .. ولحية بيضاء تصل الى قدميه .. فأقبل السلطان والوزير عليه .

السلطان : (فى دهشة وقد فوجىء به) .. الله !!
لقمان : (وقد فوجىء به هو الآخر) .. من ؟!
القزم : (بصوته النحاسى الحاد) .. أنا .. هذا أنا .
السلطان : بسم الله الرحمن الرحيم
القزم : (يضحك ضحكة عالية) .. هاهاهاها .

لقمان : (يهمس للملك وهو يشير الى ضآلة جسم القزم ولحيته الطويلة)
أنظر يامولاى السلطان .

السلطان : إنه قزم ضئيل يا لقمان .

لقمان : أنظر يا مولاى الى لحيته .

السلطان : إنها أكبر من جثته .

لقمان : هذا القزم من أين ظهر يا مولاى السلطان .

السلطان : نعم أين كان .

القزم : (يقبل عليهما قائلًا) .. هيه ماذا تقولان ؟

لقمان : (مشيراً الى ضآلة جسمه) نتأمل صنع ربنا .

السلطان : ما الذى أتى بك الى هنا .

القزم : (ضاحكا) .. أنا ؟ هاهاها
(ثم يقبل عليهما قائلًا) .. بل أنتما .. لماذا وكيف جئتما ؟

السلطان : لقد كنا ماشيين .

لقمان : ولا ندرى إلى أين .

القزم : ثم ضللتما ؟

السلطان : هذا ما حدث لنا .

القزم : إذن . فقد وصلتما .

لقمان : هل تستطيع أن تدلنا ؟

السلطان : وتهدينا سبيلنا ؟

القزم : هو ذا طريقكما .. وهذا الباب سبيلكما .

السلطان : باب !

لقمان : أى باب

القزم : (وهو يشير وراءهما) .. هذا .. ولا تسألونى كيف ولا لماذا ؟

* * *

جلفدان : والتفت السلطان والوزير لقمان .. فاذا وراءهما سور من شجر اللبلاب .. له باب .. وأخذهما العجب والذهول .. وأقبل الوزير على السلطان يقول .

لقمان : (فى دهشة) مولاى السلطان .

السلطان : لقمان .

لقمان : ما هذا يا مولاى السلطان

السلطان : سور من شجر اللبلاب .. وله باب .
لقمان : كيف ظهر بحق السماء .
السلطان : لقد كانت الصحراء أمامنا خلاء .
القزم : له فى ذلك حكم .
السلطان : ما معنى كل هذا أيها القزم ؟
القزم : أظنكما تائهين .
لقمان : نعم .
السلطان : نعم .
القزم : من هذا الباب تهتديان الى سبيلكما .. هيا إنزلا عن خيولكما.
السلطان : إننا نريد أن نرجع الى بلادنا .
لقمان : أو نتصل برجالنا .
القزم : ستتصلان وتصلان .. إنزلا أيها التائهان .
السلطان : ولكن الـ .
القزم : (يقاطعه قائلا) .. لا مفر من أن تنزلا .. حتى ترتاحا وتسألا .
السلطان : ومن يمسك خيولنا .
القزم : أنا .. وأنتظرُكما هنا .
السلطان : هيا بنا .

* * *

جلفدان : وترجل السلطان .. وترجل وزيره لقمان .. وأسلما جواديهما لذلك القزم اللّحيان .. الذى دفعهما الى باب البستان .. وحدث مانراه الآن .

السلطان : لقمان .
لقمان : مولاى السلطان .
السلطان : انظر يا وزير .
لقمان : إنه بستان كبير .
السلطان : ألم تكن هذه الصحراء أمامنا خلاء .
لقمان : كانت خالية من الحياة والأحياء .
السلطان : فكيف ظهرت فيها هذه الحديقة الشجراء .
لقمان : (يسلم أمرهلله قائلًا) .. إه . يفعل الله ما يشاء .

السلطان : (فى جو الدهش والحيرة) .. وهذا القزم اللّحْيان .. الذى ظهر لنا وأرشدنا الى هذا البستان !!
أيكون هذا القزم إنسياً مثلنا ؟
لقمان : هذه أمور تفوق عقولنا .
السلطان : (وهو يستعيد صورة القزم) .. قامته القصيرة .. ولحيته الكبيرة . وظهور السور والباب .. فى هذا القفر اليباب .
لقمان : على أى حال نحن فى وضع أحسن الآن .
السلطان : (مستنكراً) .. فى هذه الصحراء يا لقمان ؟
لقمان : بل فى هذا البستان .
على الأقل قد نجونا من العطش والجوع .. وقد نجد من يهدينا فنستطيع الرجوع .
السلطان : (بلهجة الاستغراب) .. ولكن هذا البستان .. ليس فيه انسان .. ولا طائر ولاحيوان .
لقمان : أليس فيه سكان ؟
السلطان : لا يبدو ذلك يا لقمان .
لقمان : (وهو يسرح الطرف فى انحاء الحديقة) .. يا سلام .. تأمّل هذه الحديقة الشجراء .
السلطان : (فى ضيق) .. ولكن لا حياة فيها ولا أحياء .
لقمان : هذا هو العجب العجاب .
السلطان : أليس لهذا البستان أصحاب ؟!
لقمان : فمن الذى أقام هذا السور ورفع هذا الباب ؟
السلطان : وأين هم الآنْ ؟
لقمان : (وهما يمشيان فى البستان) .. نحن نمشى يا مولاى السلطان .. لعلّنا نقف على سر هذا البستان .

* * *

جلفدان : وفى هذه اللحظة وصل الى سمعهما صوت غزالة تجرى وهى تلهث ووراءها حية رقطاء مفزعة .. ووراء الحية ثعبان .. له قرنان .. والتفت السلطان الى لقمان .. والتفت لقمان الى السلطان .. وجعلا يتهامسان .

السلطان : لقمان .
لقمان : مولاى السلطان .
السلطان : أتسمع يا لقمان .
لقمان : أسمع وأرى يا مولاى السلطان .
تعال نختفى وراء هذه الأغصان .
السلطان : (والغزالة تقترب) .. أسرع يا لقمان .
لقمان : (يهمس له من مخبئه) .. انظر يا مولاى السلطان .
السلطان : إنها غزالة تجرى مسرعة .
لقمان : ووراءها هذه الحية المفزعة .
السلطان : وهذا الثعبان الأقرن يالقمان .
لقمان : إنهما يطاردانها .
السلطان : يكادان يدركانها .
لقمان : إنهما يهاجمانها .
السلطان : (وهو يقبض على قوسه) .. قوسك يا لقمان .
لقمان : اضرب يا مولاى السلطان .
السلطان : عندما يقتربان .
لقمان : ها هما يقتربان .
السلطان : (بلهجة الأمر) .. اضرب يالقمان .
لقمان : (وهو يطلق سهمه) .. هه بسم الله .
السلطان : (وهو يطلق سهمه) باسم الله

جلفدان : وأصاب الحية سهم السلطان .. أما الثعبان . فقد أصابه سهم لقمان .. ووقف السلطان ووزيره يتكلمان .. لقد نجت الغزالة من الحية والثعبان .. وتأكد لنا الآن أن البستان فيه سكان .. من عالم الحيوان .
واذا صوت يأتى اليهما وهو يقول فى لطف : أو من عالم الجان .
والتفت السلطان .. ووزيره لقمان .. وإذا صبية ذات جمال .. وقدٌ واعتدال .. وفوجىء السلطان والوزير بها .. فأقبلا عليها يسألانها .

السلطان : (فى دهشة) .. الله !
الوزير : من ؟!

عطرشان	:	(تضحك ضحكة طويلة) ..
السلطان	:	من أنت يا ذات الجمال الفتان .
لقمان	:	وكيف ظهرت فى هذا البستان .
عطرشان	:	أنا الغزالة التى أنقذتماها الآن .
السلطان	:	(فى دهشة) .. الغزالة !
عطرشان	:	واسمى عطرشان .
لقمان	:	عطرشان .
عطرشان	:	الأميرة عطرشان .
السلطان	:	(بلهجة الاستفهام) كأن أباك سلطان ؟
عطرشان	:	إبى هو الملك زعفران .. سلطان الجان .
لقمان	:	جان !
السلطان	:	عجباً يا لقمان .
لقمان	:	وأىّ عجب يا ملك الزمان .
عطرشان	:	(تقبل عليهما قائلةً) .. هيه ؟ ماذا تقولان ؟
السلطان	:	ماذا تقولين أنت يا جميلتى .
عطرشان	:	إنما أعرفكما بشخصيتى .. قبل أن أحكى لكما حكايتى .
السلطان	:	ما حكاية هذه الحية وهذا الثعبان ؟
عطرشان	:	هذه الحية تجرى ورائى من زمان .
لقمان	:	لماذا ؟
عطرشان	:	لأتزوج من هذا الثعبان .
السلطان	:	(وقد داخله شيء من الشك يسألها وفى صوته لون الضحك) .. وتتزوجون الثعابين .
عطرشان	:	(ضاحكة) .. لا . لا . هاهاها . (ثم تقبل عليهما قائلةً) نحن من الجن المؤمنين .. وهؤلاء شياطين .
لقمان	:	(فى دهشة) .. سيدتى : ماذا تقولين .
عطرشان	:	هذا الثعبان هو « عمريط » اللعين .. وقد ظل يطاردنى سنين .. ولهذا لا أخرج إلا فى حماية الحرس والأعوان .. أو متنكرة فى صورة طائر أو حيوان .. وحدث أنى تنكرت اليوم فى صورة غزالة .. وخرجت وحدى على هذه الحالة .. ولكن العجوز الساحرة عرفتنى .. عندما رأتنى وفى الحال تمثلت فى صورة حية .. وتمثل « عمريط » فى صورة افعوان وحصلت المطاردة التى رأيتموها الآن .

السلطان : هاهاها .

عطرشان : ما الذى يضحككا بحق السماء ؟

السلطان : خيالك جميل أيتها الحسناء .

عطرشان : (فى شيء من الانفعال) .. ليس خيالا ما أقول .

لقمان : ولكنه يخرج عن نطاق المعقول .

عطرشان : يعلم الله أننى شرحت لكما ما كان .. كما كان .

السلطان : أتصرين على انك بنت ملك الجان .. وانك أنت الغزالة التى أنقذناها الآن

عطرشان : كأنكما لا تصدقان ؟

لقمان : (بلهجة التهويل) .. بنت ملك الجان !

عطرشان : نعم . أنا بنت ملك الجان .. وسأصحبكما إلى أبى الآن .
إنكما لا تتصورا ما صنعتماه ..لقد قتلتما « عمريط » وكفيتمانا أذاه .
واذا عرف أبى صنيعكما .. فسوف يحسن جزاءكما .

السلطان : سواء كنت من الإنس أو من الجان .. فنحن هنا تائهان .

عطرشان : سأصحبكما إلى أبى الآن .

لقمان : (فى شيء من الانفعال) .. يا سيدتى نحن لا نريد إلا أن ترشيدنا ..
حتى نخرج من هذا التيه .. ونرجع الى أهلينا .

عطرشان : ولا تقابلا أبى ملك الـ .

السلطان : (يقاطعها قائلًا) .. أرجوك أيتها الحسناء .. نحن لا نريد إلا أن نخرج من هذه البيداء .

لقمان : أو نتصل بالأتباع والرفقاء .

عطرشان : (فى لطف) .. هذا شيء بسيط .. فى مقابل قتلكما عمريط ..
(وتقودهما وهى تقول) .. تفضلا .

السلطان : إلى أين ؟

عطرشان : ألستما تائهين .

لقمان : بلى يا سيدتى .

عطرشان : ستخرجان الآن .. من هذا البستان .. فتجدان الشيخ « زازان »

السلطان : زازان ؟!

عطرشان : نعم . ذلك الشيخ اللّحيان .. الذى دلكما على هذا البستان ..
لتنقذانى وتقتلا الحية والثعبان .

لقمان : (يسألها) .. تقصدين القزم ؟

عطرشان : نعم .

ستجدانه فى انتظاركما .. ومعه خيولكما .. وسيقدم لكما .. مكافأتكما .

السلطان : نحن غريقان فى هذه الفلاه .. ولا يطلب الغريق أكثر من النجاه

عطرشان : لكما النجاة .. وقرة عينيكما فى الحياة .
والآن سنفترق ونحن أصحاب .. هذا هو الباب .
(وهى تقودهما الى الباب) .. تفضلا .

* * *

جلفدان : وخرج السلطان .. ووزيره لقمان .. من البستان .. فإذا الشيخ زازان .. ذلك القزم اللحيان .. واقف فى انتظارهما .. وفى يده زمام خيولهما .. فلما رآهما .. أقبل عليهما .. وبدأهما بالكلام .. وهو بادى الاهتمام :

القزم : (صائحا بصوته النحاسى الحاد) .. شكراً شكراً لكما .. لقد وصل جميلكما (ثم يقول بلهجة التهويل) .. أيها الغريبان التهائهان .
ماذا صنعتما فى البستان ؟!
لقد أنقذتما الأميرة عطرشان .. من الحية والأفعوان .
لقد صنعتما ما عجز عنه الجان .. ولكما عندى مكافأن .

السلطان : (يحاول أن يقطع علي هذا الاسترسال فيقول له) .. إسمعْ يا زازان .

القزم : (مستمراً) .. أيكما قتل الحية . وأيكما قتل الثعبان ؟

السلطان : أنا الذى قتلت الحية .

القزم : سترزق بصبية .. وتذوق طعم الذرية .

السلطان : (من قلبه) .. صبية !

القزم : صبية جمالها فتان .. وتسميها عطرشان .. على اسم بنت ملك الجان

لقمان : (يحاول أن يصرفه عن هذا الاسترسال) .. لسنا فى هذا الآن .

القزم : (يسأله) .. وأنت الذى قتل الثعبان ؟

لقمان : (يصطنع معه الحلم فيقول له) .. نعم انا الذى قتلت الثعبان .

القزم : سترزق بغلام .. كبدر التمام .. يكشف الظلام .. وينشر النور والسلام .. وتسميه زعفران .. على اسم ملك الجان .

السلطان : (يحاول أن يقطع هذا الاسترسال) .. دعك من هذا الكلام يا زازان .

القـزم : (بلهجة الاصرار) .. سترزق بصبية جميلة تسميها عطرشان .. ويرزق صاحبك بغلام جميل يسميه زعفران .

السلطان : (فى ضيق) .. لقد أطلت أيها الشيخ اللّحيان .. والآن .

القـزم : (بسرعة) .. الآن تريدان أن تصلا الى بلادكما .. أو تتصلا برجالكما .

لقمان : (فى يأس) .. وأين هم رجالنا .

القـزم : (وهو يشير اليهما) .. ها هم أولاء وراءكما .

* * *

جلفدان : ونظر السلطان .. والوزير لقمان .. الى حيث أشار زازان .. فاذا غبار تحته فرسان .. وهم يسرعون .. ويتصايحون ... يامولانا السلطان .. يا مولانا السلطان .
وقال السلطان : هؤلاء رجالنا يا لقمان .. وعرف لقمان .. صوت قائد الفرسان .. فقال هذا صوت المرزبان .

السلطان : (يلتفت الى ناحية القزم قائلا) .. إنهم رجالنا يا زازان .. أنت الـ .

* * *

جلفدان : ولكنه يقطع كلمته ويصيح فى دهشة أين زازان .. القزم اللحيان ويقول الوزير وهو مدهوش : وأين البستان .. وأين السور اللبلاب .. وأين الباب .. عجباً .
كل شىء اختفى عن الأنظار .. وانجلى الغبار . عن الفرسان يتصايحون وهم مقبلون .. مولانا السلطان .. وتبين الوزير لقمان فى هذه الأصوات صوت مقدم الفرسان .. وهو يتقدم الى السلطان .

الفارس : يا مولانا السلطان .

السلطان : أيها الفارس .

الفارس : لماذا دخلتما وادى الجان ؟

السلطان : أهو ذا وادى الجان ؟

لقمان : واضح واضح يا مولانا السلطان .

السلطان : لقد اتضح كل شيء الآن .

لقمان : (وهو يمسك له بزمام جواده) .. اركب يا مولاى السلطان .

السلطان : أعطهم إشارة المسير يا لقمان .

لقمان : هيا يا فرسان .. الى بلاد النهروان .

جلفدان : وفى الحال .. انطلق الرجال .. وسار الركب .. ومازال على الدرب .. حتى وصلوا بسلام .. وتعاقبت الأيام .

* * *

وهنا قطع الأذان .. رواية جلفدان .. فامسكت عن حكايتها .. وانصرفت الى عبادتها .

وبهذا ينتهى هذا اليوم . من الف يوم ويوم .

* * *

ولما كان اليوم التالى .. على التوالى .. أسرعت الأميرة الى البستان .. وجلست الى مربيتها **جلفدان**..

وتحت فروع الخميلة .. وعلى أنغام الطيور الجميلة .. فتحت **جلفدان** باب الاحلام .. وجعلت تستأنف الكلام .. وتبدؤه بالصلاة والسلام .

* * *

جلفدان : وبعد الصلاة والسلام .. على خير الأنام .. يعود بنا الكلام .. إلى السلطان كنعان .. ووزيره لقمان .. لما عادا من رحلتهما الأخيرة ذات الحوادث المثيرة .. فقد شغلتهما أحداث الزمان .. ونسيا كل ما كان ..

ولكن القدر كان يدخر لهما .. مفاجأة تسرهما .. فقد تحققت نبوءة القزم .. وقسم الله لهما بما قسم .. فرزق السلطان بأميرة كأنها زهرة نضيرة .. وصدرت إرادة السلطان .. فسماها « عطرشان » على اسم الأميرة عطرشان .. التى قابلاها فى البستان .. وأنقذاها من الحية والثعبان .. كما رزق الوزير بغلام .. كأنه ابتسامة على فم الأيام .. وسماه زعفران .. على اسم ملك الجان .. والد الأميرة عطرشان ..

ومرت الأيام .. وتعاقبت الأعوام .. وشب الصغيران .. واذا هما طفلان جميلان ..

وأسلم السلطان .. ابنته عطرشان .. الى كاهن الكهان .. شومان .. ليشرف على تنشئتها .. ويقوم بتعليمها وتربيتها .. بينما أشرف الوزير .. على تعليم ابنه الصغير .

وفى يوم ذات الأيام نزل السلطان .. إلى البستان .. وجعل يمشى من مكان .. الى مكان .. حتى اذا اقترب من الخميلة .. صافحت سمعه أنغام ناى جميلة .. وغضب السلطان كنعان .. فقد أمرهم بإخلاء البستان .. فكيف لا يطيعون أمر السلطان ..

ولكن حلاوة الأنغام .. ذهبت بغضب السلطان .

إنها أنغام شجية .. كأنها نسمة طرية .

يا سلام !

من أين تأتى هذه الأنغام .
ومن هذا العازف الماهر الذى يرسل هذه الالحان .. فيعطر بها جوَّ البستان ؟
لعله فى هذه الخميلة .
نعم هو فى هذه الخميلة .
ودهش السلطان عندما وجد أن هذا العازف القدير .. طفل صغير .. طفل صغير .
هذا شىء مثير .
من أين له بمثل هذه الألحان .. وما الذى جاء به إلى بستان السلطان ؟
وأنتهى الطفل من عزفه فأقبل عليه السلطان قائلا .

السلطان : مرحى مرحى .
زعفران : (الطفل يتفزع قائلا وهو ينهض) .. هيه ياربى .
السلطان : (يستوقفه قائلًا فى لطف) .. لا . لا . انتظر أيها العازف القدير .
زعفران : سيدى .
السلطان : لا تخش بأساً يا صديقى الصغير .
زعفران : أريد أن أذهب الى أبى .
السلطان : (فى لطف) .. أخائف أنت منى ؟
زعفران : أخشى أن يسألوا عنى .
السلطان : طيِّب قل لى .
زعفران : نعم .
السلطان : من علمك هذه الأنغام يا ولدى .
زعفران : علمنى إياها والدى .
السلطان : والدك ؟
زعفران : نعم يا سيدى .
السلطان : كأن أباك من رجال الأنغام ؟
زعفران : يا سلام .. إنه هو نفسه أنغام .
السلطان : هاهاها .
(ثم يقبل عليه قائلًا) هيه وما الذى تعرفه أيضا يا صديقى الصغير .
زعفران : (وقد زالت وحشته) .. إننى أعرف الكثير .
إننى أعرف الكتابة والحساب .. وأحفظ أول الكتاب .. وألعب

الشطرنج . وعندى معلومات .. وأستظهر عشر مقطوعات .

السلطان : (فى غاية السرور) .. ما شاء الله ما شاء الله .

زعفران : آه .

السلطان : ومن علمك كل هذا يا ولدى .

زعفران : ومن يكون غير والدى .

السلطان : كأن أباك من علماء النهروان ؟

زعفران : لا أحد أعلم من أبى إلا السلطان .

السلطان : (يتضاحك قائلا) .. هاها وما اسم ابيك يا .

* * *

جلفدان : ويقطع السلطان كلمته وقد رأى « الأيقونة » معلقة على صدر الطفل .. إنه يعرف هذه الأيقونة فقد قدمها لوزيره لقمان هدية بمناسبة ميلاد ابنه زعفران .. ولهذا أقبل على الطفل قائلا :

السلطان : وما هذه الأيقونة التى تعلقها على صدرك يا ولدى .

زعفران : إنها هدية قدمها السلطان لوالدى .. بمناسبة مولدى .

السلطان : (يفاجئه بذكر اسمه) .. حسن حسن يا زعفران .

زعفران : (فى دهشة) .. كيف عرفت اسمى .. من أين لك يا عمى ؟

السلطان : من هذه الأيقونة التى على صدرك .

زعفران : (وهو يتهيأ للانصراف) .. آ . طيب عن اذنك .

السلطان : إننى معجب بقولك .. كما أننى معجب بفنك .. وكنت أريد أن تزيدنى من عزفك .

زعفران : لقد تأخرت عن أبى وأمى .. واسمح لى يا عمى .

السلطان : (فى لطف) لن أؤخرك عنهما .. سلم لى عليهما .

زعفران : الا تذكر اسمك يا سيدى .. حتى أبلغه والدى .

السلطان : إذا ذكرت له ما دار بينك وبينى .. فسوف يعرف اسمى .

زعفران : (ينصرف قائلا) .. شكراً .. شكراً يا عمى .

* * *

جلفدان : وضحك لقمان . والسلطان يحدثه عما جرى فى البستان .. مع

ابنه زعفران .. وظلا يضحكان .. إلى أن قال لقمان .

لقمان : (ولايزال فى صوته لون الضحك) .. أخشى يامولاى ألا يكون قد أحسن الكلام .

السلطان : (مسروراً) .. بل أحسن فى الكلام .. كما أحسن فى الأنغام .

لقمان : عندما حدثنى بما جرى فى البستان .. أدركت أنه كان فى حضرتك يا مولاى السلطان .

السلطان : ولكنه لم يعرفنى يا لقمان .

لقمان : هل تأذن لى أن أقدمه اليك الآن .

السلطان : يسرنى ذلك يا لقمان .

جلفدان : ونادى الوزير لقمان .. على عبده مرجان .. وأمره أن يحضر زعفران .. وراح السلطان ووزيره يتكلمان .

السلطان : (فى دهشة) .. فى مثل هذه السن الصغيرة يا لقمان .. كيف استطعت أن تعلمه هذه الألحان .

لقمان : انت تعلم أن الناى .. هوايتنا القديمة يا مولاى .

السلطان : لقد أدهشنى عزفه يالقمان .

لقمان : (فى لطف) .. لعلها عين الرضا يا مولاى السلطان .

* * *

جلفدان : وفى هذه اللحظة يسمع طرق خفيف على الباب .. ويدخل زعفران .. فيتقدم الى أبيه قائلًا : هل أرسلت إلىَّ يا أبى .. ولكنه يتراجع وقد رأى السلطان وهو لا يعرفه فيتجه الى أبيه قائلًا :

زعفران : السيد الذى قابلنى فى البستان .. والذى حدثتك عنه قبل الآن .

لقمان : زعفران .. حى مولانا السلطان .

زعفران : (وقد فوجىء) .. السلطان !

السلطان : (ضحكة رضا خفيفة)

زعفران : حفظ الله مولانا السلطان .

السلطان : (فى لطف) .. لا عليك يا زعفران .
زعفران : مولاى .
السلطان : هل معك الناى.
زعفران : (يرتبك ويتردد فى الكلام) .. الـ .. الناى .
لقمان : أليس الناى معك .
زعفران : لماذا ؟
السلطان : أريد أن أسمعك .
لقمان : اذا كان الناى معك .
زعفران : لم أكن أعرف مولانا السلطان .. ونحن فى البستان .. أما الآن .. فهل أستطيع أن ألعب بالناى .. أمام مولاى .
السلطان : (يضحك مسروراً ويقول له) .. طيب نعفيك من هذا يا زعفران .. أخرج أنت الآن .

* * *

جلفدان : وانفرد السلطان .. ووزيره لقمان .. فراحا يضحكان .. وقال لقمان .

لقمان : لعلك راض عنه يا ملك الزمان .
السلطان : إسمع يا لقمان .
لقمان : (فى فضول) .. نعم .
السلطان : أتعرف لماذا جئت اليك الآن ؟
لقمان : علم ذلك عند الله يا مولاى .
السلطان : الذى جاء بى إليك هو هذا الناى .
عندما قابلت زعفران .. فى البستان .. أدهشنى أنه يجيد عزف هذه الألحان .. فى مثل سنه الصغيرة يا لقمان ..
وكما أدهشنى صناعته .. سرتنى نجابته .
لقمان : (يتضاحك سرورا وهو يقول) .. إنه يا مولاى يعرف طرفا من الكتابة والحساب .. ويحفظ أول الكتاب .. ويعرف بعض حيل الشطرنج الخفية .. وأعلمه الركوب والفروسية .
السلطان : كيف . ولماذا وهو صبى صغير ؟

لقمان : لتكون الفروسية فى دمه وهو كبير .
السلطان : (مقتنعاً) .. حقا يا وزير .
كل هذا جعلنى أفكر فى ابنتى عطرشان .. ولى رجاء عندك يا لقمان
لقمان : أنت تأمر يا مولاى السلطان .
السلطان : كما تقوم بتعليم زعفران . تقوم بتعليم عطرشان .
لقمان : (وقد فوجىء بهذا الطلب) .. مولاى .
السلطان : هيه . ماذا تقول يا لقمان ؟
لقمان : ألا يقوم بتعليمها كاهن الكهان شومان .
السلطان : بلى .. ولكن بعد ما رأيت ما رأيت .. وسمعت ماسمعت .. أريدك أنت .. فماذا تقول يا وزير .
لقمان : هذا يا مولاى شرف كبير .
(ثم يستدرك قائلًا فى تردد) .. ولكنى . وقد تقدمت سنى .. فانى
السلطان : (يقاطعه قائلًا) .. تريد أن تهرب منى ؟
لقمان : أوه . كلا يا ملك الزمان .. ولكنى أخشى أن يغضب الكاهن شومان .
السلطان : تخاف من غضب شومان ؟
لقمان : أخشى أن يعتبرها اهانة .. ويسرها فى نفسه يا مولانا .
السلطان : (بلهجة حاسمة) .. لقمان .
لقمان : عفوك يا ملك الزمان .
السلطان : لا أسمع منك هذا الكلام يا لقمان .. ولابد أن تنفذ ما آمرك به الآن
لقمان : أهى المشورة يا مولاى أم هو الأمر ؟
السلطان : بلى هو الأمر .. ولابد من تنفيذه على الفور .
لقمان : خلاص .. لك السمع والطاعة .
السلطان : فى الوقت والساعة .
لقمان : (بلهجة الإيجاب) .. فى الوقت والساعة .

* * *

جلفدان : كانت بلاد النهروان . فى هذه الأيام .. تشهد بداية أحداثها الجسام .. التى زلزلت ركنها .. وزعزعت أمنها .. فقد نزل بعض قبائل الغجر . فى جبل البرتقال .. والغجر لا وطن لهم ولا أمان

فبدأوا يطردون السكان .. ويضايقون والى السلطان .. الأمير عدنان ...
ولهذا أرسل الأمير عدنان .. الى السلطان .. بكتاب عاجل .. مع الحمام الزاجل .. فلما قرأه السلطان .. أمرنا نعقد الديوان . وعرض عليه كتاب الأمير عدنان .

السلطان : لقد دعوتكم الآن .. وأمرت بعقد الديوان .. بسبب كتاب عاجل . جاءنى مع الحمام الزاجل .

لقمان : ممن يا مولاى السلطان ؟

السلطان : من ابن عمى الأمير عدنان .
(ثم يقول بلهجة الأمر) .. يا كبير الحجاب .. اقرأ الكتاب .

الحاجب : (بلهجة القراءة) .. من الأمير عدنان .. إلى مولانا السلطان .. كنعان .. إننى يا مولاى أحكم باسمك فى جبل البرتقال .. والناس هنا يعيشون فى أحسن حال ..
ولكن جماعة من الغجر .. وعلى رأسهم كاهنتهم أم العبر .. التى تلعب بالبيضة والحجر .. ألقوا فى بلادنا عصا الترحال .. وطلبوا أن نسمح لهم بالعيش معنا فى جبل البرتقال .. فرأيت قبل أن أعطيهم كلمة ألأمان .. أن أرجع اليكم يا مولاى السلطان .

السلطان : (يسكت الحاجب عن القراءة) .. كفى يا حاجب الحجاب ..
(ثم يقبل على الديوان قائلًا) .. هذا هو مضمون الكتاب ..
رأيت قبل أن أرسل الجواب .. أن أستعين بكم .. وأستنير برأيكم .
ولهذا جمعتكم .. فما قولكم ؟

لقمان : (فى مرارة) .. الغجر يا ملك الزمان .

السلطان : نعم يا لقمان .. ماذا تقول الآن .

لقمان : أقول إن هؤلاء النفر .. من الغجر .. لا يعرفون الاستقرار .. ولا وطن لهم ولا ديار ..
وإنى لأخشى اذا نحن سمحنا لهم .. أن يجمعوا أرجالهم .. ويتخذوا من جبل البرتقال وطنا لهم – عندئذ أخشى أن يطردوا أهل البلاد . ويشردوهم فى كل واد .

شومان : (يتدخل قائلًا) .. أتسمح لى يا ملك الزمان .

السلطان : تكلم أيها الكاهن شومان .

شومان : لقد بالغ الوزير يا مولاى السلطان .

لقمان : أنا لم أقل غير الـ .

شومان : (يقاطعه قائلًا) لا . أرجو أن تمكنني من الكلام .
لقمان : إنهم أنذال لئام .. واذا نزلوا بلادنا فسيرحل عنها السلام .
شومان : أولى بسيدى الوزير أن يتكلم .. بقدر ما يعلم .
لقمان : (منفعلا) .. الغجر .. حثالة البشر .. ووجودهم فى بلادنا خطر
شومان : أنا لا أ رى خطراً فى حفنة من الغجر شردهم الزمان .. فلجأوا إلى مولانا السلطان .. ليستظلوا بعدله .. ويعيشوا فى ظله .
لقمان : لنفرضْ أنهم .. كما يحلو لك أن تصفهم .. فلماذا نسمح لهم ؟
شومان : (فى إصرار) .. ولماذا لا نسمح لهم ؟
لقمان : (بلهجة التحدى) .. أيها الكاهن شومان .
شومان : (بلهجة التحدى) .. أيها الوزير لقمان .
لقمان : أنا لا أدرى الـ .
السلطان : (يقاطعهما قائلا) .. كفى كفى .
لقمان : معذرة يا مولاى السلطان .
السلطان : أنا الآن .. أمامى اتجاهان .. وسأتوسط بين الاتجاهين .. وأجمع بين الرأيين .
(ثم يصدر حكمه قائلًا) .. يسمح لهم بالبقاء فى جبل البرتقال .. على ألّا يملكوا فيه أرضا بأية حال .
لقمان : لكن يا مو ..
السلطان : (يقاطعه قائلا) .. قد حكمت .
شومان : وأنصفت .. وعدلت .
لقمان : (مستسلماً) .. أمر مولاى .
السلطان : يكتب بهذا للأمير عدنان .
(ثم ينهض وهو يقول) .. والآن يرفع الديوان .

* * *

جلفدان : وصدع الوزير لقمان .. بأمر السلطان .. وكتب الى الأمير عدنان .. ليسمح لهم .. ان يعيشوا بينهم .. على ألا يملكوا أرضا بأى حال .. فى جبل البرتقال .. وهكذا جمع السلطان .. بين رأى الكاهن شومان .. ورأى وزيره لقمان .

* * *

وهنا قطع الأذان .. رواية جلفدان .. فامسكت عن حكايتها .. وانصرفت الى عبادتها .

وبهذا ينتهى هذا اليوم . من الف يوم ويوم .

ولما كان اليوم التالى .. على التوالى .. أسرعت الأميرة الى البستان .. وجلست الى مربيتها **جلفدان** .

وتحت فروع الخميلة .. وعلى أنغام الطيور الجميلة .. فتحت **جلفدان** باب الاحلام .. وجعلت تستأنف الكلام .. وتبدؤه بالصلاة والسلام .

* * *

جلفدان : **وبعد الصلاة والسلام .. على خير الأنام .. يعود بنا الكلام .. إلى السلطان كنعان .. لما عهد بابنته الأميرة عطرشان .. إلى وزيره لقمان .. حكيم الزمان .. وعالم العصر والأوان .. لينشئها مع ابنه زعفران ..**

وقد كان .. وهكذا نشأت عطرشان .. مع زعفران .. وتفتح القلبان .. الصغيران .. وما شاء الله كان .. فهما يقرآن .. ويكتبان .. وهما يركبان .. ويلعبان .. ويمرحان .. وكأنهما طائران .. طليقان ..

وفى كل صباح مع شروق الشمس .. وقبل موعد الدرس .. ينطلق زعفران .. الى البستان .. ويجلس فى نفس المكان .. الذى فيه يلتقيان .. ويخرج الناى ويرسل أعذب الألحان .

وتسمعها عطرشان .. فتسرع إليه .. وتقبل عليه .

عطرشان : (وهى تتقدم اليه) زعفران .

زعفران : (يمسك عن العزف ويستقبلها قائلا) عطرشان .

عطرشان : لا لا استمر يا زعفران .. لا تقطع هذه الألحان .

زعفران : ألا أقول صباح الخير يا بنت السلطان ؟

عطرشان : أنت تقولها بهذه الألحان .

زعفران : حقا .

عطرشان : يخيل إلى أنك تحيينى بها .. ولكنى لا أستطيع أن أرد عليك بمثلها .

زعفران : غدا تتعلمينها .

عطرشان : كم انا فرحة يا زعفران .

زعفران : لماذا يا بنت السلطان .

عطرشان : لأننى عند الكاهن شومان .. كنت لا أسمع هذه الألحان .

زعفران : فقط ؟
عطرشان : وكنت لا ألعب معك يا زعفران .
زعفران : ما أجمل الدنيا يا عطرشان .
عطرشان : ومع هذا فأنا غاضبة منك .
زعفران : وأنا أيضا غاضب منك .
عطرشان : ولما تغضب منى ؟
زعفران : لأنك غاضبة منى .
الاثنان : (يضحكان) .
زعفران : كيف يكون بيننا خصام .. مع وجود الناى والأنغام .
عطرشان : (فى شىء من التأثر) ولكنك لا تريد أن تعلمنى العزف على الناى .
زعفران : (بلهجة الاستنكار) .. أنا ؟!
(ثم يقدم لها الناى قائلا) .. هذا هو الناى أقدمه اليك .
عطرشان : بحياتى عليك .
زعفران : تمسكينه هكذا بيديك .
عطرشان : (وهى تمسك به كما قال) .. هه . أهذا هو المطلوب .
زعفران : وأصابعك فوق هذه الثقوب .
عطرشان : كذا .
زعفران : أتحبين الناى يا بنت السلطان ؟
عطرشان : أكثر مما تتصور يا زعفران .
زعفران : حسناً . سأهدى إليك ناياً ليس له مثيل .
عطرشان : (فى فرح) شىء جميل .
زعفران : (بلهجة السؤال) .. وتقبلينه منى ؟
عطرشان : (بلهجة الايجاب) .. ونلعب ونغنى .
وردشان : (الوصيفة قادمة عليهما) .. مولاتى الأميرة عطرشان .
عطرشان : ماذا تريدين يا وردشان ؟
وردشان : لقد تأخرتما فى البستان .. وأرسلنى إليكما سيدى لقمان .
عطرشان : طيب أسبقينا أنت الآن .
زعفران : نحن وراءك آتيان .
عطرشان : (فى شىء من القلق) .. زعفران .
زعفران : ما بك يا بنت السلطان ؟
عطرشان : لم أكتب الشعر الذى أعطاه لنا عمى لقمان .
زعفران : إلى الآن ؟

عطرشان : ماذا أصنع يا زعفران ؟
زعفران : ولماذا لم تقولى ؟
عطرشان : أكنت تكتبه لى .
زعفران : (وهو يأخذ بيدها) .. نعم تعالى يا بنت السلطان .
عطرشان : (وهى تنهض معه) .. تعال يا زعفران .

* * *

جلفدان : وكان الغجر فى جبل البرتقال .. يرسلون عيونهم الى عاصمة النهروان .. ليأتوهم بأخبار السلطان .. فلما عرفوا موقف الكاهن شومان .. وكيف عارض الوزير لقمان .. وسهل لهم الإقامة فى جبل البرتقال .. أرادت أم العبر .. كاهنة الغجر .. أن تصطنع هذا الكاهن شومان .. فأرسلت اليه صرة مال .. حملها خادمها « كاهين » من جبل البرتقال .. وذهب الى معبد النهروان .. ودخل على الكاهن شومان ..

كاهين : (وهو يتقدم إليه) .. سيدى كاهن الكهان شومان .
شومان : نعم أنا شومان .
كاهين : (وهو يكب على يديه ورجليه) .. دعنى يا سيدى أقبل يديك
شومان : (فى دهشة) .. الله الله الله .
كاهين : دعنى أقبل رجليك .
شومان : لا لا يا ولدى استغفر الله .
كاهين : كيف نشكر لك صنيعك .. كيف نرد لك جميلك .
لقد أنقذتنا من التشرد فى كل واد .. والتطفل على مختلف البلاد .
شومان : أنا ؟
كاهين : لولاك لأخذ السلطانُ .. برأى وزيره لقمان .. وأرسل إلى واليه عدنان . ليجرد علينا الجنود والرجال .. ليطردونا من جبل البرتقال .
شومان : (وقد عرفه) .. آ .. أأنتم الغجر .
كاهين : نعم يا سيدى نحن الغجر .. الذين أبعدت عنهم الضرر .. وقد أرسلتنى كاهنتنا أم العبر .. لأقدم اليك هذه الصرر .

(وهو يقدم له صرر المال) .. تفضل .. خذ .

شومان : ما هذا يا هذا ؟

كاهين : انها هدية صغيرة .. ولكنها تعبر عن معانى كبيرة .

شومان : بل هى شيء كثير .. هذا مال وفير .

كاهين : إنها مجرد تعبير .. عن الشكر والتقدير .

شومان : أنت ما اسمك يا ..

كاهين : أنا خادمك الأمين .. واسمى كاهين .

شومان : (يهمس له) .. اسمع يا كاهين .

كاهين : خادمك الأمين .

شومان : هل رآك أى انسان .. وأنت تدخل علىّ الآن .

كاهين : كلا يا سيدى .

شومان : حسن يا كاهين .. فإنى أخشىء ألسنة المتقولين .

كاهين : وما عساهم يقولون .. أولئك المتقولون .

شومان : أخشى أن يقولوا إننى قبضت الثمن .. وأقطعتكم قطعة من أرض الوطن . والله يعلم أننى ما وقفت الى جانبكم .. حبا فى سواد أعينكم .. فأنا أعرف تاريخكم .. وأعرف أنه لا أمان لكم .

كاهين : إذن فلماذا أيّدت وجودنا فى جبل البرتقال .

شومان : آ . هذا هو السؤال .

(ثم يقبل عليه قائلًا) .. فعلت هذا معارضة للوزير لقمان .. ونكاية فى السلطان .

لقد وجه الىّ لطمة كبيرة .. حين أنتزع منى تربية الأميرة .

كاهين : (بلهجة التهويل) .. ينتزعها من كاهن الكهان ؟

شومان : ويسندها إلى وزيره لقمان .

كاهين : يا للمهانة

شومان : أليست هذه إهانة .

كاهين : وكيف يسمح بهذا مولانا .

شومان : إنك ياولدى لا تعرف أسرار القصور.. إنك لا تعرف كيف تدبر الأمور .. ولا كيف تدور .

الأميرة عطرشان .. يقوم بتربيتها لقمان .. ولما كانت الأميرة وحيدة أبويها .. فسوف يؤول الملك إليها . وعندئذ يكون لمربيها الهيمنة عليها .

أتعرف ما هى الهيمنة ؟

إنها الملك والسلطنة .
لقد أعلنها لقمان حربا عليّ .. ولن يفلت من يديّ .

كاهين : البادى أظلم يا سيدى .

شومان : لن يفلت لقمان من يدى .

كاهين : (يتهيأ للانصراف) .. طيب أستأذن أنا الآن .

شومان : لا .. لا أريد أن يشعر بوجودك هنا أى إنسان .. ولهذا سأخفيك فى هذا المكان .. حتى يجنْ الظلام .. وتتسلل من هنا بسلام .

كاهين : ولكن الـ .

شومان : (يقاطعه) .. انتهى الكلام .

* * *

جلفدان : وعاد كاهين متأخراً إلى جبل البرتقال .. واستقبلته الكاهنة« أم العبر » أسوأ استقبال.

أم العبر : (ثائرة) .. كاهين .. ما الذى أخرك يا لعين .

كاهين : أعرف أنك كنت تنتظرين .. وقد جئتك بالخبر اليقين .

أم العبر : قابلت الكاهن شومان ؟

كاهين : وأخّرنى عنده إلى الآن .

أم العبر : والأموال التى أرسلناها إليه .

كاهين : اختطفها بيديه .. وضمها إليه .. وهو لا يصدق عينيه .

أم العبر : (ضاحكة) .. آ . لقد وقع الكاهن الأكبر .

كاهين : انتظرى فان هناك ما هو أخطر .

أم العبر : مادام قد قبل المال .. فقد مال .. وسنستولى على جبل البرتقال .

كاهين : إنك لا تعرفين ماذا قال .

أم العبر : وماذا قال ؟

كاهين : الكاهن شومان .. يحقد على السلطان .. ووزيره لقمان .

أم العبر : لماذا ؟

كاهين : إنها حكاية تستوقف النظر .. يا أم العبر .

أم العبر : (فى فضول) .. نعم .

كاهين : الكاهن شومان .. كان يقوم بتعليم الأميرة عطرشان .. بنت السلطان

ولأن الأميرة وحيدة أبويها .. فسوف يؤول الملك إليها .. وعندئذ يكون للكاهن السيطرة عليها .. ولا يبعد أن ينتزع الملك من يديها .
ولكن السلطان .. عزل شومان .. وأسند تربيتها إلى وزيره لقمان .

أم العبر : ولهذا السبب يحقد عليهما .

كاهين : وقد يسوقه هذا إلى خيانتهما .

أم العبر : (مسرورة) .. حسن لقد وجدنا دافعاً إلى جانب المال .. يساعدنا على احتلال جبل البرتقال .

كاهين : يعنى نستطيع نحن الآن .. أن ندس الكاهن شومان .. على السلطان .

أم العبر : نعم . ولكن هذا عامل لم يكن فى الحسبان .. ولابد أن نتدارسه الآن إذهب من فورك الى شيوخ الغجر .. فى مضارب الغجر .. ليحضروا على الأثر .. حتى نعيد النظر .. فى ضوء هذا الخبر .

* * *

جلفدان : كل هذا والسلطان كنعان .. غافل عما يدبره الكاهن شومان .. بعد أن إسند السلطان .. إلى وزيره لقمان .. تنشئة الأميرة عطرشان .. مع ابنه زعفران .
وكثيراً ما كان لقمان .. يأخذهما إلى البستان .. وهناك يدرس لهما .. ويستمع منهما ..
ووقفت الأميرة .. تقرأ القصيدة الأخيرة .. فلما أنتهت من قراءتها .. امتدح الوزير نجابتها ..

لقمان : أحسنت أنا مسرور من قراءتك .. بقدر ما أنا معجب بنجابتك

عطرشان : (فى لطف وأدب) .. هذا فضل رعايتك .

لقمان : أرينى أنظر إلى كتابتك .

عطرشان : (تعطيه الصفحة) هى ذى تفضل .

لقمان : (معجباً) الله . ما أجمل الـ .
(ولكنه يقطع كلامه ويقبل عليها قائلا بلهجة التأنيب) .. ماهذا؟

عطرشان : ماذا ؟

لقمان : ليس هذا خطك يا عطرشان .

عطرشان : (مرتبكةً) .. إنه .. ان الـ .

لقمان : هذا خط زعفران .

(ويقبل على زعفران قائلا) .. زعفران .

زعفران : (مرتبكاً) .. طلبت منى أن أساعدها .. فلم أستطع أن أرد يدها .

لقمان : إذن تعيد الأميرة كتابتها .

عطرشان : أعيدها يا عم لقمان .

لقمان : لقد تكرر هذا منك يا عطرشان .. واذا حدث بعد ذلك فسأشكوك للسلطان .

السلطان : (مقبلًا وقد سمع العبارة الأخيرة) .. مم تشكوها يا لقمان .

لقمان : مولاى السلطان .

عطرشان : أبى .

السلطان : مم يشكو منك يا عطرشان .

لقمان : لا . لا شيء يا مولاى السلطان .

السلطان : (يلتفت إلى زعفران قائلا) .. لعلك مبسوط يا زعفران .

زعفران : بفضل رضاك يا مولاى السلطان .

السلطان : (يتضاحك قائلا) ما كنت أعرف يا لقمان .. إنك تعطيها الدرس فى البستان .

لقمان : يحدث هذا فى بعض الأحيان .

زعفران : إذا صحَّ الجو يا مولاى .

عطرشان : ونعزف هنا على الناى .

الخادم : (مقبلا يقول) .. الخيول جاهزة يا مولاى .

لقمان : طيب نحن وراك .. اسبقنا إلى هناك .

السلطان : (مسرورا) .. وتعلمها ركوب الخيل يا لقمان .

لقمان : العلم يا مولاى.. هو الاعداد للحياة .. ولابد أن نعلمها .. كل ما ينفعها .

بعـــدإذن مولاى السلطان .

هيا يا عطرشان .. هيا يا زعفران .

* * *

جلفدان : هكذا نشأ الصغيران .. الجميلان .. وعاشا أحلام الطفولة .. ورتعا فى معانيها الجميلة .. وتعاقبت الأيام .. وكأنها احلام .

* * *

وهنا قطع الأذان .. رواية جلفدان .. فامسكت عن حكايتها .. وانصرفت الى عبادتها .

وبهذا ينتهى هذا اليوم . من الف يوم ويوم .

ولما كان اليوم التالى .. على التوالى .. أسرعت الأميرة الى البستان .. وجلست الى مربيتها جلفدان .

وتحت فروع الخميلة .. وعلى أنغام الطيور الجميلة .. فتحت جلفدان باب الاحلام .. وجعلت تستأنف الكلام .. وتبدؤه بالصلاة والسلام .

* * *

جلفدان : وبعد الصلاة والسلام .. على خير الأنام .. يعود بنا الكلام .. إلى الكاهنة العجوز أم العبر .. كاهنة الغجر .. لما انتهت إليها الأخبار .. وكشفت أمامها الأسرار .. وعرفت أن الكاهن شومان .. يحقد على السلطان .. وعلى وزيره لقمان .. وأنه ضعف أمام سلطان المال .. فمال .. وأذلَّ الحرص أعناق الرجال ..
وعندئذ . أمرت أم العبر .. فاجتمع شيوخ الغجر .. حتى اذا سمعوا كلام كاهين .. أدركوا أن الكاهن شومان صيد ثمين .. وقرروا أن يطرقوا الحديد وهو ساخن .. وأن يرسلوا كاهين إلى ذلك الكاهن .
وعلى الأثر .. بادرت أم العبر .. فزودت كاهين بصرة من المال . وأرسلته إلى الكاهن فى الحال .. وبقيت فى الانتظار .. وكأنها تتقلب على نار .. إلى أن طرق عليها الباب .. وأتاها الجواب .

كاهين : (داخلًا يقول فى لهفة وانفعال) .. أم العبر .
أم العبر : (تستقبله قائلةً) .. كاهين .
كاهين : (بلهجة التشويق) .. سوف لا تصدقين .
أم العبر : ماذا وراءك يالعين .
كاهين : (يفاجئها) .. الكاهن الأكبر يا أم العبر .
أم العبر : ما باله .
كاهين : فجر .
أم العبر : يا خبر .

كاهين : لقد وقعنا حقاً على صيد ثمين .
أم العبر : أفصح يا كاهين .
كاهين : ألم أقل انك سوف لا تصدقين .
أم العبر : أذكر كل ما حدث وكل ما كان .
كاهين : ماكدت اثير حقد الكاهن شومان .. على الوزير لقمان .. حتى غلب الحقد عليه . وبان الشر في عينيه .
ولما قدمت المال إليه .. وقلت له إنك تريدين أن تريه .. قال إنه سيأتى إليك برجليه .
أم العبر : (تدق صدرها وتشهق)
كاهين : (وفى صوته لون الضحك) .. ألم أقل إننا وقعنا على صيد ثمين .
أم العبر : واين هو الآن يا كاهين .
كاهين : تركته وهو يتأهب للحضور إلى المعبد .
أم العبر : المعبد ؟!
كاهين : ليظهر للناس أنه أتى إلى الجبل ليتعبد .. ويزور المعبد .. وبهذا يبرر مجيئه هنا .. ويغطى زيارته لنا .
أم العبر : (مبهورة) .. يا للشيطان .
(ثم تستدرك قائلة) .. ولكن من سيرشده إلى هذا المكان ؟
كاهين : رصدت له بعض الرجال .. ليقودوه اليك فى الحال .
أم العبر : (مسرورة) .. عال . عال .
كاهين : سنستولى على جبل البرتقال .

* * *

جلفدان : وفى هذه اللحظة يسمع طرق على الباب وتتساءل أم العبر .. ما الخبر ويقول لها كاهين لعله هو يا أم العبر . وتقول أم العبر : أتراه قد وصل إلى مضارب الغجر .. ويتكرر الطرق على الباب وتصيح أم العبر .. أدخل .

شومان : (داخلا) .. التحية والسلام .
أم العبر : قبل التحية والسلام .. إكشف عن وجهك اللثام .

شومان : (وهو يرفع اللثام) .. وهذا هو اللثام .

كاهين : مولانا الكاهن شومان .

أم العبر : كاهن الكهان ؟
أى شرف تسبغه علينا .. حين تأتى بنفسك إلينا .

شومان : هل أنا فى حضرة كاهنة الغجر .

أم العبر : خادمتك أم العبر .

شومان : هكذا أراد القدر .

أم العبر : لقد ساءنا والله ماسمعنا .. ولم نفهم لتصرفات السلطان معك أى معنى .

شومان : (فى مرارة) .. السلطان .

أم العبر : ينتزع منك تربية الأميرة عطرشان .. وأنت كاهن الكهان .. ويسند تربيتها إلى رجل مثل لقمان .

شومان : لقمان .. استولى على عقل السلطان .

أم العبر : لدرجة تنحيتك عن تربية الأميرة .

شومان : هذه إهانة كبيرة .

أم العبر : (تستثيره أكثر) .. ولماذا أسندها اليك .. اذا كان سينتزعها منك ؟
وماذا يقول الكهان ؟
وماذا يقول الناس فى كل مكان ؟

شومان : اذا نفذت السهام .. فلا فائدة من الكلام .
ولكن دعينا من لقمان والسلطان .. هل أرسلت إلىّ الآن ؟

أم العبر : نعم . ولا غريب بيننا الآن .. يعنى نستطيع أن نتكلم ونحن آمنان .

شومان : (فى فضول) .. نعم .

أم العبر : أريد أن أقول اننا متفقان .

شومان : كيف .

أم العبر : ألست تكره الوزير لقمان ؟

شومان : (فى حقد) .. لقمان .

أم العبر : نحن أيضا نكره الوزير لقمان .
لو لم يعترض طريقنا .. لكان جبل البرتقال ملكاً لنا .
يعنى هناك علاقة مشتركة بيننا .
فلو وضعت فى أيدينا يدك .. فاننا نتخلص من عدونا المشترك .

شومان : ... ...

أم العبر : هيه . ماذا تقول الآن ؟

شومان : (متردداً) .. مسألة فيها قولان .
أم العبر : ألا تريد أن ترد المهانة .
شومان : بلى .
أم العبر : ألست تريد أن تغسل الإهانة .
شومان : بلى . بلى ..
ولكن ألا تكون هذه خيانة .
أم العبر : (بلهجة الإستنكار) .. خيانة .. معاذ الله .. واستغفر الله .
الخيانة .. أن تعمل ضد مولانا .
إنك تعمل ضد لقمان .. وليس ضد السلطان .
إنك تأخذ ثارك .. وتردّ اعتبارك .
شومان : (بعد تردد خفيف) .. طيب ما هو المطلوب منى ؟
أم العبر : لا شيء .. فقط إذا حدث شيء تبلغنى .
شومان : (فى مرارة) .. جاسوس يعنى ؟
أم العبر : (وفى صوتها لون الضحك) .. أرى أنك إلى الآن لم تفهمنى .
ألست تريد أن تنتقم لنفسك .. ألا تريد أن تغسل الإهانة التى لحقتْ بك ؟
شومان : (بعد تردد خفيف) .. طيب . دعينى أفكر .
أم العبر : (وهى تحضر له صرة من الذهب) .. أنتظر حتى آتيك بالمفكر .. الذى يجعلك تفكر .
(وهى تقدم له الصرة) .. حتى تفكر جيدا فى الانتقام من الوزير .. خذ .
شومان : لا . لا هذا كثير .
أم العبر : هذا الذهب سيساعدك على التفكير .
شومان : (متردداً) .. لكن . لكن .
أم العبر : يا سيدى الكاهن .. لا تقل لكن .
شومان : لكن أخشى أن ينكشف أمرنا .
أم العبر : لن يعلم أحد بما بيننا .
شومان : وكيف يكون اتصالنا .
أم العبر : دع هذا لنا .
شومان : (وهو يتهيأ للانصراف) .. طيب أقوم أنا .
أم العبر : تستطيع أن تنصرف الآن .. فى سلام وأمان

* * *

جلفدان : **ولم يترك الغجر وسيلة للاستيلاء على جبل البرتقال إلا لجأوا إليها .**
فمن ذلك أنهم عرضوا على الوالى عدنان .. ألف كيس من الذهب الرنان .. يرسلها إلى السلطان .. فى مقابل امتلاكهم للأرض الواقعة خلف المعبد .
وأرسل الوالى عدنان .. الى السلطان .. بكتاب عاجل .. مع الحمام الزاجل .. وأمر السلطان .. فانعقد الديوان .. وعرض عليهم كتاب الأمير عدنان .

السلطان : (فى الديوان) يا حاجب الحجاب .. أقرأ الكتاب .

الحاجب : سمعا وطاعة .

(ثم بلهجة القراءة) .. من الأمير عدنان .. حاكم جبل البرتقال .
إلى مولانا السلطان كنعان .
اليوم تقدمت إلينا أم العبر .. كاهنة الغجر .. وطلبت باسم الغجر .
أن تشترى الأرض الواقعة خلف المعبد .. فرفضت ولم أتردد ..
ولكنها أعادت العرض .. وعرضت ألف كيس من الذهب فى مقابل الأرض وعندئذ لم استطع القبول أو الرفض .. ولهذا كتبت إليكم .

السلطان : (يسكته قائلا) .. كفى كفى يا حاجب الحجاب .
(ثم يقبل على الديوان قائلا) .. الغجر تقدموا بهذا الطلب ..
وعرضوا ألف كيس من الذهب .. ومثل هذا المبلغ الكبير .. يحتاج الى التفكير .

لقمان : (بلهجة الاستئذان) .. مولاى .

السلطان : تكلم يا وزير .. ماذا ترى وبماذا تشير .

لقمان : لا جواب على هذا العرض .. غير الرفض .

شومان : (معترضاً) .. رفض .

لقمان : لا يملك الغجر فى بلادنا أىَّ أرض .

شومان : ولكنهم يقيمون فى بلادنا .

لقمان : (يقاطعه قائلا) .. أنسيت أن هذا يخالف الشرط .

شومان : أى شرط .

لقمان : أن يقيموا فى جبل البرتقال ماشاءوا من الوقت .. على ألا يملكوا فيه أرضاً قط .

شومان : ولكن هذا الشرط لنا .. وإلغاؤه من حقنا .

لقمان : (فى غيظ شديد) .. أيها الكاهن شومان .

شومان : أيها الوزير لقمان .

لقمان : لو لم يكن غير الـ .

السلطان : (يقاطعهما) كفى . كفى .
والآن .. يكتب إلى الأمير عدنان لينبه الغجر الى الالتزام بهذا الشرط
لا يملك الغجر فى بلادنا أرضا قط .
ويرسل بهذا كتاب عاجل .. مع الحمام الزاجل .

* * *

جلفدان : وكانت عطرشان .. يرعاها الوزير لقمان .. مع ولده زعفران ..
وكان الصبيان .. بأحلام الصبا ينعمان .. وكان الناى وسيلة بها
يتفاهمان .. ويتراسلان ..
ونحن الآن .. مع الفتى زعفران .. فى البستان .. وقد أمسك
الناى وراح يدعوها بهذه الالحان .. وها هى ذى تقبل عليه ..
وتتجه اليه :

عطرشان : (مقبلة عليه) نعم . نعم يا زعفران .

زعفران : عطرشان .

عطرشان : زعفران .. لقد أصبحت أفهم لغة الألحان .

زعفران : وماذا فهمت منها الآن .

عطرشان : فهمت أنك تدعونى اليك .. ولهذا أقبلت عليك ..
أليس كذلك يا زعفران ؟

زعفران : (بلهجة الايجاب) .. بلى هو ذلك يا بنت السلطان .

عطرشان : فلماذا دعوتنى الآن .

زعفران : لأقدم لك الهدية التى وعدتنى بقبولها .

عطرشان : (تسأله فى فرح) .. وجئت بها ؟

زعفران : (يقدمها قائلا) .. تفضلى .

عطرشان : (فى فرح) .. الله .. إنه ناى جميل .. ليس له مثيل .

زعفران : لقد وعدت أن تقبليه منى .

عطرشان : (بلهجة الايجاب) .. ونلعب ونغنى .

زعفران : ونلعب ونغنى .

عطرشان : ولكن انتظر يا زعفران .. فانى أريد أن أجرب هذا الناى .

زعفران : الآن ؟
عطرشان : نعم . وسأعزف اللحن الذى علمتنى إياه .
زعفران : واطرباه .
عطرشان : إسمع .
زعفران : نعم .
عطرشان : هذا هو النغم .

* * *

جلفدان : وانسابت الأنغام .. وأحس زعفران .. أنه يعيش فى أحلام .. ايقظه منها صوت ابيه لقمان .. وقد أقبل عليهما صائحا وهو غضبان :

لقمان : (مقبلا عليهما فى غضب) .. ما هذا يا زعفران .
زعفران : أبى .
عطرشان : عمى لقمان .
لقمان : ماذا فعلت يا زعفران ؟
زعفران : (خالى الذهن) .. ماذا ؟
لقمان : أنت غلطان غلطان .. ما هكذا علمتك الألحان .
زعفران : لست أنا صاحب هذه الألحان .. وإنما هى عطرشان .
لقمان : (وقد سكت عنه الغضب) .. عطرشان !
عطرشان : نعم .
لقمان : أنت صاحبة هذا النغم .
عطرشان : نعم .
لقمان : (مسروراً) .. كيف ومن علمك هذا يا عطرشان ؟
عطرشان : علمنى أياه زعفران .
لقمان : (مسروراً) .. ما شاء الله كان .
عطرشان : ولكنك يا عمى قلت إنه غلطان .
لقمان : آ . حسبته زعفران .. فأنكرت عليه هذا الميزان .
أتعرفين انك تقولين من نغمة الزنجران ؟
عطرشان : كذا قال لى زعفران .

لقمان	:	ولكنك لم تعملى غير حركتين من النغم القديم .. ولهذا جاء الجواب غير سليم . ولكنى مسرور منك على أى حال .. لأن الأنغام ذوق وجمال . ومن اليوم . سأضمك الى زعفران .. فى درس الناى والألحان . والآن .. سنذهب لنستكمل درس البيان .. ثم تركبان .. وتخرجان مع الفرسان .
عطرشان	:	وتخرج معنا يا عمى لقمان ؟
لقمان	:	وقد يخرج معنا السلطان .
زعفران	:	هيا يا عطرشان .
عطرشان	:	هيا يا زعفران .

* * *

جلفدان	:	**هكذا كان لقمان .. يعنى بعطرشان . وزعفران .. حتى يفع الصغيران .. وأصبحا فتيين .. يملآن العين ..**

وهنا قطع الأذان .. رواية جلفدان .. فامسكت عن حكايتها .. وانصرفت الى عبادتها .

وبهذا ينتهى هذا اليوم . من الف يوم ويوم .

ولما كان اليوم التالى .. على التوالى .. أسرعت الأميرة الى البستان .. وجلست الى مربيتها **جلفدان** .

وتحت فروع الخميلة .. وعلى أنغام الطيور الجميلة .. فتحت **جلفدان** باب الاحلام .. وجعلت تستأنف الكلام .. وتبدؤه بالصلاة والسلام .

* * *

جلفدان : **وبعد الصلاة والسلام .. على خير الأنام .. يعود بنا الكلام .. الى السلطان كنعان .. لما أسند إلى وزيره لقمان .. حكيم الزمان. تربية ابنته عطرشان .. وضمها الوزير لقمان .. إلى ولده الصغير زعفران .. فنشأ الفتى مع الأميرة .. وجمعتهما أواصر كثيرة .. ونبتت بذور المحبة بينهما .. ونمت مع نموهما .. وشهدت خمائل البستان .. ومغانى النهروان .. ميلاد قصة حب وغرام .. ظلت**

تنمو مع الأيام .. ومرور الأعوام .. حتى يفع الصغيران .. وكبر الفتيان .. وأصبحا شابين .. يملآن العين .. وآن للسلطان أن يحجز الأميرة فى القصر .. ويكتفى من تعليمها بهذا القدر .. وأصبح زعفران بدونها .. فاذا الحياة لا طعم لها .. فانطلق الى البستان .. وجلس حيث كانا يجلسان .. وأخرج الناى من جيبه وجعل يترجم بأنغامه عن حبه .. فارتفعت الألحان .. وانتشرت فى كل مكان .. كما ينتشر العطر والريحان :

عطرشان : (فى مقصورتها وصوت الناى يصل إليها) .. أتسمعين يا وردشان .

وردشان : (وصيفتها) .. ما أشجى هذه الأنغام يا بنت السلطان .

عطرشان : إنه زعفران .

أتفهمين ما تقول هذه الألحان ؟

إنه بهذه الأنغام يدعونى إليه .. إنتظرى حتى أردّ عليه .

أين الناى ؟

وردشان : (وهى تناولها الناى) .. هو ذاك .

عطرشان : سأردُّ عليه أولًا من الشباك .. قبل أن أذهب الى هناك .
ماذا تقول يا زعفران .. بهذه الأنغام ؟
تقول إن عندك كلام ؟
أنا أيضا عندى كلام .. وعتاب وملام .. أترجمه إلى أنغام . إسمع
يا زعفران .

* * *

جلفدان : **وانبعث صوت الناى .. وكأن عطرشان .. تردُّ عليه بالأنغام . وكأنهما يتكلمان .. ويتفاهمان .. بهذه الألحان .. وأقبلت الوصيفة وردشان .. على الأميرة عطرشان .**

وردشان : مولاتى .

عطرشان : وردشان .

وردشان : كأنكما تتكلمان .. وتتفاهمان .. بهذه الألحان .

عطرشان : هذا شأننا من زمان .

وردشان : فماذا تقولان ؟

عطرشان : أعاتبه يا وردشان .. ألم تسمعى ما يقولونه عن زعفران .

وردشان : الكلام يتناثر من مكان الى مكان .

عطرشان : ما كان له أن يثير عليه الكهان .
(وهى تغادر المكان) .. أنا نازلة إلى البستان .

* * *

جلفدان : **وكان الفتى زعفران .. وهو ابن الحكيم لقمان .. قد أطال التأمل فى هذه الحياة .. والنظر الى مخلوقات الله .. فاهتدى الى أفكار . لكشف عالم البحار .. واستغلها الكاهن شومان .. وقال إنها تجديف وبهتان .. وأثار عليه الكهان .**
وخشيت الأميرة عطرشان .. على زعفران .. فذهبت إليه فى البستان .. وحدث ما نراه الآن :

عطرشان : (وهى تتقدم الى زعفران) .. زعفران .

زعفران : (يستقبلها) .. عطرشان .

عطرشان : ما هذا الذى تفعله يا زعفران .

زعفران : شعرت بالوحشة يا عطرشان .. فناجيتك بهذه الألحان .

عطرشان : أنا لا أتكلم عن هذا .

زعفران : ماذا ؟

عطرشان : لقد أثرت عليك المعبد .. بل ذهبت الى ما هو أبعد .

زعفران : ولماذ يغضب المعبد .

عطرشان : لا تحاول الانكار يا زعفران .. فالناس يتكلمون فى كل مكان .

زعفران : أنا لا أنكر شيئا من كلامى يا بنت السلطان .. ومازلت اقوله الى الآن .

إن هذه البحار المترامية .. لابد أن يكون وراءها عوالم ثانية .

عطرشان : (فى خوف) .. زعفران .

زعفران : (مستمراً) الملاحون من قديم الزمان .. ومازالوا الىالآن.. يسيرون بمحاذاة الشطآن .

ولو أنهم اهتدوا الى هذه الأفكار .. وساروا فى عرض البحار .. فلا بد أن يكتشفوا عوالم مثلنا .. قد يكون عندهم ما ليس عندنا .. فلو اتصلنا بهم واتصلوا بنا .. لكان فى ذلك خير لهم وخير لنا .

(ثم فى انفعال) .. فما الذى يغضب المعبد فى هذا .. ولماذا ؟

عطرشان : لأنه يخالف كتابهم المقدس يا زعفران .

زعفران : (يقبل عليها معاتباً) .. عطرشان .. ألم تكونى مقتنعة بكل ما قلت؟

عطرشان : كنت .

زعفران : فما الذى غير رأيك الآن ؟

عطرشان : أخاف عليك من الكاهن شومان .. وكأنى به الآن .. وقد أستثار الكهان .. فرفعوا الأمر الى السلطان .

* * *

جلفدان : وهنا يصل اليهما صوت ناى من بعيد .. ويقول زعفران : اسمعى يا عطرشان .. هذا أبى ينادينى .. انتظرى حتى أرد بالناى عليه .

وأقول له إنى ذاهب إليه .. وتقول له عطرشان وأنا أيضا ذاهبة إلى عم لقمان .. سأشكوك إليه يا زعفران .

وإلى حضرة الوزير لقمان .. يتقدم الفتيان .

زعفران : أبى .

لقمان : تعال يا زعفران .

عطرشان : عم لقمان .

لقمان : (فى لطف) .. الأميرة عطرشان .. ما الذى جاء بك يا بنت السلطان ؟

عطرشان : جئت اشكو اليك زعفران .

لقمان : زعفران ؟

عطرشان : إنه يجاهر بأفكار .. ويقول بعوالم أخرى وراء البحار .. الأمر الذى يخالف ما ورد فى الكتاب .. ويثير الاضطراب .

لقمان : (بلهجة العتاب) .. ألم أنهك عن هذا يا زعفران .

زعفران : ولكنك لم تقل اننى غلطان .. وأنا لا أتكلم بغير برهان .

لقمان : يا ولدى ليس كل ما يعرف يقال .
(ثم ينتقل إلى موضوع آخر) .. وعلى أى حال .. فقد حدث اليوم فى جبل البرتقال .. ما يشغلنا عن هذه الأقوال .

زعفران : ماذا ؟

عطرشان : هل هناك ما هو أخطر من هذا ؟

لقمان : نعم . نعم يا بنتاه .. لقد وقع ما كنا نخشاه .. ووثب الغجر على جبل البرتقال .. ونقلوا العساكر والرجال .. واستولوا على المعبد والأماكن المقدسة .. ولوثوه بأقدامهم المنجسة .

زعفران : (يسأله) .. والوالى ؟

لقمان : أسره الأنذال وطردوا الأهالى .

عطرشان : (فى مرارة) .. يأسرون الأمير عدنان .

لقمان : ليساوموا عليه السلطان .

زعفران : وماذا نصنع الآن ؟

لقمان : عندما وصلت الينا الأخبار .. هاج السلطان وثار .. وأمر أن تجهز حملة فى الحال .. وان نزحف الى جبل البرتقال .. لننقذ الأمير من أيديهم .. ونعيد الأهالى إلى أراضيهم .

زعفران : ولهذا دعوتنى يا أبى .

لقمان : نعم يا ولدى .

زعفران : ستجدنى عند ظنك بى .

عطرشان : (من قلبها) .. زعفران .

لقمان : لقد كنت أدخرك يا ولدى لهذا اليوم .

زعفران : لن أتخلف عن القوم .. سأكون على رأس الفرسان .
عطرشان : (وصوتها يتهدج) .. زعفران .
زعفران : لابد أن ننقذ الأمير عدنان .. ونستردّ الأرض ونؤمن السكان .
لقمان : بارك الله فيك يا زعفران .. لهذا كنت أعلمك الركوب والطعان . ومبارزة الفرسان .

* * *

جلفدان : وفى هذه اللحظة تسمع ضجة كبيرة .. واصوات مختلطة كثيرة .. ويفتح الباب .. ويدخل كبير الحجاب .

الحاجب : مولاى الوزير .
لقمان : ما وراءك يا كشمير .
الحاجب : أهالى الجبل المشردون .. الذين طردهم الغجر المجرمون .
لقمان : وماذا هم فاعلون ؟
زعفران : وإلى أين هم ذاهبون ؟
الحاجب : يريدون أن يلجأوا الآن .. الى ساحة السلطان .
لقمان : إذهب بأمرى هذا فى الحال .. إلى قيّم بيت المال .. ليجمع الرجال .. ويقيم لهم الخيام .. ويوزع عليهم الطعام .. الى أن يحكم الحسام .. بيننا وبين هؤلاء اللئام .
والآن . أنا منطلق الى السلطان .
عطرشان : عم لقمان .
لقمان : تعال معى يا زعفران .

* * *

جلفدان : وتسلل الكاهن شومان . إلى مضارب الغجر .. ودخل على كاهنتهم أم العبر .

شومان : (داخلا يقول) .. الأمان والسلام .
أم العبر : قبل السلام والكلام .. إكشف عن وجهك اللثام .
شومان : (وهو يكشف عن وجهه) .. وهذا هو اللثام .

كاهين : الكاهن شومان .
أم العبر : طبعاً وصلت أخبارنا إلى السلطان .. وعرف ما كان .
شومان : قبل كل شيء أرجو إخلاء المكان .
أم العبر : نحن معشر الغجر .. لا ننسى الحذر .. وتستطيع ان تتكلم بأمان .
شومان : ولكن الجدران .. لها آذان .. ولابد من اخلاء المكان .
أم العبر : حسن .. يخلو المكان .
كاهين : (وهو يخرج مع الخارجين) .. تفضلوا .. أخرجوا .
شومان : مريهم يغلقوا الباب علينا .
أم العبر : أغلقوا الباب علينا .. لا يستمع أحد إلينا .
(ثم تقبل عليه قائلة) .. نعم ها نحن منفردان .. وقد خلا لنا المكان
شومان : إسمعى يا أم العبر .
أم العبر : نعم .
شومان : لا يغنى الحذر من القدر .
أم العبر : (فى ضيق) .. سيدى الكاهن ألا تستطيع أن تتكلم بدون مقدمات
شومان : بلى .. اسمعى ماهو آت .. لقد استوليتم على المعبد والمقدسات .
أم العبر : تكلم باختصار .
شومان : باختصار .. ما كادت تصل إلينا الأخبار .. حتى هاج السلطان وثار
أم العبر : (وهى تتابعه فى فضول) نعم .
شومان : لقد كبر عليه الأمر وهاله .. ان تقتلوا رجاله .. وتأسروا الوالى .. وتطردوا الأهالى .. كما كبر عليه أن تستولوا على المعبد .. ولهذا لم يتردد .. وأمر بجمع العساكر والرجال .. ليزحفوا فى الحال .. على جبل البرتقال .
أم العبر : أذلك .. كل ما هنالك ؟
شومان : وماذا بعد هذا يا أم العبر ؟
أم العبر : (تقهقه ضاحكة) .
شومان : (فى دهشة) .. الله !
أم العبر : أنا أم العبر .. أنا كاهنة الغجر .. ألعب بالبيضة والحجر .
شومان : ألا ترين الخطر .
أم العبر : (تقهقه ضاحكة) .. قصير النظر .. لا يعرف الخطر .
شومان : إننى أتكلم عن جيوش السلطان .
أم العبر : كل شيء محسوب يا شومان .. لقد أحسنت حين كشفت لنا خطة السلطان .. سيكون المعبد والأماكن المقدسة فى يدنا .. ولن نمنع

الحجّاج من مجيئهم هنا ..
لن نرد الناس عن الحج والزيارة .. وسيكون موسم الحج موسما للتجارة .
وفيما عدا ذلك فنحن – كما ترى – فى أعلى الجبل
محصنون .. لا يستطيع أن يصل إلينا المهاجمون .

شومان : (يسألها) .. واذا وصلوا إلى هنا ؟

أم العبر : إذا وصلوا إلى هنا .. وحاولوا أن يصعدوا لنا .. يقعون تحت مرمى سهامنا .
ولهذا ننال منهم ولا ينالون منا .. ونحول بينهم وبين الصعود إلينا أتفهم يا ..

شومان : أخشى أن تنكشف صلتى بكم .. وأضيع أنا بسببكم .

أم العبر : (تضحك ثم تقول له) .. هذه أعراض مرض قديم يسمى داء الخوف .

شومان : إذا انكشف الـ .

أم العبر : (تقاطعه قائلة) .. انتظر حتى آتيك .. بما يشفيك .
(وتقدم إليه الصرة قائلة) .. خذ سيشفيك هذا الذهب من داء الخوف .

شومان : طيب كفى كفى .. أنا خارج الآن .

أم العبر : تستطيع أن تخرج بأمان ..
(وتشيعه قائلة) .. لا تنس أخبار السلطان .

شومان : (وهو خارج) .. كل شيء بأوان .

* * *

جلفدان : وخرج الكاهن الأكبر .. وهو يتعثر.. وقد التفع بالظلام .. ووضع على وجهه اللثام .. ولم تمض بضعة أيام .. حتى تحركت جيوش السلطان .

* * *

وهنا قطع الأذان .. رواية جلفدان .. فامسكت عن حكايتها .. وانصرفت الى عبادتها .

وبهذا ينتهى هذا اليوم . من الف يوم ويوم .

ولما كان اليوم التالى .. على التوالى .. أسرعت الأميرة الى البستان .. وجلست الى مربيتها **جلفدان** .

وتحت فروع الخميلة .. وعلى أنغام الطيور الجميلة .. فتحت **جلفدان** باب الاحلام .. وجعلت تستأنف الكلام .. وتبدؤه بالصلاة والسلام .

* * *

جلفدان : وبعد الصلاة والسلام .. على خير الأنام .. يعود بنا الكلام .. إلى السلطان كنعان .. وبلاد النهروان .. لما سخر الزمان .. واغتصب الغجر جبل البرتقال .. وقتلوا الرجال .. وأسروا الوالى .. وشردوا الأهالى .. فعندئذ ثار السلطان .. كأنه بركان وأمر وزيره لقمان .. فجهز الجيوش والفرسان .. وأمَّر عليها المرزبان .. وولده الوحيد زعفران .. وزحف الجيش على عجل. لاسترداد الجبل .. وإعادة السكان .. واطلاق سراح الأمير عدنان .. وإنقاذ الاراضى المقدسة من ايديهم .. وإرجاع الأهالى إلى أراضيهم .

ولكن الكاهن الخائن .. نقل إلى الاعداء هذه الأسرار .. وأسر إليهم بهذه الأخبار .. فأستعد الغجر لهم .. وانتظروا مجيئهم .. حتى إذا وصلوا إليهم .. انتظروا عليهم .. إلى أن أصبحوا فى مرمى نبالهم .. وأمطروهم بسهامهم .. وهم فى قمة الجبل متحصنون .. فارتد المهاجون .. بعد أن كثرت فيهم الاصابات . وضاعت جميع المحاولات .

* * *

وإن السلطان .. لجالس فى الديوان .. إذا أقبل بعض الأعوان .. وهم يصيحون : مولانا السلطان .. مولانا السلطان .

المرزبان : (مقبلًا يصيح) .. يا مولانا السلطان . يا مولانا السلطان .

السلطان : ما هذا يا لقمان .

لقمان : لا أدرى يا مولاى السلطان .

شومان : هذا صوت المرزبان .

المرزبان : (وهو يقترب منهم) يا مولاى السلطان .

السلطان : تقدَّم يا مرزبان .

المرزبان : الأمان الأمان . يا ملك الزمان .

شومان : ماوراءك يا مرزبان .

المرزبان : انقلب الميزان .. وغلبت الخديعة شجاعة الشجعان .

لقمان : كيف حدث هذا وكيف كان .

المرزبان : ماذا أقول يا سيدى لقمان .

السلطان : أفصح يا مزربان .

المرزبان : بارادتك يا مولاى السلطان .. تحركت الجيوش والفرسان .. لاطلاق سراح الأمير عدنان .. واسترداد جبل البرتقال .. من أيدى أولئك الغجر الأنذال .. وهكذا سرنا على عجل .. حتى وصلنا الى الجبل .

السلطان : نعم .

المرزبان : كان الغجر فى قمة الجبل متحصنين .. بينما كنا فى أسفل الجبل مكشوفين .. فلما تقدمنا للقتال .. تركونا نصعد جبل البرتقال .. حتى إذا صرنا فى مرمى النبال .. أمطرونا بسهامهم .. وردونا دون اقتحامهم .

السلطان : وارتددتم عنهم من أول مرة ؟

لقمان : ألم تحاولوا أن تعيدوا الكرة .

المرزبان : تكررت يا مولاى المحاولات .. وفى كل محاولة تزداد الإصابات .. وتنزل علينا سهام الغجر .. مثل المطر .. فنرغم على الارتداد عنهم . وقد نالوا منا ولم ننل منهم .

السلطان : (فى ضيق شديد) .. وأخيراً ؟

المرزبان : أخيراً اضطررنا الى العودة يا مولانا .. بعد أن كثرت ضحايانا .. وزاد عدد جرحانا .

السلطان : (فى انفعال) .. أتسمع يا لقمان ؟

لقمان : لهذا الأمر ما بعده يا ملك الزمان .. ولكن مالى لا أرى زعفران .

السلطان : نعم أين زعفران .

المرزبان : يضمد جراحه ويغير ملابس الميدان .

لقمان : (فى قلق) .. أمصاب هو يا مرزبان ؟

المرزبان : كان يتقدم الرجال .. ولذلك كان هدفا للنبال .

لقمان : ولدى .

المرزبان : إنه بخير يا مولاى الوزير .. إن جرحه غير خطير .

زعفران : (داخلا) مولاى السلطان .

المرزبان : هو ذا زعفران .

السلطان : ماذا جرى يا زعفران .. وماذا كان ؟

زعفران : (وهو يقاوم انفعاله) .. ما كان . قد كان

السلطان : كيف يحدث هذا الخذلان ؟

زعفران : ألم يحك لكم المرزبان .

السلطان : ماذا نصنع الآن .

زعفران : أتاذن لى يا مولاى السلطان .

السلطان : بدون استئذان .. ماذا تريد أن تقول يا زعفران .

زعفران : أرجو أن تأمر فيخلو لنا المكان .

السلطان : لك ذلك يا زعفران .

(ثم بلهجة الأمر) يخلو المكان .. فلا يبقى غير الوزير لقمان .. والكاهن شومان .

* * *

جلفدان : ويخرج جميع من بالديوان .. فلا يبقى غير لقمان . وشومان .. وعندئذ يقبل السلطان على زعفران قائلًا .

السلطان : والآن . ليس معنا غير أبيك والكاهن شومان .

شومان : يعنى تستطيع أن تتكلم بأمان .

السلطان : فماذا تريد أن تقول يا زعفران .

زعفران : هناك من يتجسس علينا يا مولاى السلطان .

السلطان : ماذا ؟

لقمان : كيف ؟

شومان : ماذا تقول يا زعفران .

زعفران : أقول ما سمعته يا سيدى الكاهن شومان .

السلطان : ولكن هذه خيانة .

زعفران : نعم يا مولانا .

السلطان : وكيف عرفت ذلك يا زعفران .

زعفران : ذلك واضح يا مولانا السلطان .. فقد استعدوا لنا .. كما لو كانوا ينتظرون وصولنا .. ولولا أن أخبارنا كانت عندهم .. ما أخذوا استعدادهم ولا وقفوا لنا بالسهام .. على رءوس الآكام .

السلطان : وبهذا ردوكم عن الجبل .

زعفران : ذلك الذى حصل .

ولولا ذلك لصعدنا إليهم .. وقضينا عليهم .. وخلصنا الأمير من أسرهم .. وأعدنا الأهالى الى ديارهم .

السلطان : (يطرق مفكراً ثم يرفع رأسه قائلًا) .. أيها الوزير لقمان .

لقمان : أمر مولانا السلطان .

السلطان : أيها الكاهن شومان .

شومان : أمر مولانا السلطان .

السلطان : لقد سمعتما ما قاله زعفران .. فماذا تريان .. وبماذا تشيران ؟

لقمان : ألم أقل إن هؤلاء الغجر .. هم حثالة البشر .. وإن وجودهم فى بلادنا خطر .

شومان : (فى خبث) .. هكذا أراد القدر .

السلطان : المهم . ماذا نصنع الآن .

لقمان : أتأذن لى يا ملك الزمان .

السلطان : تكلم يا لقمان .

لقمان : نحن الآن ليس معنا .. من نخاف أن يسمعنا .. وعندى خطة أعرضها عليكم .. وأرجو أن تحوز القبول لديكم .

السلطان : نعم .

لقمان : المشكلة التى أمامنا الآن .. هى كيف يصعد إليهم الفرسان .. لو صعدنا إليهم .. فما أسهل القضاء عليهم .

ولذلك أرى أن ننتظر بضعة أيام .. حتى نضلل أولئك اللئام .. ثم يخرج الفرسان فى الظلام .. حتى إذا وصلوا إلى جبل البرتقال .. تسلل إليهم الرجال .. وبهذا نصل إليهم .. ونقضى عليهم .

السلطان : (يوافقه قائلًا) .. أشرت يا لقمان .

شومان : (معترضاً) .. أناتك يا مولاى السلطان .

السلطان : ماذا يا شومان .

شومان : لقد سمعت كلام الوزير لقمان .. وعندى على ذلك اعتراضان .

لقمان : أيها الكاهن شو .

السلطان : انتظر يا لقمان .. حتى نسمع كاهن الكهان .

(ثم يقبل عليه قائلًا) .. نعم يا شومان .

شومان : ليست الحرب رأيا يا مولاى السلطان .

السلطان : كيف ؟

شومان : إننى أنظر الى طبيعة الحرب بيننا وبينهم .. واستعدادهم لنا واستعدادنا لهم .. فأراهم فى قمة الجبل متحصنين .. ومادمنا فى أسفل الجبل مكشوفين .. فلابد أن يردونا مهزومين .

السلطان : يردونا مهزومين ؟

شومان : هذا على سبيل اليقين .

السلطان : لكن لابد أن نقضى على شرهم .. ونخلص ابن عمى الأمير عدنان من أسرهم ..

لقمان : وننقذ المعبد والأماكن المقدسة من أيديهم .. ونعيد الأهالى إلى أراضيهم .

شومان : ألا توجد وسيلة أخرى غير الحرب والطعان .

لقمان : مثل ماذا يا كاهن الكهان ؟

شومان : الوفاق .

السلطان : وفاق ؟!

شومان : بالوفاق .. يتم الاتفاق .

إما أن تغامر بحربهم .. ونكشف مقاتلنا لسهامهم .. فان هذا يعنى تكرار المأساة .. ولا حول ولا قوة إلا بالله .

لقمان : (وقد فاض به) .. لا . هذا كثير .

شومان : حلمك يا سيدى الوزير .

لقمان : (منفعلًا) .. أنت تقول هذا يا سيدى الكاهن الأكبر .. أنسيت أن المعبد لابد أن يتحرر ..

لابد أن نفرض إرادتنا على هؤلاء الغجر اللئام .

شومان : واذا ردوكم بالسهام .. من فوق الآكام .

لقمان : أهذا كلام .

لقد قلت إننا سنزحف إليهم تحت جنح الظلام .. ونتسلل إلى الجبل والناس نيام .

شومان : ستجدونهم فى الانتظار .

لقمان : تجدونهم فى الانتظار .. اذا وصلت إليهم هذه الأسرار .. ونحن الآن . فى أمان ..

لا أحد معنا .. حتى يسمعنا .. ولابد أن نضرب ضربتنا .. ونسترد هيبتنا .

شومان : ياسيدى الـ .

لقمان : (مستمراً) .. إذا حافظنا على سرية هذه الخطة .

شومان : أية خطة ؟

إنك يا سيدى تكرر الغلطة .. وتوقعنا فى ورطة .

لقمان : (فى غيظ) .. أيها الكاهن شومان .

شومان : أيها الوزير لقمان .

لقمان : يا للشيطان .

شومان : لقمان .

السلطان : (يسكتهما صائحاً) .. صه .

الوزير لقمان .. والكاهن شومان .. لا يتفقان .

شومان : يفصل بيننا مولانا السلطان .

السلطان : خلاص ننفذ الخطة التى رسمها لقمان .

شومان : (يحاول أن يتكلم) .. حرام .

السلطان : (بلهجة حاسمة) .. إنتهى الكلام .

* * *

جلفدان : وتسلل الكاهن شومان . الى مضارب الغجر .. ونقل الى الكاهنة أم العبر .. كل ما كان .. ومادار بينه وبين لقمان .. وما انتهى إليه رأى السلطان .. وضحكت أم العبر طويلا وهى تقول :

أم العبر : يفض السلطان .. اجتماع الديوان .. ويقصر اجتماعه على لقمان . وشومان .

شومان : والفتى زعفران .

كاهين : وبهذا حسب السلطان .. أن أسرارهم فى أمان .

أم العبر : هاهاها .

أنا أم العبر .. كاهنة الغجر .. التى تلعب بالبيضة والحجر .

شومان : ولكن أليس فى هذا خطر ؟
أم العبر : أى خطر ؟
شومان : إنهم اذا صعدوا اليكم .. يقضون عليكم .
أم العبر : مادمت يا سيدى الكاهن تأتينا بأخبارهم .. وخفايا أسرارهم .. فسوف يجدوننا دائما فى انتظارهم .. واذا حاولوا الصعود لنا .. وقعوا فى مرمى سهامنا .. ونحن فى أعلى الجبل متحصنون .. وهم فى أسفله مكشوفون .. فممَّ تخافون ؟
كاهين : نفرض أنهم صعدوا إلينا .. أفلا يظهرون علينا ؟
أم العبر : لا . لا . يا كاهين .. لن يصلوا إلينا سالمين .
شومان : كاهين يفترض صعودهم جبل البرتقال .. فماذا تكون الحال ؟
أم العبر : هذا فرض محال .
شومان : ولكنه مجرد احتمال .
أم العبر : فى هذه الحالة يا سيدى .. أرمى بآخر سهم فى يدى .. وأحضر لهم المارد الأشدق .. العفريت « السفرتق »
شومان : سفرتق ؟!
أم العبر : سلطان الجن الازرق .
شومان : وإذا استعانوا بسلطان الجن الأحمر ؟
أم العبر : هل تظن أو تتصور .. يا سيدى الكاهن الأكبر .. أن سلطان الجن الاحمر وسلطان الجن الازرق .. يتقاتلان .. من أجل سواد عينى الملك كنعان .
لا يا سيدى الكاهن شومان .
شومان : كذا يا أم العبر ؟
أم العبر : لن تنتهى حيل الغجر .. هو هوه .
شومان : (وهو يتهيأ للانصراف) .. طيب انصرف انا الآن .
أم العبر : فى سلام وأمان .
لاتنس أخبار السلطان .
شومان : كل شىء بأوان .

* * *

جلفدان : وخرج الكاهن فى الحال .. فتسلل من جبل البرتقال .. وجعل

يرصد حركات السلطان .. ووزيره لقمان .. حتى آن الأوان ..
وحدث ما نراه الآن .

* * *

وهنا قطع الأذان .. رواية جلفدان .. فامسكت عن حكايتها .. وانصرفت الى عبادتها .

وبهذا ينتهى هذا اليوم . من الف يوم ويوم .

ولما كان اليوم التالى .. على التوالى .. أسرعت الأميرة الى البستان .. وجلست الى مربيتها **جلفدان** .

وتحت فروع الخميلة .. وعلى أنغام الطيور الجميلة .. فتحت **جلفدان** باب الاحلام .. وجعلت تستأنف الكلام .. وتبدؤه بالصلاة والسلام .

* * *

جلفدان : **وبعد الصلاة والسلام .. على خير الأنام .. يعود بنا الكلام .. إلى الفتى زعفران .. لما طلب إخلاء المكان .. وأسرَّ الى السلطان .. أن هناك من يتجسس عليهم .. ويتسلل إليهم .. فينقل الى الغجر أخبارهم .. ويكشف لهم أسرارهم .. ولولا ذلك لصعدوا إليهم وقضوا عليهم .. وخلصوا الأماكن المقدسة من أيديهم .. وأرجعوا الأهالى إلى أراضيهم .**

وعندئذ اتفق السلطان .. مع الوزير لقمان .. والكاهن شومان . على أن تكون قرارتهم .. سراً بينهم .. لا يعرفها أحد غيرهم .. وبهذا يصونون أسرارهم .. ولم يعلموا أن ذلك الكاهن .. هو نفسه الجاسوس الخائن .. وانه هو الذى ينقل كل اسرارهم .. إلى أعدائهم .. ولهذا تكررت المأساة .. واستقبلوهم بالرماة.. ونزلت عليهم سهام الغجر .. مثل المطر .. فارتدَّ الرجال .. عن جبل البرتقال .. بعد أن كثرت ضحاياهم .. وزاد عدد جرحاهم .. وعاد الفرسان .. يجرون ثوب الخذلان .. ودخل زعفران .. على السلطان .. وحدث ما نراه الآن :

السلطان : ماذا تقول يا زعفران ؟
أتسمع يا لقمان .. أتسمع يا شومان .

لقمان : (فى مرارة) .. هذه إحدى عجائب الزمان .

السلطان : حفنة من الغجر يأسرون الوالى .. ويهزمون رجالى .

لقمان : ويعتدون على الأهالى .

زعفران : ويخرجونهم من أراضيهم .

السلطان : (فى مرارة) .. والمعبد الذى وقع فى آيديهم .
شومان : ألم أقل لك يا مولاى السلطان .
السلطان : الذى يحزُّ فى نفسى يا شومان .. أن تتكرر هزائمنا أمام أولئك الجرذان .
شومان : لأننا نحاول المستحيل يا ملك الزمان .
زعفران : (منفعلا) .. لا يا كاهن الكهان .
السلطان : هل عندك جديد يا زعفران .
زعفران : أنا مازلت عند رأيى يا مولاى السلطان .
هناك من ينقل إليهم كل اسرارنا .. بدليل أننا وجدناهم فى انتظارنا
شومان : لا . ليس هذا دليلا يا زعفران .
زعفران : بل هو أكبر برهان .
شومان : إننا نخدع أنفسنا عن صوابها .. إذا رددنا الأشياء لغير أسبابها .. إن المعتدى لا يأمن المعتدى عليه .. ولا يمكن أن يطمئن إليه .. وهؤلاء قوم اغتصبوا أرضنا .. وطردوا أهلنا .. فهل تراهم يطمئنون لنا ؟
وأى غرابة فى أن يتراقبوا وصولنا .. ويستعدوا لنا ؟
ثم كيف تصل إليهم أسرارنا .. ولا يعرفها أحد غيرنا .. مولانا السلطان وأبوك وأنا .
هل تشك فى أحدنا ؟
زعفران : ... ...
شومان : هيه ؟ تكلم يا زعفران .
زعفران : (فى حيرة) لا أدرى ماذا أقول يا سيدى الكاهن شومان .
السلطان : ماذا تقول أنت يا لقمان ؟
لقمان : (مترددا) .. يبدو أن الأمر كما يقول كاهن الكهان .
السلطان : فماذا نصنع الآن ؟
لقمان : المشكلة التى تواجهنا الآن .. هى الصعود اليهم يا مولانا السلطان .
إذا صعدنا جبل البرتقال .. انحل الاشكال .
السلطان : وكيف نصعد إليهم اذا كانوا فى قمة الجبل متحصنين .. يصدون بسهامهم جميع المهاجمين .. ويردونهم مهزومين ؟
لقمان : إذا صعدنا إليهم .
السلطان : (يقاطعه) .. إذا صعدنا إليهم .. فما أسهل القضاء عليهم .
شومان : (يشيع روح الانهزامية) .. ما أسهل الكلام .. وما أصعب مواجهة السهام .

لقمان : (وقد لمعت فى رأسه فكرة) سوف لا يستعملون سهامهم .. سيفاجأون بوجودنا أمامهم .

السلطان : كيف أيها الوزير .

لقمان : بواسطة المعبد الكبير .

شومان : وما شأن المعبد يا .

السلطان : (يقاطعه) .. انتظر أنت يا شومان .
(ثم يلتفت إلى لقمان قائلًا) أكمل يا لقمان .

لقمان : لقد فكرت وأطلت التفكير .

السلطان : وعلام أنتهيت أيها الوزير .

لقمان : عندى خطة تحتاج لبعض الوقت يا مولاى السلطان .

السلطان : هات ما عندك يا لقمان .

لقمان : أنت تعلم يا مولاى أنه سيأتى موسم الحج .

السلطان : نعم .

لقمان : وان الحجاج سيذهبون الى المعبد من كل فج .

السلطان : نعم .

لقمان : فاذا تنكر فرساننا فى هيئة حجاج .. وذهبوا إلى الجبل مع هذه الأفواج .. مع ملاحظة أن يسيروا فى أوقات مختلفة .. ومن أماكن مختلفة .. وهم يخفون أسلحتهم .. فى أمتعتهم .. حتى إذا رأيتهم .. قد تكامل جمعهم .. أشرت أنا إليهم .. فأخرجوا أسلحتهم ومالوا عليهم .. فيفاجأ الغجر بالرجال .. وقد اقتحموا عليهم جبل البرتقال وبهذا نقضى عليهم يا مولانا .. ونتخلص من العار والاهانة .

السلطان : (يطرق مفكراً) .. هم .

لقمان : هذا هو ماهدانى إليه طول التفكير .

السلطان : إنى أتأمل ما تقول أيها الوزير .

زعفران : اذا لم يتسرب الى الغجر سر هذه الخطة يا مولاى السلطان .

السلطان : لا يا زعفران .
ليس معنا الآن .. إلا أبوك والكاهن شومان . فاسرارنا فى أمان ..
ولكنى أسأل .. أترون أن الحج فى هذا العام لا يتعطل ؟

لقمان : لقد فكرت فى هذا يا مولاى السلطان .

السلطان : فماذا رأيت يا لقمان ؟

لقمان : رأيت أن هؤلاء الغجر بطباعهم .. يتحركون وراء أطماعهم ..

وسوف يستغلون موسم الحج والزيارة .. ويجعلونه موسما للتجارة .
فاذا كانوا سيستغلونه .. فانهم لا يعطلونه .

السلطان : هذا صحيح أحسنت يا لقمان .
ولكن ماذا يقول الكاهن شومان ؟

شومان : أقول إنها خطة محكمة يا مولاى السلطان .. لولا أنها تحتاج إلى زمان

لقمان : بالضبط .. وقد سبق أن قلت .. إنها تحتاج لبعض الوقت .

زعفران : ولن يضيع هذا الوقت هدرا يا ملك الزمان .

السلطان : كيف يا زعفران ؟

زعفران : لقد مكثنا بضعة أيام .. ونحن نرصد قوافل أولئك اللئام .. فوجدناها تخرج متسترة بالظلام .. وتعود إليهم متسترة بالظلام .. وقد أعددت لهم فرسان الليل .. على ظهور الخيل .. يكمنوُن لهم فى كل واد .. ويقفون لقوافلهم بالمرصاد .. وبهذا نضعفهم .. ونقطع المدد عنهم .. إلى أن نحرر الأرض منهم .

السلطان : (مسروراً) .. ما أحسن ما تكلمت يا زعفران .

زعفران : (فى خجل) .. بعض هذا يا مولاى السلطان .

السلطان : شجاعة قلبك .. ورجاحة رأيك .. أنت يا ولدى أكبر من سنك .

زعفران : أرجو أن أكون دائما عند حسن ظنك .

لقمان : لا أدرى ماذا أقول يامولاى السلطان .

السلطان : إنه ابن أبيه يا حكيم الزمان .

شومان : يعنى أمامنا الآن خطتان .

السلطان : نعم يا شومان .
الخطة الكبرى التى سينفذها لقمان .. والخطة العاجلة التى سيقوم بها زعفران

زعفران : ستأتيك أخبارنا يا مولاى السلطان .

السلطان : حسن يا زعفران ..
ولكن لنعد أنفسنا من الآن .. لتنفيذ خطة لقمان .

لقمان : أمر مولانا السلطان .

* * *

جلفدان : ونفذ زعفران خطته العاجلة .. فضايق العدو واعترض قوافله .. وانتشرت أخبار فرسان الليل فى كل مكان .. وانتهت بطبيعة

الحال إلى الأميرة عطرشان ..
وبينما كان زعفران .. فى البستان .. يعزف على نايه بعض الألحان أقبلت عليه عطرشان .

عطرشان : زعفران .

زعفران : (يمسك عن العزف ويقبل عليها قائلًا) .. عطرشان لقد كنت أدعوك بهذه الألحان .

عطرشان : دعك من هذا الآن .

زعفران : مابك يا عطرشان ؟

عطرشان : قل لى .. من متى كنت تخفى اسرارك عنى ؟

زعفران : أسرار ؟

عطرشان : عبثا تحاول الانكار .. بعد أن استفاضت الاخبار .

زعفران : ولكننى تركت الكلام عما وراء البحار .. الأمر الذى كان موضوع الاستنكار .

عطرشان : لا . أنا لست أقصد هذا .
لقد نسى الناس هذا الكلام .. ولا حديث لهم فى هذه الأيام .. غير ما تفعله مع فرسان الليل فى الظلام .

زعفران : (متضاحكا) .. فرسان الليل .

عطرشان : تخرجون على ظهور الخيل .. وتهاجمون قوافلهم بليل ..

زعفران : لابد أن نقطع المدد عنهم .. حتى نحرر البلاد منهم .

عطرشان : ولكنك تتقدم الفرسان .. وتخاطر بحياتك يا زعفران .

زعفران : (ببساطة) .. الأمر أهون من هذا يا عطرشان .

عطرشان : و ليس فى هذا خطر .

زعفران : (يتضاحك قائلًا) .. خطر .
إنك لا تعرفين اولئك الغجر .
إنهم جبناء أنذال .. لا يصبرون على قتال .. ولولا تحصنهم فى جبل البرتقال .

عطرشان : (تقاطعه قائلةً) .. ولكنها مخاطرة على أى حال .

زعفران : إن هؤلاء الغجر .. هم حثالة البشر .. ليس لهم وطن .. ولا سكن يعيشون على هامش المدن .. ويتطفلون على المجتمعات ..
ولا يعرفون غير كلمة هات ..

عطرشان : أعرف هذا يا زعفران .

زعفران : لابد أن يدفعوا ثمن العدوان .
لابد أن يعود المشردون الى أراضيهم .. ويطلق سراح الوالى ويحرر المعبد من أيديهم .
عطرشان : ... ...
زعفران : هه . لماذا سكت الآن ؟
عطرشان : لاأدرى ماذا أقول يازعفران .. ولكن إذا لم يكن بُد من الحرب والطعان .. فسأخرج معك على رأس الفرسان .
زعفران : (وقد فوجىء) .. ماذا ؟!
عطرشان : ما تقول فى هذا ؟
زعفران : (بلهجة الاستنكار) .. أنت يا عطرشان ؟!
عطرشان : نعم أنا يا زعفران .
أنت تعرف أننى أحسن الكر والفر .. وأن الشر بالشر .
زعفران : (يحاول أن يعترض) .. ولكن الـ .
عطرشان : (تقاطعه قائلة) .. لا مفر .. وإلا فلماذا كان يعلمنى عمى لقمان .
الركوب والطعان .. ومنازلة الأقران .
لا يا زعفران .. سأكون معك على رأس الفرسان .
زعفران : والسلطان ؟
عطرشان : هل تظن أن أبى .. يمنعنى عن أداء واجبى .
زعفران : حسن يا عطرشان .
ولكن أتنظرينى حتى آخذ الإذن من السلطان .
عطرشان : متى يا زعفران ؟
زعفران : أنا ذاهب إليه الآن .
عطرشان : وأنا سأذهب الى عمى لقمان .. ليوافيكما فى الديوان .

* * *

جلفدان : **وتسلل الكاهن شومان إلى مضارب الغجر .. ودخل على أم العبر**
شومان : (داخلا عليها) .. أم العبر .
أم العبر : شومان .. أين كنت يا كاهن الكهان .
أرايت الى ما يفعله زعفران .. وكيف يباغت قوافلنا بالفرسان .
شومان : لماذا لم ترسلى الىّ كاهين أو سمعان .. لقد أصبح مجيئى اليكم متعسراً الآن .

أم العبر : (فى غيظ شديد) .. يكمنون لقوافلنا فى ظلام الليل .. حتى إذا ظهرت طلائع الخيل .. انصبوا عليها كالسيل .

شومان : حقا لقد طفح الكيل .

أم العبر : ماذا عندك يا شومان .. للقضاء على زعفران ؟

شومان : دعينا من زعفران الآن .

أم العبر : إننا نختنق يا كاهن الكهان .

واذا دامت الحال .. على هذا المنوال .. ستتأثر حياتنا فى جبل البرتقال .

شومان : هناك ما هو أخطر من ذلك يا أم العبر .. انك لا تعرفين ما يدبره لكم القدر .

أم العبر : أكثر من هذا الخطر ؟

شومان : وأدهى يا أم العبر .

أم العبر : (فى اهتمام) .. ماذا تقول يا شومان ؟

شومان : السلطان . ووزيره لقمان .

أم العبر : ما بالهما ؟

شومان : يجهزان الرجال .. ليقتحموا جبل البرتقال .

أم العبر : لن يصعدوا إلينا بحال .. لأننا نردهم بالنبال .

شومان : بل ستفاجأون بهم وقد أحاطوا بكم .. وأضيع أنا بسببكم .

أم العبر : (فى دهشة) .. نفاجأ بهم هنا فوق الجبل ؟

شومان : أجل .

أم العبر : كيف ؟

شومان : لقد اقترب موسم الحج ..

أم العبر : (فى فضول) نعم .

شومان : وبطبيعة الحال سيأتى الحجاج من كل فج .. فوجا وراء فوج .

أم العبر : نعم .

شومان : ولهذا استعمل لقمان دهاءه وحكمته .. ووضع خطته .. بحيث يأتى الفرسان مع هذه الأفواج .. وهم متنكرون فى صورة حجاج .

أم العبر : (تدق صدرها بيدها وتشهق)

شومان : (مستمراً) .. وبهذا يصعدون اليكم .. ويتمكنون من القضاء عليكم .

أم العبر : وماذا عن أسلحتهم .

شومان : سيخفونها فى أمتعتهم .. حتى إذا تكامل جمعهم .. أشار لقمان لهم .
فأخرجوا أسلحتهم .. ولن تستطيعوا عندئذ مقاومتهم .

أم العبر : (وهى تتأمل الخطة) .. نعم .. كل هذا من تدبير لقمان !

شومان : يسمونه فى بلاد النهروان .. حكيم الزمان .

أم العبر : لقد أحسنت يا شومان ..
سترى ما نصنع بهم .. لقد سعوا الى حتفهم . بظلفهم .

شومان : لكن .

أم العبر : ألست تريد أن تتخلص من لقمان ؟
سنخلصك من لقمان .. وستكون من بعده وزيراً للسلطان .

شومان : (فى شك) .. أوهام . وأحلام .

أم العبر : انتهى الكلام ..
تستطيع أن تنصرف بسلام .. وسترى ما تأتى به الأيام .

* * *

كانت الأميرة عطرشان .. تحكى لأبيها السلطان .. عن غاراتها الليلية مع زعفران .. وكان السلطان مسرورا وهو مقبل عليهما .. يستمع اليهما .

السلطان : (يضحك طويلًا)

زعفران : (يكمل حديثه) .. ثم هجمنا عليهم يا مولانا السلطان .

السلطان : (يقاطعه فى لطف) .. انتظر أنت يا زعفران .
(ثم يقبل على الأميرة قائلًا) .. ثم ماذا يا عطرشان .

عطرشان : (تكمل الحديث) .. ثم نصبنا لهم الكمين .. وبقينا منتظرين .

السلطان : (وهو يستمع فى سرور وفضول) .. هيه ؟

عطرشان : حتى إذا أقبلت القافلة .. وهى حافلة .. أشار زعفران . للفرسان
فأحطنا بهم من كل مكان .

زعفران : وقتل من قتل .. وهرب من هرب .

عطرشان : ووزعنا على الفرسان الغنائم والسلب .

* * *

جلفدان : وفى هذه اللحظة . أقبل شومان .. على السلطان .. ليخبره أن

الوزير لقمان .. على رأس الفرسان .. وقد لبسوا ملابس الحج .
وملأوا كل فج ..

السلطان : نعم هذه خطة لقمان .. سيبدأ تنفيذها الآن .
زعفران : كنت أريد أن أصحب أبى يا مولاى السلطان .
السلطان : قلت لك يا زعفران .. إنك ستحل محل أبيك فى الديوان .. إلى أن يعود بسلام وأمان .
شومان : هل تحب أن تودعهم يا ملك الزمان .
السلطان : نعم . تقدمنا يا شومان.. تعال يا زعفران .. وأنت يا عطرشان .

* * *

وهنا قطع الأذان .. رواية جلفدان .. فامسكت عن حكايتها .. وانصرفت الى عبادتها .

وبهذا ينتهى هذا اليوم . من الف يوم ويوم .

ولما كان اليوم التالى .. على التوالى .. أسرعت الأميرة الى البستان .. وجلست الى مربيتها **جلفدان** .

وتحت فروع الخميلة .. وعلى أنغام الطيور الجميلة .. فتحت **جلفدان** باب الاحلام .. وجعلت تستأنف الكلام .. وتبدؤه بالصلاة والسلام .

* * *

جلفدان : وبعد الصلاة والسلام .. على خير الأنام .. يعود بنا الكلام .. إلى الوزير لقمان .. لما عرض خطته .. وشرح فكرته .. واقتنع السلطان بها .. وأمره بتنفيذها .. فجهز الفرسان .. وجردهم من مظاهر الحرب والطعان .. فأخفوا كل أسلحتهم .. فى أمتعتهم وتنكروا فى ملابس الحجاج .. وخرجوا فى أفواج .. إثر أفواج .
ثم لحق الوزير .. بالفوج الأخير .
وهكذا سار الرجال .. الى جبل البرتقال .. ليقضوا على أعاديهم وينقذوا المعبد من ايديهم .. ويخلصوا الوالى من اسارهم .. ويعيدوا الأهالى إلى ديارهم .

* * *

ومرت أيام .. وأعقبتها أيام .. وبدأ القلق يساور الفتى زعفران .. فانطلق الى السلطان .. وحدث ما نراه الآن .

زعفران : (فى قلق) .. مولاى السلطان .
السلطان : أراك قلقا يا زعفران .
زعفران : إغفر لى يامولاى السلطان .. اذا قلت إن انقطاع اخبارهم لا يدعو إلى الاطمئنان .
السلطان : يا ولدى يا زعفران .
زعفران : ماذا نصنع الآن .
السلطان : نحن فى انتظار .. ما تأتى به الأقدار .

زعفران : (فى قلق) .. طال الانتظار .. وانقطعت الأخبار .

السلطان : مادام والدك الحكيم لقمان .. على رأس الفرسان .. فلا تخش بأساً يا زعفران .

ثم لا تنس أن رجالنا متنكرون .. يعنى لن يفطن إليهم اولئك المجرمون .. حتى يفاجأوا بهم .. وقد مالوا عليهم بأسلحتهم ..

زعفران : أخشى أن تكون قد تسرّبت أخبارنا .. ووصلت إلى الغجر أسرارنا .

السلطان : وكيف تصل إليهم أسرارنا .. ولم يعلم بها أحد غيرنا .

زعفران : (أشدّ قلقاً) .. لا أدرى لا أدرى يا مولاى السلطان .

(ثم يستدرك قائلا) .. ولكن لماذا لا نرسل وراءهم بعض الاعوان حتى يأتونا بأخبارهم .. وأسراز تأخيرهم .

* * *

جلفدان : وعندئذ يسمع صوت المرزبان .. وهو قادم يصرخ : يامولانا السلطان .

السلطان : ما هذا ؟

المرزبان : (داخلًا يصيح) .. يا مولانا السلطان .

السلطان : المرزبان .

المرزبان : الأمان الأمان .. يا ملك الزمان .

زعفران : ما الذى حدث أيها المرزبان .

المرزبان : خيانة .

السلطان : خيانة ؟!

المرزبان : نعم يا مولانا .

لقد وقف الغجر على أسرارنا .. ولذلك كانوا فى انتظارنا .. وقبل أن نتمكن من إخراج أسلحتنا .. فاجأونا وأحاطوا بنا .

زعفران : (فى لهفة) .. وأبى .

المرزبان : (بصوت مختنق) .. إلـ .. إلـ .

زعفران : (منفعلا) .. أين أبى .

المرزبان : ... ...

السلطان : أين الوزير لقمان .

المرزبان : (يبكى) .

زعفران : (صارخاً) .. مات .

المرزبان : أستطعنا أن نحضر جثته معنا .. ونحن فى الـ .

زعفران : أبى .. أبى .

السلطان : لاحول ولا قوة إلا بالله .

المرزبان : لك يا مولاى طول الحياة .

السلطان : (فى مرارة) .. يقتلون الوزير لقمان .. حكيم الزمان .
ولكن . كيف حدث هذا وكيف كان .. وأين بقية الفرسان ..
أذكر كل شيء يا مرزبان .

المرزبان : لم نكتشف أن هناك خيانة .. إلا بعد أن انكشفنا يا مولانا .

زعفران : (وصوته يختنق) .. كيف . كيف .

المرزبان : قبل أن نصعد لهم .. كانت أخبارنا عندهم .

السلطان : ألم تكونوا متنكرين ؟

المرزبان : كنا متنكرين .. ولهذا كنا غير مسلحين .
كانت أسلحتنا .. داخل أمتعتنا .. ولم نعرف أنهم كانوا يراقبوننا ..
حتى اذا تكامل جمعنا .. أحاطوا بنا .. وحالوا بيننا وبين متاعنا ..
فحرمونا من سلاحنا ..
وتقدمت الكاهنة أم العبر .. صفوف الغجر .. وكأنى أسمعها الآن .
وهى تصيح فى الفرسان .

أم العبر : مكانكم مكانكم ..

كاهين : لا يتحرك أحد من مكانه .. ولا يمد يده الى متاعه .

لقمان : ماذا تريدون يا فارس الغجر ؟

كاهين : مجرد اعادة نظر .

المرزبان : ولكنكم تسببون للحجاج بعض الكدر .

أم العبر : (وهى تجذبه إليها) .. تعال هنا .

المرزبان : أنا ؟

أم العبر : من أنتم .. ولماذا جئتم ؟

المرزبان : نحن حجاج بيت الله .

أم العبر : (فى سخرية) .. حجاج بيت الله !
فما زاد حجاج بيت الله .. إذا خرجوا يلتمسون رضاه ؟

لقمان : كلمة لا إله إلا الله .

أم العبر : سنقف على حقيقتكم .. عندما نفتش أمتعتكم .

لقمان : (بلهجة الاستنكار) .. تفتشون أمتعتنا ؟!

أم العبر : لنعرف لماذا جئتم عندنا .

(ثم بلهجة الأمر) فتشوهم يا رجال .

كاهين : (وهم يقومون بتفتيشهم) فى الحال .

سمعان : ما الذى فى هذا الخرج ؟

المرزبان : فيه لوازم الحج .

سمعان : أرنى .

المرزبان : (يحاول أن يمنعه) .. لا . لا ياسيدى .

سمعان : إرفع يدك يا جبان .

(وهو يرفع السيف الذى وجده فى حقيبته) .. ما هذا ؟

أم العبر : ماذا وجدت فى حقيبته ؟

سمعان : وجدت هذا السيف فى عيبته .

أم العبر : يه يه يه .

كاهين : انظرى يا أم العبر .

أم العبر : ماذا وجدت يا شيخ الغجر .

كاهين : هذا سيف صمصام .. وهذه جعبة سهام .

أم العبر : (تقهقه ضاحكة وهى تقول) .. لقد سقط اللثام .

لقمان : أتسمحين لى بالكلام .

أم العبر : عبثاً تحاولون .. الحجاج لا يتسلحون .

كاهين : أنكشف أمركم .. وافتضح سركم .

أم العبر : لقد كنا نراقبكم .. من ساعة خروجكم .. إلى ساعة وصولكم .

لقمان : (يحاول أن يتكلم) .. نحن الـ .

أم العبر : (تقاطعه قائلةً) .. أنتم الآن تحت رحمتنا .. سلاحكم فى أمتعتكم وسلاحنا فى يدنا .

(ثم تصيح) .. هذا يوم الغجر .. اهجموا عليهم ..

لقمان : دافعوا عن أنفسكم يا رجال .. موتوا ميتة الأبطال .

المرزبان : (يواصل حكايته أمام السلطان) .. هذا يا مولاى كل ما جرى .. كانت مجزرة .. وكانت لنا مفاجأة .. ومعركة غير متكافئة .

لم نتمكن من اخراج أسلحتنا .. فلم ينج مناكلنا .. غير قائد الميمنة وأنا . نجونا على الأحصنة .

وبينما كنت أسرع إلى حصانى.. وجدت الوزيرلقمان ملقىأمامى ..

كانت لاتزال فيه الروح .. فحملناه من بين القتلى وانطلقنا به مثل
الريح .. وفى الطريق مات الوزير الجريح .
هذا هو كل ما حدث يا مولانا .. وهذه هى نتيجة الخيانة .

السلطان : (وهو يقاوم انفعالاته) على أى حال سوف نعرف السبب .
اليوم ليس يوما للحزن .. ولكنه يوم للغضب .
(ثم يصدر أوامره قائلا) .. يعلن الحداد .. فى جميع أنحاء البلاد ..
ويحرق جثمان الوزير .. فى احتفال مهيب كبير .. يليق بمقام الوزير
لقمان .. حكيم الزمان .
أما أولئك الغجر الأوشاب .. فلن تمضى الجريمة بدون عقاب لن
يكون للحرب بديل .. وانا والغجر والزمان طويل .

* * *

جلفدان : وكان زعفران .. فى البستان .. يبث الناى أحزانه .. ويشكو إليه أشجانه .. فأقبلت على صوت الناى عطرشان .. وقد برحت بها الأحزان .

عطرشان : (بصوت مختنق) .. زعفران .

زعفران : (وهو يقاوم انفعالاته) .. عطرشان .

عطرشان : (تنفجر باكية) ..

زعفران : (وهو يقاوم انفعالاته) .. لا . لا تبكى يا بنت السلطان .

عطرشان : أنا لا أبكى وحدى .. يُخَيَّل إلىَّ أن كل ما حولى يبكى .

زعفران : الخطب أكبر من البكاء يا عطرشان .

عطرشان : لقد كنت تعْزف على الناى الآن .. فلم تكن أنغامك إلا بكاء
يا زعفران .

زعفران : بعد أن قتلوا أبى .. لن تخمد نار غضبى .
لن تهدأ نارى .. ولن يقر قرارى .. إلا اذا أخذت بثارى .

عطرشان : ألا يكفيك ما تقوم به من غارات ؟

زعفران : هيهات هيهات .

عطرشان : من يوم وفاة عمى وأنت كل ليلة تخرج إليهم .. وتشنُّ الغارة عليهم ..
وتستولى على قوافلهم وتقتل رجالهم .

زعفران : وأين هذا مما أعد لهم .
عطرشان : ماضر لو تركونا لحالنا .. ورحلوا عن بلادنا .
زعفران : لا . لا يكفى أن يتركوا بلادنا .. بعد ما جرى لنا .
هناك عقاب يقشعرٌ له البدن .. دم أبى غالٍ ولابد أت يدفعوا الثمن

* * *

جلفدان : وفى هذه اللحظة أقبل عليهما الحاجب كشمير .. وأخبر زعفران .
أن السلطان .. يريده الآن .
وتقدم زعفران .. إلى السلطان .

زعفران : (داخلًا يحيى السلطان) .. مولاى السلطان .. تحية يا ملك الزمان
السلطان : إنهض يا زعفران .
زعفران : خيرا يا مولاى السلطان .
السلطان : إن شاء الله .. إجلس فان عندى ما أقوله لك يا زعفران .
زعفران : (وهو يأخذ مكانه) .. نعم .
السلطان : رحم الله يا ولدى أباك .. كان مثال الولاء . والوفاء .
زعفران : لك يا مولاى طول البقاء .
السلطان : انك يا ولدى لا تعرف مكانتك عندى .. لقد نشأت يا ولدى فى بيتى .. وقد أحببتك صغيراً .. وقدرتك كبيرا .
والآن أريد أن آخذ رأيك يا زعفران .
زعفران : رأيى أنا ؟
السلطان : فى مسألة تهمنا .
زعفران : أنا يا مولاى رهن اشارتك .
السلطان : من اليوم ستكون يا ولدى فى مكان والدك .
زعفران : مولاى السلطان .
السلطان : ماذا تقول يا زعفران .
زعفران : ألهذا أرسلت الىَّ كشمير ؟
السلطان : نعم . ستكون أنت الوزير .
زعفران : (مرتبكا) هذا يا مولاى شرف كبير ..و .. ولكنى ولكنى .
السلطان : ولكنك ماذا يا ابنى .

زعفران : فى مثل سنى .. يكون هذا المنصب أكبر منى .

السلطان : إذا كنت صغيراً تكبرك أعمالك .. وترفعك خصالك .
ولو كانت المسألة بالسنّ لكان هناك من هو أولى بالملك منى .

زعفران : مولاى .. أرجو أن تسامحنى .. أنا لاأصلح للوزارة ولاالوزراة تصلح لى .

السلطان : لماذا يا ولدى .

زعفران : لأننى مشغول بثار والدى .. وغارات الليل تملأ وقتى يا سيدى .

السلطان : أولًا . ثار أبيك ليس ثأرك أنت وحدك .. وثانيا أنت فى الوزارة أقدر منك على أن تأخذ ثأرك .. وثالثا . هذا أمر يصدره اليك السلطان .. فماذا تقول يا زعفران ؟

زعفران : أقول سمعا وطاعة يا ملك الزمان .

السلطان : خلاص .
(ثم بلهجة الأمر) .. يا كاتب .. يكتب أمر بتعيين زعفران .. فى المكان .. الذى خلا بوفاة المرحوم لقمان .. وترسل بذلك التعليمات .. إلى جميع الجهات .
والآن يرفع الديوان .

* * *

جلفدان : وبهذه الأوامر صدر الاعلان .. وانتشر الخبر فى كل مكان .. ووصل إلى الكاهن شومان .. فماذا حدث وماذا كان .

* * *

وهنا قطع الأذان .. رواية جلفدان .. فامسكت عن حكايتها .. وانصرفت الى عبادتها .

وبهذا ينتهى هذا اليوم . من الف يوم ويوم .

ولما كان اليوم التالى .. على التوالى .. أسرعت الأميرة الى البستان .. وجلست الى مربيتها جلفدان .

وتحت فروع الخميلة .. وعلى أنغام الطيور الجميلة .. فتحت جلفدان باب الاحلام .. وجعلت تستأنف الكلام .. وتبدؤه بالصلاة والسلام .

* * *

جلفدان : وبعد الصلاة والسلام .. على خير الأنام .. يعود بنا الكلام .. إلى ماحدث فى بلاد النهروان .. عندما اقتنع السلطان .. بخطة وزيره لقمان .. وأرسله على رأس الرجال .. ليقتحموا جبل البرتقال .. فساروا أفواج .. وراء أفواج .. وهم متنكرون فى ملابس الحجاج ..
ولكن الكاهن الذى غدر .. والذى كان يعمل لحساب الغجر .. نقل أسرار الخطة إليهم .. فقلبوها عليهم .. وكانت ضربة مفاجئة .. ومعركة غير متكافئة .. ولقى الوزير لقمان مصرعه . وكل من كانوا معه ..
ومرت الأيام .. والفتى زعفران لا ينام .. بل يلبس حلة الظلام ويخرج مع فرسان الليل .. على ظهور الخيل .. فيقطع الطريق عليهم .. ويقتل من يقتل منهم .. ويستولى على القوافل الذاهبة اليهم . إلى أن رفعه السلطان .. وجعله فى مكان أبيه لقمان .. وبهذا أصبح وزيره .. وصار له الرأى والمشورة .. فأعاد النظر .. فى موقفهم من الغجر .. ومواطن الخطر .. وانطلق إلى السلطان .. تدفعه أفكار وأشجان .

زعفران : (داخلا يحيى السلطان) .. مولاى السلطان .

السلطان : لقد كنا نتحدث عنك الآن .. أنا والكاهن شومان .

زعفران : هل لى أن أعرف ما كنتما تقولان ؟

السلطان : كنا نتحدث عن الأثر .. الذى تحدثه غاراتك الليلية على قوافل الغجر

زعفران : الغجر .

شومان : نعم كنا نتحدث عن تشديد وطأتك عليهم .. وغاراتك الليلية على

القوافل التى ترد إليهم .. وكيف لم تشغلك مهام الوزراة الكثيرة .. عن هذه الغارات المثيرة .

زعفران : يا سيدى الكاهن شومان .. إننى أعيش للانتقام الآن .

السلطان : كلنا يعيش للانتقام .

لن يكون على هذه الأرض سلام .. مابقى فيها أولئك الطغام.. لابد أن يعود المشردون إلى أراضيهم .. لابد أن نخلص المعبد من أيديهم .

شومان : والوالى الذى يعانى من أسرهم .

السلطان : لابد أن نتخلص من شرهم .

زعفران : (يطلب الكلمة) .. اتأذن لى يا ملك الزمان .

السلطان : بدون استئذان .. ماذا تريد أن تقول يا زعفران .

زعفران : لقد كان مخططنا المرسوم .. والذى شارك فيه المرحوم .. أن نذهب إليهم .. ونقتحم الجبل عليهم ..

السلطان : نعم .

زعفران : (مواصلا كلامه) .. وقد ثبت فشل هذه الخطة معهم .. بسبب انكشاف مواقعنا وتحصينهم مواقعهم .

السلطان : هل عندك خطة ثانية .

زعفران : نعم . عندى خطة ثانية .

السلطان : ما هيه ؟

زعفران : اذا كان صعودنا إليهم متعذرا علينا .. فإننا نستطيع أن نرغمهم على النزول إلينا .

شومان : وأى شىء يرغمهم .. اذا كانوا فى قمة الجبل تحميهم مواقعهم .

زعفران : يا سيدى الكاهن أنت تراهم فى قمة الجبل متحصنين .

شومان : نعم .

زعفران : ولكنهم لا يستطيعون أن يعيشوا عن العالم معزولين لابد أن ينزلوا من حصنهم .. على رغمهم .

شومان : وأى شىء يرغمهم .

زعفران : حياتهم وتجارتهم .

إنهم لا يستطيعون أن يعيشوا وحدهم .. لابد أن يقايضوا غيرهم .. على ما عندهم .. وإذا كنا لا نستطيع أن نطلع لهم .. فاننا نستطيع محاصرتهم .

وبهذا يقعون بين نارين .. ويقفون أمام إحدى اثنتين .. فإما أن يعيشوا فى الجبل معزولين .. فيكونوا مساجين .. أو كالمساجين .. وإما أن ينزلوا مستقتلين . أو مستسلمين .

السلطان : (وهو يتأمل) .. هم .. لقد أشرت يا زعفران .

شومان : (معترضاً) .. لا يامولاى السلطان .

السلطان : لماذا أيها الكاهن شومان .

شومان : إن وزيرك زعفران .. ينسى أن فى أسرهم الأمير عدنان .

زعفران : أنا لم أنس أن الـ .

شومان : بل أنت تنسى أن الأمير فى أسرهم .. وأننا إذا حاصرناهم فلن ينجو الأمير من شرهم .

زعفران : وما الذى يستطيعونه ؟

شومان : يقتلونه .

السلطان : يقتلون ابن عمى الأمير عدنان !

زعفران : لا يا مولاى السلطان .. لن يمسوا شعرة من مفرق الأمير عدنان .

شومان : ومن يضمن لك هذا أيها الوزير زعفران .

زعفران : أيها الكاهن شومان .

أن الغجر حين أسروا الأمير عدنان .. فإنما أسروه ليساوموا عليه السلطان .

فاذا هم قتلوا الأمير .. فلن يستطيعوا أن يساوموا فى قليل أو كثير .

شومان : أنت يا ولدى مازلت صغيراً على أى حال .. لا تعرف ما يفعله اليأس فى نفوس الرجال .

زعفران : لا يا كاهن الكهان .

شومان : أيها الوزير زعفران .

زعفران : أيها الكاهن شومان .

شومان : إنك لن ..

السلطان : (يسكتهما باشارة من يده وهو يقول) .. كفى . كفى .

الكاهن شومان .. يختلف مع زعفران كما كان يختلف مع المرحوم لقمان .

شومان : مادعانى إلى الكلام .. إلا الخوف مما تأتى به الأيام .

زعفران : هذه أوهام .

وإلا فعلى أى شيء يساومون السلطان .. إذا هم قتلوا الأمير عدنان .

السلطان : حسن يا زعفران .
لقد استمعت إليكما .. وقال ما عنده كل منكما .. وسأنظر فيما قلتما . (ثم ينهض قائلًا) .. أما الآن .. فيرفع الديوان .

* * *

جلفدان : ولم تشغل مهام الوزارة زعفران .. عن الخروج ليلا على رأس الفرسان .. وكانت الأميرة عطرشان .. تخرج مع الرجال .. فيكمنون وراء التلال .. فى انتظار قوافل الفجر التى راحت تتجنب السير بالنهار .. حتى تختفى عن الأنظار .. ويكون لها من ظلام الليل ستار .

عطرشان : (وهى مختفية مع فرسان الليل وراء أحد التلال) .. زعفران .
زعفران : لا تقلقى يا عطرشان .
عطرشان : ينبغى أن تأمر الآن .. بعودة الفرسان .
المرزبان : الصياد يجب أن يكون صبورا يا بنت السلطان .
زعفران : نحن فى الانتظار يا عطرشان .
عطرشان : وإلى متى نظل منتظرين ؟
زعفران : إلى أن تظهر قوافل أولئك المجرمين .
عطرشان : (فى ضيق) .. من أول الليل ونحن نربض فى هذا الكمين .. فى انتظار القادمين .
زعفران : صبراً . فقد نقع على صيد ثمين .
عطرشان : أخشى أن يكونوا قد أحسوا بنا .. أو عرفوا أننا .. ننصب لهم كميناً هنا .
المرزبان : لم يغب هذا الاحتمال عن بالنا .
زعفران : ومن أجل ذلك رصدت لهم بعض رجالنا .. وهم الآن فى مواقعهم فوق التلال .. يراقبون قوافل هؤلاء الأنذال .
عطرشان : كل شىء بأوان .
زعفران : ما كان لك أن تخرجى مع فرسان الليل يا بنت السلطان .
عطرشان : ماذا تقول يا زعفران .
كشمير : (يصيح من فوق التل) مولاى الوزير .. مولاى الوزير .

زعفران : هذا صوت النذير .
المرزبان : إنه كشمير .
كشمير : (وقد اقترب منهم) .. هناك قافلة تسير .. وراء هذا التل الكبير .
زعفران : (يصيح برجاله) .. خيولكم يا فرسان .
عطرشان : سيوفكم يا شجعان .
المرزبان : هيا يا فرسان الليل القتال القتال .
زعفران : (وهو يتقدم الفرسان) .. أنظرى يا أميرة .
عطرشان : يبدو أنها قافلة كبيرة .
المرزبان : (وقد وجدهم يتركون القافلة ويسرعون بالفرار) .. الله ! ماهذا ؟
زعفران : من المؤكد أنهم أحسوا بنا .
عطرشان : يحاولون الفرار من هنا .
المرزبان : أنظرى يا أميرة .. إنهم يفرون كالأرانب المذعورة .
زعفران : أدركوهم قبل أن يتمكنوا من الفرار .
عطرشان : البدار البدار .
زعفران : الثار الثار .
المرزبان : الويل لكم يا أعداء الله .. لا مهرب لكم ولا نجاة .
عطرشان : إنهم يسرعون الى هذا الاتجاه .
زعفران : (يأمر رجاله بالتوقف) .. كفى كفى لا تتبعوهم .. إنكم لا تستطيعون أن تدركوهم .
عطرشان : هرب الجبناء الأنذال .
زعفران : لا ذوا بجبل البرتقال .
المرزبان : ولكنهم تركوا القافلة والجمال .. بأحمالها الثقال .
عطرشان : غنيمة ساقها الله إلينا بدون قتال .
زعفران : سنوزعها غدا على الرجال .
أما الآن .. فالى النهروان .
عطرشان : هيا يا فرسان .
الجميع : إلى النهروان .

* * *

جلهدان : وتلقت الخبر .. أم العبر .. كما تتلقى طعنة قاتلة .. وأقبلت

على حراس القافلة .. وقد نال منها التعب .. وجدَّ بها الغضب .

أم العبر : (ثائرة) .. لو كان ورائى رجال .. يصبرون على القتال .. لما وصلنا إلى هذه الحال .

كاهين : (يلتمس التبرير) .. إنهم ليسوا من البشر .. إنهم جن يا أم العبر .

أم العبر : بل أنتم تجبنون أمامهم .. وتفرون وتتركون القافلة لهم .

كاهين : إنك لم تشهدى قتالهم .

أم العبر : أسكت يا عُرة الغجر .

كاهين : قدر .

أم العبر : لا تتكلم عن القدر .

كاهين : ماذا نصنع يا أم العبر .

إنك لم ترىْ فرسان الليل .. إنهم جن على ظهور الخيل .. ينصبُّون علينا مثل السيل .

أم العبر : كل ليلة يغيرون علينا .. ويستولون على القوافل الواردة الينا .. يا ويلى منكم .. وياويلى عليكم .

سمعان : مادام هناك زعفران .. فلا استقرار لنا ولا أمان .

أم العبر : (فى حقد شديد) .. زعفران .. لابد أن ننتهى من زعفران .. كما إنتهينا من أبيه لقمان .

كاهين : نحن فى هذا الجبل اللعين .. منذ سنين .. ولكننا منتصرون كمنهزمين

أم العبر : لابد أن نستقر فى هذا الجبل .

كاهين : والعمل ؟

سمعان : نحن شعب بلا وطن .. وقد وجدنا الأرض والسكن .

كاهين : هذا حلم لا يتحقق .. إلا إذا لجأنا إلى السفرتق .

سمعان : سلطان الجن الأزرق .

أم العبر : إنه آخر سهم فى يدنا .. إذا أحيط بنا .. اتفهمون .

* * *

جلفدان : ويسمع طرق على الباب .. وتصيح ام العبر .

أم العبر : من بالباب يا سمعان .

سمعان : مولانا الكاهن شومان .

كاهين : الكاهن الأكبر .

أم العبر : نهاره أغبر ..

(أثناء دخول شومان) .. تعال يا كاهن الكهان .

شومان : كاهن الكهان .. لا يهان .

أم العبر : ألم تسمع بما يعمله زعفران ؟

شومان : ألم تسمعى أنت .. بما يدبر لكم فى هذا الوقت ؟

أم العبر : أفصح يا شومان .

شومان : عرض زعفران .. على السلطان .. أن يحاصر الجبل بالجنود والفرسان حتى يفرض عليكم القتال .. أو كما قال ..

إنكم لا تستطيعون أن تعيشوا هنا وحدكم .. لابد أن تقايضوا غيركم على ما عندكم .. واذا كانوا لا يستطيعون أن يطلعوا لكم .. فانهم يستطيعون محاصرتكم .. وبهذا تقعون بين نارين .. وتجدون أنفسكم أمام أحد الشرين .. فإما أن تعيشوا فى الجبل معزولين .. وإما أن تنزلوا مستقتلين أو مستسلمين .

كاهين : يا للشيطان .

أم العبر : هذا يؤكد ضرورة التخلص من زعفران .. وهذه مهمتك أنت يا شومان .

شومان : (بلهجة الاستنكار) .. أنا ؟

أم العبر : (بلهجة حاسمة) .. نعم أنت .. أسمعت ؟

شومان : وما الذى أفعله ؟

أم العبر : تقتله .

شومان : (متفزعاً) .. أقتله ؟

أم العبر : (فى سخرية) .. ألا تعرف القتل ؟

شومان : (بلهجة الاستنكار) .. أنا أرتكب جريمة القتل ؟

أم العبر : لقد أرتكبتها بالفعل .

شومان : (بلهجة الاستنكار) .. أنا ؟

كاهين : ألست تجيئنا بأخبارهم .. وتتسبب فى قتل فرسانهم .

شومان : ولكن .

أم العبر : (بلهجة حاسمة) .. قدر موقفك أيها الكاهن .. قبل أن يعرفوا أنك جاسوس خائن .

إننا نستطيع أن نكشف خيانتك عند ال .

شومان : (منهاراً) لا . لا يا أم العبر .. ولكن .
(وهو يلتقط أنفاسه) .. ولكن انتظروا معشر الغجر ..
ألستم تريدون أن يقتل زعفران .
سيقتل زعفران ..
ولكن لا يقتله شومان .

أم العبر : ماذا تقول يا كاهن الكهان .

شومان : سيقتله السلطان .

أم العبر : كيف يا شومان .

شومان : هذه مهمتى أنا .. دعونى أخرج من هنا .. لقد انتهيت الى قرار .

أم العبر : ونحن فى الانتظار .

شومان : (وهو خارج) .. ستأتيكم الأخبار .

* * *

جلفدان : واسرع الكاهن الخائن .. فذهب الى معبد النهروان .. وجمع جميع الكهان .. وعندئذ .

* * *

وهنا قطع الأذان .. رواية جلفدان .. فامسكت عن حكايتها .. وانصرفت الى عبادتها .

وبهذا ينتهى هذا اليوم . من الف يوم ويوم .

ولما كان اليوم التالى .. على التوالى .. أسرعت الأميرة الى البستان .. وجلست الى مربيتها جلفدان .

وتحت فروع الخميلة .. وعلى أنغام الطيور الجميلة .. فتحت **جلفدان** باب الاحلام .. وجعلت تستأنف الكلام .. وتبدؤه بالصلاة والسلام .

* * *

جلفدان : **وبعد الصلاة والسلام .. على خير الأنام .. يعود بنا الكلام .. إلى شيوخ الغجر .. وكاهنتهم أم العبر .. لما اندفع زعفران .. وراء غضبه لبلده . والثأر لأبيه لقمان .. فشدد وطأته عليهم .. واستولى على القوافل الواردة إليهم – فقد لجأت كاهنة الغجر .. أم العبر .. إلى الكاهن شومان .. الذى غدر وخان .. وطلبت منه أن يقضى على زعفران .. كما قضى على أبيه لقمان .. وضعف الكاهن وانهار .. واراد أن يتحلَّل من هذا القرار .. ولكنهم هددوه بكشف خيانته .. وغدره بأمته .. ومازلوا يتهددونه .. ويتوعدونه .. إلى أن هدته طبيعته الشيطانية .. إلى فكرة جهنمية بمقتضاها يقتل السلطان .. الفتى زعفران .**

وتركهم كاهن الكهان .. وسار فى طريق الشيطان .. فاستثار الكهان .. الذين خرجوا من المعبد الكبير .. وهم يضربون بالصنوج ويدقون طبولهم .. وقد التفت الجماهير حولهم .. وهم يصيحون ويبكون .. ويقولون .. يا لطيف يا لطيف .. يا لطيف يا لطيف .

كشمير : (داخلًا على السلطان) .. أدركنا يا مولانا السلطان .

السلطان : (وقد استرعت انتباهه هذه الضجة وتلك الأصوات) .. ما هذا يا كشمير .

كشمير : إنه يا مولاى شيء خطير .

الكهنة تركوا المعبد وخرجوا فى ملابس الكهانة .. وقد رفعوا كتابهم المقدس يا مولانا .. والناس حولهم يضجون .. ويصرخون ويبكون .

السلطان : (فى اهتمام) .. وأين كاهن الكهان .
كشمير : إنه يتقدم هذه الجموع يا مولاى السلطان .
السلطان : (منفعلا) .. كأنه يقودهم .. ويمشى أمامهم .
كشمير : وقد رفعوا أعلامهم .. ودموعهم تسبق كلامهم .
السلطان : ادخلوا بعضهم .. لنرى ما عندهم .
الكهنة : (وهم يتقدمون إلى السلطان) .. يا لطيف يا لطيف ..
يا لطيف يا لطيف .
كشمير : وفد الكهنة يا مولانا السلطان .. وعلى رأسه كاهن الكهان .
السلطان : تقدموا أيها الكهان .
الكهنة : الأمان الأمان .. يا ملك الزمان .
السلطان : ما هذا الذى تفعلونه .. وماذا جرى فى المدينة .
الكهنة : يا لطيف يا لطيف .
السلطان : شومان .. ما شأن هؤلاء الكهان .. وما الذى جرى وكان .
شومان : الذى جرى .. الظلم والافترا .
الكهنة : (وهم ينخرطون فى بكاء شديد) .. يا لطيف السماء ، أهىء أهىء
أهىء .
السلطان : أنا لم أفهم شيئا إلى الآن .. ألا تستطيع أن تفصح ياشومان .
شومان : ألم تسأل نفسك يا ملك الرجال .. لماذا تكررت هزائمنا .
لماذا حدث لنا .. كل ما لحق بنا .
الكهنة : من سخط ربنا .
السلطان : من سخرية القدر .. أن ينتصر علينا حفنة من الغجر .
شومان : وسؤال يا مولانا السلطان .
السلطان : سل مابدا لك يا كاهن الكهان .
شومان : ما حكم من يعتدى على مقدسات المعبد .

السلطان : من يعتدى على مقدسات المعبد .. يمضى فيه حكم المعبد .
شومان : (يسأله) .. أى انسان ؟
السلطان : طبعا مهما كان .
ولكن ما الحكاية يا شومان ؟
شومان : الوزير الذى صنعته يا مولاى السلطان .
السلطان : زعفران ؟
الكهنة : أهان المعبد يا مولانا .

شومان : أكبر إهانة .. وأشعلها فتنة فى المدينة .. وصارت مدينة ملعونة .

السلطان : ما هذا الذى تقولونه .

شومان : يطعن فى مقدساتنا يا مولاى السلطان .

السلطان : آ .. إنكم تذكروننى بما كان .. فقد سمعت كلاماً كهذا عن زعفران (ثم يستدرك قائلًا) .. ولكن هذا كلام مضت عليه أزمان .. فما الذى حرّكه الآن ؟

شومان : الكلام ينتقل من مكان الى مكان .. والجدران لها آذان ..

الكهنة : إن البلد يرقص اليوم فوق بركان .

السلطان : وما الذى تريدونه الآن .

شومان : بيننا وبينه حكم المعبد .

السلطان : وأنا لن أتراجع ولن أتردد ..
إذهبوا أنتم الى معبدكم الآن .. وسأرسل فى طلب زعفران ..
سأتحقق بنفسى مما تقولون .. وما قدر سوف يكون .

الجميع : ... ...

السلطان : هه ؟ ماذا تنتظرون ؟

شومان : حلمك يا ملك الزمان .. أنت ترى أن الناس فى الخارج كالطوفان .
ورأيهم أننا لم نهزم أمام الغجر إلا لغضب الديان .. بسبب تجديف زعفران .. ولا يمكن أن أخرج لأقول لهم أى كلام يقال .. بل لابد أن تتم المحاكمة فى الحال .

كاهن : بحضور جميع الكهان .. تتم محاكمة زعفران .. حتى يتأكد العام والخاص .. أن العدالة لا تفرق بين الناس .

السلطان : حقا ليس على القانون كبير ...
(ثم ينادى) .. كشمير ..

كشمير : أمر مولاى .

السلطان : علىّ بالوزير .. بدون أى تأخير .

جلفدان : وعلمت الأميرة عطرشان .. بكل ما كان .. فانطلقت إلى زعفران .

عطرشان : (فى لهفة وجزع) .. زعفران .

زعفران : عطرشان .

عطرشان : ماذا تصنع هنا يا زعفران ؟

زعفران : أراجع خطة الغارة التى سنشنُّها الليلة يا بنت السلطان .

عطرشان : كأنك لا تعرف ما يجرى فى المدينة .. وما فعله الكهان وما يفعلونه ؟

زعفران : ماذا ؟

عطرشان : أثاروا كلامك القديم عن عالم البحار .. وخرجوا يستنكرون هذه الأفكار .

زعفران : (فى غيظ مكتوم) ذلك هو الجهل الذى يتخبطون فيه .

عطرشان : بل الخطر الذى يجب تلافيه .

زعفران : (فى ضيق) لن نخلص من معارضة الكهان .

عطرشان : (تلومه قائلة) .. ألم أقل لك يا زعفران .

زعفران : (فى إصرار) .. ولكنى لست غلطان .
هذه البحار المترامية .. لابد أن تكون وراءها عوالم ثانية .

عطرشان : إنك تعرض نفسك لغضب المعبد .

زعفران : (منفعلًا) .. ولماذا يغضب المعبد .
ثم إن هذه حكاية قديمة .. ما الذى حركها اليوم فى المدينة .

عطرشان : خرج الكهنة من المعبد يولولون .. ويدقون طبولهم ويبكون .. وقد رفعوا أعلامهم .. وحملوا كتابهم المقدس أمامهم .. واجتمع الناس عليهم من كل مكان .. واتجه الجميع الى السلطان .

زعفران : إذن لابد أن أقابل السلطان .

عطرشان : (فى خوف) .. زعفران .

زعفران : لابد من مواجهتهم .. لقد أعطونى الفرصة لمناقشتهم .

عطرشان : إنك تعرض نفسك لغضب المعبد .. وليس هناك مخلوق يستطيع أن يقف فى وجه المعبد .

زعفران : إنما أريد أن أتحدث معهم .. وليس من المستبعد أن أقنعهم .

عطرشان : اذكر ما قاله عمى .

زعفران : لكن تعالىْ أنت هنا .. ألم تكن هذه أفكارنا .

عطرشان : كان ذلك كلاما بيننا .

زعفران : فما الذى غيَّرك الآن .

عطرشان : زعفران .. أذكرِ ما قاله لك عمى لقمان .

زعفران : فماذا قال ؟

عطرشان : قال .. ليس كل ما يعرف يقال .

زعفران : (فى إصرار) .. لا يابنت السلطان .. أم ترين أنى جبان .. لقد واتتنى الفرصة لأحتكم الى السلطان .

* * *

جلفدان : وفى هذه اللحظة أقبل الحاجب كشمير .. وقال له : يا مولاى الوزير .. ان مولاى السلطان .. يريد أن يراك الآن .. ودخل زعفران .. على السلطان .

زعفران : مولاى السلطان .

السلطان : تعال يا زعفران .

زعفران : خيرا يا مولاى السلطان .

السلطان : لماذا يا ولدى تغضب الكهان .

زعفران : ولماذا يغضبون يا ملك الزمان ؟

شومان : ألم تقل هذه البحار المترامية .. وراءها عوالم ثانية .

زعفران : حسنا أيها الكاهن شومان .. إنى احتكم وإياكم إلى مولانا السلطان .

السلطان : نعم يا زعفران .

زعفران : الملاحون من قديم الزمان .. ومازالوا إلى الآن .. يسيرون بمحاذاة الشطآن ..
ولو أنهم اهتدوا بهذه الأفكار .. وساروا فى عرض البحار .. فلابد أن يكتشفوا عوالم مثلنا .. وقد يكون عندهم ما ليس عندنا .. فلو اتصلنا بهم واتصلوا بنا .. لكان فى ذلك خير لهم ولنا .

شومان : هذا اعتراف صريح .

زعفران : بل هو الرأى الصحيح .

الكهنة : أعوذ بالله .. ونستغفر الله .

زعفران : كنت أرجو بدلا من قذف الاتهام .. أن تناقشوا هذا الكلام .

السلطان : نعم دعونا نسمع قوله .

شومان : لقد اعترف يا مولانا والاعتراف سيد الادلة .

كاهن : ما قاله الآن خروج عن الملّة .

شومان : واليكم الدليل والبرهان ..

أيها الكاهن إقرأ ما ورد فى كتابنا المقدس على السلطان .

الكاهن : أمرك يا كاهن الكهان .

(ثم يفتح الكتاب ويقرأ) .. إعلم يا ابن التراب .. أن كل ما فوق التراب .. تراب .. وأن الأرض قطعة مسطحة غبراء .. محمولة فوق الماء .. بقوة من بسطها ورفع السماء .. وأنها محمولة على قرن ثور .
ولولا ذلك لغرقت على الفور .
فلولا الثور لغرقت فى المياه .. وانتهت الحياة .. وهذا من لطف الله « انتهى »

شومان : هذا ما ورد فى كتابنا المقدَّس .. فكيف يُسفِّه هذا الكلام ويدنِّس .

الكهنة : إرفع مقتك وغضبك عنا .. والطف بنا وارحمنا .

زعفران : إذا كانت جريمتى أننى فكرت .. فانى لن أتراجع عما قلت .

السلطان : (يشفق عليه) .. اسكت أسكت يا زعفران .

زعفران : إننى لم أجرم ياملك الزمان .. إننى لم أفكر إلا فيما فيه خير الانسان.
فى كل زمان .. وكل مكان .. والخير لا يتناقض أبداً مع الأديان .

شومان : ما ورد فى الكتاب .. هو فصل الخطاب .

زعفران : أيها الكاهن الـ .

الكهنة : بهذه التجديف أصابتنا اللعنة .. ووقعت المحنة .

شومان : هذا مدينة ملعونة .!

كاهن : ولهذا استطاع الغجر أن يهزمونا .

شومان : أليست عبرة من العبر .. أن تتكرر هزائمنا أمام حفنة من الغجر .

الكهنة : لابد أن يمضى حكم المعبد .. حكم المعبد .. حكم المعبد .

السلطان : وما حكم المعبد أيها الكاهن شومان .

شومان : هذا شيء مقرر يا مولاى السلطان .
يقدم زعفران إلى المذبح .. ويضحى به ويذبح .

السلطان : (فى جزع) .. زعفران !

شومان : اذا سال دمه ارتفعت اللعنة عن المدينة .. وزالت أسباب الهزيمة ..
وبهذا تنصلح الحال .. ونسترد جبل البرتقال .

السلطان : (فى غاية الحيرة والألم) .. لكن لكن .. طيب يؤجل الحكم ساعة على زعفران .. ساعة من زمان .. أتقدم فيها بقربان .. وأذهب الى المعبد .. فأصلى وأتعبد .. وأفتح قلبى إلى الله .. وأسأله أن يلهمنى هداه .. ويلطف بنا فى قضاه .

ولما كان اليوم التالى .. على التوالى .. أسرعت الأميرة الى البستان .. وجلست الى مربيتها جلفدان .

وتحت فروع الخميلة .. وعلى أنغام الطيور الجميلة .. فتحت **جلفدان** باب الاحلام .. وجعلت تستأنف الكلام .. وتبدؤه بالصلاة والسلام .

* * *

جلفدان : وبعد الصلاة والسلام .. على خير الأنام .. يعود بنا الكلام .. إلى بلاد النهروان .. عندما أثارها الكاهن شومان .. ضد زعفران فقد كان السلطان .. يؤثر الفتى زعفران .. ويترحم على أبيه لقمان .. حكيم الزمان .. فلما فعلها الكاهن شومان .. ووجّه تهمة التجديف إليه .. وأثار الكهنة عليه .. وطالب برأسه .. ليكون نكالًا لغيره .. وحار السلطان فى أمره .. فلا هو مستطيع أن يأمر به فيقتلوه .. ولا هو مستطيع أن يأمرهم فيتركوه .. وبين اليأس والرجاء .. اتجه الملك الى السماء .. وطلب مهلة ساعة .. وترك الجماعة .. وانطلق الى المعبد .. وجعل يصلى ويتعبد .. وفتح قلبه الى الله .. واستغرق فى هذه الصلاة :
« ربى يارب الأرباب .. أنا عبد ضعيف لائذ بالباب .. فألهمنى الصواب .. يا دليل كل حيران .. يا دليل كل .. »
ويقطع السلطان كلمته وقد وصل إلى سمعه صياح عطرشان ..

عطرشان : (داخلة تصيح) .. أبى أبى .
السلطان : عطرشان .. ما الذى أتى بك الآن .
عطرشان : (وصوتها يتهدج) .. ماذا تريدون أن تفعلوا بزعفران .
السلطان : (فى مرارة) .. زعفران .. أوقع نفسه فى مخالب الكهان .
عطرشان : تذبحون زعفران .

الكهنة : ويبقى معنا الوزير .
السلطان : ويبقى معكم الوزير .

(وينهض قائلًا) .. تقدمنى يا كشمير .

* * *

جلفدان : وذهب السلطان إلى المعبد .. وجعل يصلى ويتعبد .. ويسأل الله الفرج .. وهو فى غاية الألم والحرج .. وفتح قلبه إلى الله واستغرق فى الصلاة .. وفجأة .

* * *

وهنا قطع الأذان .. رواية جلفدان .. فامسكت عن حكايتها .. وانصرفت الى عبادتها .

وبهذا ينتهى هذا اليوم . من الف يوم ويوم .

السلطان : (فى غاية الحيرة) .. لا يطاوعنى قلبى يا عطرشان .

عطرشان : زعفران !

السلطان : إننى لا أنسى بطولته وشجاعته .

عطرشان : ونبله وشهامته .

السلطان : ووفاءه وأمانته .

عطرشان : لماذا لا تعلن براءته ؟

السلطان : حاولت يا ابنتى أن أنقذ رقبته .
ولكنه سد الطريق علىّ وعليه .. وأبى أن ينفى ما نسب إليه .

عطرشان : ولكنه لم يجرم يا والدى .

السلطان : ليت الأمر كان بيدى
لو أن زعفران نفى أو أنكر .. لتحوّل الموقف وتغير .. ولكنه تحدى الكاهن الأكبر .. وسفّه أحلام الكهان .. واعترف على نفسه أمام الديوان ..
وبهذا أحرجنى يا ابنتى .. وأسكتنى وشل إرادتى .

عطرشان : وما الذى تريد أن تفعله يا أبى .

السلطان : (فى غاية الحيرة) لا أدرى لا أدرى .

عطرشان : لا تدرى ؟!

السلطان : أنا فى حيرة من أمرى .

عطرشان : ألا تستطيع إنقاذه يا أبتى .

السلطان : قلت إن الأمر خرج من يدى .. لو كان جريمة أخرى لحكمت فيها بإرادتى .. إنها سلطة المعبد يا ابنتى .

عطرشان : (وصوتها يختنق) تتركهم يذبحون زعفران .

السلطان : (أشدُّ حيرةً) .. قولى أنت ما أصنع .
أنا لا أستطيع أن أدفع .. ولا أستطيع أن أمنع .
لقد خذوه باعترافه .. وأقر هو باقترافه .. وقالوا تجديف وافتراء ..
أثار غضب السماء .. فأصابتنا اللعنة .. ووقعت المحنة .

عطرشان : ... ...

السلطان : وتحكم القدر .. وتكررت هزائمنا أمام الغجر .
ولهذا طلبوا أن يقدم زعفران إلى المذبح .. ويضحى به ويذبح ..
وبهذا ترتفع اللعنة عن المدينة .

عطرشان : (تشهق) .

السلطان : هذا ما يقولونه .
إذا سال دمه ارتفعت اللعنة عن المدينة .. وزالت أسباب الهزيمة .

عطرشان : (فى انفعال شديد) .. كذب . كذب وبهتان .. الدين لا يتناقض مع ما فيه من خير الانسان .
وعبثا يحاولون لن تتوقف عجلة الزمان .. وسيأتى الوقت الذى تنتشر فيه هذه الأفكار .. وتكشف عن أسرارها البحار .. ولكنك تريد أن تخضع لهؤلاء الأشرار .

السلطان : (فى غاية الألم) .. أنا يا ابنتى بين اثنتين كلتاهما النار ..
فإما أن أنفذ حكمهم فيقتل زعفران .. وإما أن اصطدم بسلطة المعبد وثورة الكهان .

عطرشان : (وهى تقاوم انفعالها) .. يعنى هذا رأيك الأخير ؟

السلطان : (منهاراً) .. عييت وأعيانى التفكير .

عطرشان : (تنفجر صائحة) .. إذن فَلْتعل كلمة الشيطان .. ولْيُقْتَل زعفران .
(فى ثورة شديدة) .. ولكنهم لن يقتلوه وحده .. ولن أعانى فقده.
لن أسفح عليه مدامعى .
إما أن أموت معه .. وإما أن يعيش معى .

السلطان : عطرشان .

عطرشان : (تنطلق صارخة) .. إشهدوا يا معشر الكهان .. أنا أيضا أقول

بما يقول به زعفران .

السلطان : (فى خوف وإشفاق) .. أجننت يا عطرشان .

عطرشان : (مستمرة فى صراخها) .. هذه البحار المترامية .. وراءها عوالم ثانية

السلطان : أيها العبيد .. أيها الأعوان .

عطرشان : (مستمرة فى صراخها) .. يا معشر الكهان .. أنا أيضا أقول بما قاله زعفران .

كاهن : أصابتها لعنة زعفران .

السلطان : يا عبيد يا أعوان إحملوها إلى قصر الأحزان .

عطرشان : يا معشر الكهان اقتلونى مع زعفران .

* * *

جلفدان : وحملها العبيد والأعوان .. إلى قصر الأحزان .. وأمر السلطان .. فانعقد الديوان .. واستأنفوا محاكمة زعفران .

السلطان : تقدم يا زعفران .

شومان : نحن يا مولانا فى انتظار الأحكام .

زعفران : وأنا عندى كلام .

السلطان : انتظر يا زعفران .. حتى نسمع كاهن الكهان .

شومان : لم يبق يا مولاى إلا صدور الأحكام .

زعفران : وإذا كان عندى كلام .

السلطان : طيب . نسمع كلامك .

زعفران : إنى أطلب يا مولاى أن أناقشهم أمامك .

شومان : بعد الاعتراف .. لا معنى للمناقشة ولا محل للخلاف .

زعفران : أنا لم أعترف بشىء إلى الآن .

السلطان : حسنا .. قل لهم هذا يا وزعفران .

شومان : إنه يريد أن يتراجع وهو معترف .

زعفران : المجرم وحده وهو الذى يعترف .. وأنا لم ارتكب إثماً ولم أقترف .

كاهـن : أتنكر انك قلت ما قلت ؟ .

زعفران : بل أنكر أننى أذنبت .
وأنا الآن .. وأمام مولانا السلطان .. أريد أن أسالكم وتجاوبونى ..
واذا ثبت ما تقولون فاقتلونى .

إسمح لى أن أسأل يا مولاى السلطان .

السلطان : وجه أسئلتك إلى الكهان .

شومان : فليسأل .

كاهن : يتفضل .

زعفران : سأحكى لكم الحكاية من الأول .

أصـوات : نعم .

زعفران : كنت يوماً على شاطىء المياه .. أفكر فيما خلق الله ..
فوجدت يا مولانا السلطان .. أن الملاحين من قديم الزمان ..
ومازالوا الى الآن .. يسيرون بمحاذاة البر .. ولم يغامر أحد منهم
ويمشى فى عرض البحر .
فما الذى يمنع أن يكون وراء هذه البحار أرض مثل أرضنا .. يعيش
فيها عالم وناس مثلنا .. هم يعيشون هناك ونحن نعيش هنا .

كاهن : هذا كلام معاد .

شومان : وكفر وإلحاد .

الكهنة : يا لطيف يا لطيف . يا لطيف يا لطيف .

زعفران : (صائحاً فى وسط الضجة) ..لا . دعونى أتكلم . دعونى أتكلم .

السلطان : نعم .

شومان : إننى أتألم .

زعفران : اذا كنت لم .

شومان : (صائحا) .. أرفع مقتك وغضبك عنا .

زعفران : اذا كنتم ..

كاهن : (يصيح) .. ألطف بنا وارحمنا .

السلطان : لا أيها الكهان .. يجب أن تمكنوه من الكلام .. تكلم يا زعفران .

زعفران : إذا كانوا حقا يريدون أن يناقشونى .. فعليهم أن يجاوبونى .

شومان : أنا لها يا زعفران .

زعفران : حسن يا كاهن الكهان .. أليس الماء يمسكه الرعاء ؟

شومان : هكذا تقول ظواهر الأشياء .

زعفران : فما الذى يمسك هذه المياه .. فى الجانب الآخر من هذه المياه .

شومان : تمسكها إرادة الله .

زعفران : إرادة الله .

شومان : نعم . إن مياه البحار فى الجوانب الأخرى .. ممسوكة بيد القدرة .

زعفران : كيف ؟
شومان : اتنكر أيضاً القدرة ؟
زعفران : كلا ولكنى أعرض الفكرة .
شومان : أرأيت كيف جانبك الصواب ؟
زعفران : بل أنت تفر من الجواب .
شومان : وهل هناك جواب .. بعد ما ورد فى الكتاب .
(ثم يلتفت إلى حامل الكتاب قائلًا) .. أيها الكاهن .. إقرأ ما ورد فى باب الخليقة على السلطان .
الكاهن : (يفتح الكتاب ويقرأ العنوان) .. الحقيقة .. فى سفر الخليقة .
(ويسترسل فى القراءة) .. ولما تجلت القدرة السماوية .. وخلقت هذه البسيطة الأرضية .. أدركتها العناية الإلهية .. فحملتها على الفور فوق قرن ثور .. وظل الثور يهوى فى الفضاء .. حتى سقط فى الماء. فأرسل الله حوتا إليه .. فاستقرت أقدام الثور عليه .. وبهذا بقيت الغبراء .. سابحة على وجه الماء .

شومان : هيه . أتسمع يا وزير .
زعفران : لا .. هذا كثير .
شومان : ذلك ما نجده عندنا فى الكتاب .. أم أنت صادق والكتاب كذاب .
زعفران : أعرف أنك تريد أن تحرجنى بهذا الكلام .. حتى تثبت إدانتى وتؤكد الاتهام .
(ويزداد انفعالًا وهو يقول) .. ألا فاعلم .. إن كنت لا تعلم .. أن جوهر الأديان .. لا يمكن أن يتناقض مع ما فيه خير الانسان .
شومان : أتؤمن أن الأرض محمولة على قرن ثور .. وأن الثور محمول على ظهر حوت .. بقدرة الحى الذى لا يموت .
زعفران : هراء . هراء .
شومان : (بلهجة التهويل) .. هراء ؟!
زعفران : هذا محض افتراء .
شومان : أعوذ بالله .
كاهن : حاشا لله .
الكهنة : اللعنة .. اللعنة .. لابد أن يؤخذ إلى المذبح .. ويضحى ويذبح .
السلطان : أيها الكهان . أيها الكهان .
لقد استمعت إلى كلامكم الآن .. وإلى كلام زعفران .

شومان : لابد أن يضحى به ويقدم كقربان .. ونسأل الله له الصفح والغفران

السلطان : التضحية والقرابين لها صور كثيرة.. وقد انتهيت إلى الحكم على الوزير .

زعفران : مولاى السلطان .

السلطان : (مستمراً) .. بما أن زعفران .. خرج على المعبد وأثار ثائرة الكهان وبما أنه قد جانب الصواب .. وخالف ما جاء فى الكتاب .
وحيث أنه يزعم أن هذه البحار المترامية .. وراءها عوالم ثانية .
لذلك :
نأخذه بكلامه .. ونحكم بإرغامه .. على أن يمارس هذه التجربة بنفسه .. ويخترق هذه البحار بشخصه .

زعفران : (معترضاً) مولاى السلطان .

الكهنة : كيف يا مولانا السلطان ؟

السلطان : مادام يزعم أن عوالم أخرى وراء هذه البحار .. فليقدّم نفسه لهذا الاختبار .. فاذا حققت التجربة كلامه .. فقد كتبت له السلامة ..
واذا هلك فى الطريق .. أو مات وهو غريق فهذا عقابه .

الجميع : ... ...

السلطان : هه . ما رأيك يا كاهن الكهان .

شومان : (بعد تردد خفيف) .. مسألة فيها قولان .. ومع ذلك فان الأمر لك يا ملك الزمان .

السلطان : (بلهجة السؤال) .. وأنت يا زعفران .

كاهن : القاضى لا يأخذ رأى المجرم يا ملك الزمان .

السلطان : ما رأيك يا زعفران .

زعفران : رأيى أننى ظلمت يا مولاى السلطان .. وأنا لا أدافع عن نفسى الآن .
إنما أدّافع عن حق التفكير .. وأتمسك بهذا الحق إلى الرمق الأخير .
أنا يا مولاى إنسان أفكر وأعرض فكرتى .. وماكنت ملاحا وما كانت الملاحة حرفتى .
فاذا حكمت علىّ أن أخوض هذه البحار لأول مرة .. ودون سابق خبرة .. فانك بهذا تُحرّم على أى مفكر .. أن يفكر .

شومان : خلاص. نعدل عن سفره يامولانا..ونقدمه للمذبح ضحيةً وقربانا

السلطان : (يرى أن سفره ينقذه من المذبح على الأقل فيصيح فى الكاهن)

كلام الملوك لا يرد .. ولا تقابل أحكامهم بالرفض .

زعفران : وكيف أسافر وحدى بلا مساعدين أو عمال .. والبحار أهوال .

السلطان : خذ ما تشاء من الأموال .. واستأجر من تشاء من الرجال .

زعفران : إنها رحلة غامضة ليس لها أمان .. فمن يقبل أن يشاركنى فيها يا مولاى السلطان .

السلطان : آ .

شومان : أقول يا مولاى السلطان .

السلطان : قل يا كاهن الكهان .

شومان : نعطيه عشرة من السجناء .. الأشقياء .. الذين صدرت ضدهم أحكام .. بالإعدام..
فاذا رزقوا النجاة .. فقد كتبت لهم الحياة .
وإذا لاقوا حتفهم يا ملك الرجال .. فقد كانوا سيعدمون على أى حال .

السلطان : أشرتَ يا كاهن الكهان .. وبهذا ينفذ الحكم فى زعفران .
تجهز له سفينة .. حتى يغادر المدينة .. ويزود بعشرة من المحكوم عليهم بالإعدام .. ويشيع بمظاهر التحية والإكرام .

زعفران : لكن .

السلطان : أنتهى الكلام .

* * *

جلفدان : وفى الحال .. أسرع الرجال .. فجهزوا له سفينة كبيرة .. وزودوها بالمياه والميرة .. وأخرجوا له عشرة من السجناء .. الأشقياء .. الذين صدرت عليهم الأحكام .. بالإعدام .. وودعوه أكرم وداع .. وفرد الرجال الشراع .. وسارت السفينة وغادرت المدينة .. وعندئذ .

* * *

وهنا قطع الأذان .. رواية جلفدان .. فامسكت عن حكايتها .. وانصرفت الى عبادتها .

وبهذا ينتهى هذا اليوم . من الف يوم ويوم .

ولما كان اليوم التالى .. على التوالى .. أسرعت الأميرة الى البستان .. وجلست الى مربيتها **جلفدان** .

وتحت فروع الخميلة .. وعلى أنغام الطيور الجميلة .. فتحت **جلفدان** باب الاحلام .. وجعلت تستأنف الكلام .. وتبدؤه بالصلاة والسلام .

* * *

جلفدان : وبعد الصلاة والسلام .. على خير الأنام .. يعود بنا الكلام .. إلى ما وقع للفتى زعفران .. لما نجحت مؤامرة الكاهن شومان .. فقد أراد السلطان ...أن يتفادى قتل زعفران .. وتقديمه لمذبح المعبد كقربان .. ولهذا . أعلن أنه يأخذه بكلامه .. وحكم بإرغامه .. على أن يمارس التجربة بنفسه .. ويخترق هذه البحار بشخصه .. فاذا نجحت رحلته .. ثبتتْ براءته .. وارتفع مقداره ورُدَّ إليه اعتباره .. واذا لاقى منيته .. فقد لاقى عقوبته .

ولما كانت هذه الرحلة مخاطرة .. لم يقبل أحد أن يشاطره .. فى تلك المعامرة .

ولهذا أخرجوا عشرة من السجناء .. الأشقياء .. الذين صدرت عليهم الأحكام .. بالإعدام .. ليكونوا رفاقه فى تلك الرحلة المثيرة .. وجهزوا له سفينة كبيرة .. وزودوها بالماء والميرة .. وأقلعت بهم السفينة .. وغادرت المدينة .. وأصبحوا فى عرض البحار .. وغابوا عن الأنظار ..

وجلس زعفران فى مؤخرة السفينة .. وجعل يعاقر شجونه .. ويذكر حبيبته عطرشان .. وكيف حال بينهما الكهان .. فسافر دون أن يودعها .. وتذكر أيامه معها .. فأخرج الناى من جيبه. وجعل يترجم نفثات قلبه .. وحملت الأنسام .. هذه الأنغام .. وقد هَدَأ البحر ونام .. فأقبل أحدهم عليه .. واتجه إليه .

درغام : (مقبلا عليه يصيح فى إعجاب) .. إيه يا سيد زعفران .

زعفران : (يمسك عن العزف ويستقبله قائلًا) .. درغام .

درغام : يا سلام يا سلام .. ما أجمل هذه الأنغام .

إنها رائعة يا سيدى الوزير .

زعفران : لم أعد بعد سيدك الوزير .

درغام : (وقد أسترعى نظره حيوان مائى يسير خلف السفينة) .. الله ؟!

زعفران : ماذا ؟

درغام : (مشيرا إلى الحيوان المائى) .. ما هذا ؟

زعفران : مخلوقات البحر كثيرة .

درغام : ولكنه كان مقتربا من السفينة .

زعفران : هكذا الأسماك الكبيرة .

ربما سارت وراء السفن بالساعات .. فى انتظار أن يرمى لها الركاب بالفضلات .

درغام : عجائب البحر .. أكثر من عجائب البر .

ولكن ما هذا النغم الشجىّ الذى كنت تعزفه الآن .

زعفران : إنه علالة الحزين وعصارة الأشجان .

درغام : إيه يا سيد زعفران .. إنك تلمس قلبى بهذه الأشجان .

زعفران : طيب اسمع يا درغام .

* * *

جلفدان : وارتفعت الأنغام .. واهتز لها درغام ..

درغام : يا سلام .. يا .. الله !

زعفران : (يمسك عن العزف ويسأله) .. ماذا ؟

درغام : أنظر . أنظر يا سيد زعفران .

زعفران : آ . إنه الحيوان المائى يبتعد عنا .

درغام : ولكنه مع الأنغام يقترب منا .

زعفران : يا للعجب .

درغام : أتراه يحس بالطرب .. ولهذا ابتعد واقترب .

زعفران : انتظر حتى نجرب يا درغام ..

درغام : نعم هات بعض الأنغام .

زعفران : هذه جملة من نغم الهُزام .. هه .

درغام : (والحوت يقترب مع الأنغام) .. أنظر انه يقترب منا .

زعفران : (يمسك عن العزف ويقول له) .. نعم يا درغام .

درغام : (والحوت يبتعد بعد أن سكت الناى) .. هو ذا يبتعد عنا .
زعفران : (مندهشاً) .. يا سلام !
درغام : ابتعد بعد أن سكتت الأنغام .
زعفران : فلنجرب مرة أخرى يا درغام .. هه .
درغام : (والحوت يقترب من السفينة ثانيا) .. هو ذا يقترب مع الألحان .. أنظر يا سيد زعفران .
زعفران : (يمسك عن العزف ويقول له) .. اقترب مع الألحان .
درغام : (والحوت يبتعد بعد أن سكت الناى) .. هو ذا يبتعد الآن ..
زعفران : بعد أن سكت الناى .
درغام : نعم يا مولاى .
زعفران : (وهو يتناول الناى) .. طيب اسمعْ .. وانظر ماذا يصنع .
درغام : (والحوت يستدير ويقترب من السفينة) .. هو ذا يقترب .
زعفران : (يمسك عن العزف ويقول) .. يا للعجب .
درغام : هو ذا يبتعد .
زعفران : لم يبق إلا أنه يقترب مع صوت الناى .. ويبتعد مع سكوت الناى .
درغام : هذا واضح يا مولاى .
زعفران : إذا سمع الناى اقترب منا .. واذا سكت الناى ابتعد عنا . هذا شيء عجيب .
درغام : وأعجب من عجيب .
زعفران : يخلق الله ما يشاء .
درغام : ما أعجب مخلوقات الماء .
زعفران : صحيح أنه يوجد على سطح العبراء .. حيوانات تتأثر بالموسيقى والغناء .. الأفعى مثلًا . ترقص على صفير النايات.. والخيول ترقص على الطبول والساجات ..
لكن أن يوجد ذلك فى مخلوقات المياه .. فهذا من عجائب صنع الله.
لكن .
آ . نعم نعم .. لقد تذكرت الآن .
درغام : ماذا يا سيد زعفران .
زعفران : تذكرت ما قاله أبى عليه رحمة الله .. قال لى كلاماً لن أنساه :
« إعلم يا ولدى أنهم يقولون إن ما فى البحر من مخلوقات .. لاتسمع الأصوات .. ولكن هناك فى عالم الماء .. حيوانا يحب

الطرب والغناء .. جسمه مهول .. واسمه حوت العنبرول .. وهو نوع نادر .. من حيتان العنابر »

درغام : سبحانك يا قادر .

وهدان : (أحد الرجال العشرة الذين مع زعفران قادما ينادى) يا سيد زعفران .

درغام : ماذا تريد يا وهدان .

وهدان : البحر نام .. والريح راكدة يا درغام .

زعفران : أجئت لتقول هذا الكلام ؟

وهدان : لا . ولكن جاء وقت الطعام .

درغام : (يتضاحك قائلا) .. الطعام هاها .

وهدان : هكذا يقول بقية الرجال .

زعفران : سيصرف لكم الطعام وقت الزوال .. إذهب إلى مكانك فى الحال .

درغام : (بعد انصراف وهدان) .. نعم ماذا كنت تقول يا سيد زعفران .

زعفران : (يظن أنه يكلمه عن حوت العنبرول فيقول له) .. فى الحقيقة أنا حيـران .

درغام : أنا لا أتكلم عن هذا يا مولاى .. إنما أتكلم عن الناى .
عندما أسمعه أشجى وأتألم .. يخيل إلى أنه يتكلم .
إنك تتكلم بدون كلام .

زعفران : (وهو يقاوم آلامه) .. كل واحد يغنى على جرحه يا درغام .

* * *

جلفدان : **وتذكر زعفران .. حبيبته عطرشان .. وحركه هواه .. ففاضت عيناه .. وأنكر درغام بكاه .. فأقبل عليه بالسؤال .. قال .**

درغام : الله ! ماذا يبكيك يا مولاى .

زعفران : أتذكر أيامى فى النهروان .. عندما كنت أنادى حبيبتى .. فقد كان الناى وسيلتى .
ياترى . أين أنت يا عطرشان .. وماذا تصنعين الآن .

درغام : سيد زعفران .. هل يمكن أن تترجم هذه الأشجان .. إلى الحان .

زعفران : نعم . أترجم هذه الآم .. إلى أنغام .. إسمع يا درغام .

* * *

جلفدان : وانبعثت الأنغام شجية حزينة .. وكأنها تحدو السفينة .
أما فى بلاد النهروان .. فبعد أن فعل فعلته الكاهن شومان .. واختفى الفتى زعفران .. وخلا للكاهن الميدان .. فانطلق إلى السلطان .

شومان : (داخلًا يحيى السلطان) .. مولاى السلطان .
السلطان : انهض يا شومان .
شومان : السلام . والأمان .
السلطان : أين أنت من زمان ؟
شومان : (يتصنع الحزن والألم) .. من ساعة أن رحل زعفران .. وأنا فى حالة يعلم بها الديّان .
السلطان : (متألماً) .. زعفران .
شومان : من ساعتها يا مولاى وأنا مهموم .. ركبتنى الأحزان والهموم . فحبست نفسى فى الخلوة ونويت أن أصوم .
السلطان : (فى غاية الألم) .. زعفران ووالده المرحوم .
شومان : هذه إرادة ربنا .
السلطان : ما كنت أتصور أن يحدث كل هذا لنا .
شومان : على أى حال حصل خير .
السلطان : (مستنكراً) .. خير .. أين هو الخير ؟
شومان : أليس هذا أفضل من ذبحه يا مولاى السلطان .. وتقديمه كقربان .
السلطان : ولكنها فاجعة على أى حال .
شومان : هو الذى أحرجنا يا ملك الرجال .
تجاوز حده .. وطعن فى كتابنا المقدس وردَّه .. فأرغمنا جميعا على الوقوف ضدَّه .
السلطان : (وفى صوته لون البكاء) .. بعد موت لقمان .. وغياب زعفران .. لم يبق لى غيرك يا شومان .
شومان : البركة فيك يا ملك الزمان .
السلطان : أريد أن تكون بجانبى من الآن .. ولهذا قررت أن تملأ المكان .. الذى خلا باختفاء زعفران .
شومان : أنا ؟!
السلطان : نعم ستكون أنت الوزير .

شومان : (يتصنع الامتناع قائلًا) .. ولكن .
السلطان : لا تقل لكن .. هذا أمر يا سيدى الكاهن .
(ثم يلتفت إلى الكاتب قائلًا بلهجة الأمر) .. يا كاتب الديوان .
الكاتب : أمر مولانا السلطان .
السلطان : يعين الكاهن شومان .. فى المكان الذى خلا باختفاء زعفران .. وترسل هذه التعليمات .. إلى جميع الجهات .

وردشان : (الوصيفة قادمة تولول وتصيح) .. يا مولانا السلطان .
السلطان : هذه وردشان .
شومان : وصيفة الأميرة عطرشان .
وردشان : (وهى تتقدم إلى السلطان) .. أدركنا يا مولانا السلطان .
السلطان : ما بك يا وردَشان .
وردشان : (وصوتها يختنق) .. الأميرة يا مولاى السلطان .
السلطان : مالها ؟
وردشان : منذ علمت بسفر سيدى زعفران .. وقعت صريعة الأحزان .. ولم تجفَّ دموع عينيْها .. والآن أغمى عليها .
السلطان : (متفزعاً) .. عطرشان .
وردشان : نعم يا .
السلطان : (يقاطعها قائلًا فى لهفة) .. اسبقينا أنت يا وردشان .
(ويلتفت إلى الكاهن قائلا) .. تعال معى يا شومان .
شومان : (وهو يتبعه) .. تفضل يا مولاى السلطان .
جلفدان : وفى مضارب الغجر .. استقبلت الكاهنة أم العبر .. أخبار زعفران كما استقبلت الكاهن شومان .. الذى أصبح وزيراً للسلطان .

أم العبر : (ضاحكةً) .. وزير هاهاها ياله من خبر .
شومان : أخيراً يا أم العبر .
أم العبر : (فى سخرية واضحة) .. من سخرية القدر .
شومان : إسمعى يا كاهنة الغجر .
أم العبر : بل إسمع أنت يا شومان .
(ثم يغلبها الضحك وهى تقول) .. أم نقول يا مولانا الوزير .
شومان : أرجو ألا تجرحى كرامتى .

أم العبر : (تتضاحك قائلة) .. كرامتى . هاها .
(تمتقبل عليه قائلة فى صرامة) أنسيت أنك تحت رحمتى .. وأننى أتستَّر عليك برغبتى .

شومان : (فى غاية الألم) .. أسكتى أسكتى .

أم العبر : إذا كنت وزيرا هناك فأنت جاسوس هنا .

شومان : (.وهو يكاد يبكى يقول نادماً) .. هذه زلتى .

أم العبر : مازلت بك حتى أصبحت عيناً لنا .. ولا تستطيع أن تخالف أمرنا .. ولكننى أراك قد أخطأت فى حقنا .

شومان : (مستنكراً) .. أنا ؟

أم العبر : خالفت اتفاقنا .
كان اتفاقنا على قتل زعفران .. وقلت إنه سيقتل بيد السلطان .

شومان : المهم أننى أبعدته عن البلاد .

أم العبر : (تسأله) .. وإذا عاد ؟

شومان : هذا شىء محال .
تصوَّرى أن أحداً من الرجال .. على الرغم من مغريات المال .. لم يقبل أن يشاطره .. فى هذه المخاطرة ..
ولذلك جئنا برفقاء .. من السجناء .. المحكوم عليهم بالإعدام .. ليلاقوا معه الموت الزؤام .
لقد انتهى زعفران .. كما انتهى أبوه لقمان .

أم العبر : هيه . وما أخبار السلطان .

شومان : لقد تضاعف حزنه على زعفران .. بعد حزنه على وزيره لقمان ... وابن عمه الأمير عدنان .

أم العبر : أنا أسال عما ينوى عمله السلطان .

شومان : لم يستقر على رأى إلى الآن .
وعلى فكرة ..
بعد أن أصبحت وزيرا .. فسوف لا أستطيع أن آتى إلى هنا كثيراً ..
ولذلك أرجو أن ترسلى إلىَّ سمعان أو كاهين .. بين الحين والحين .

أم العبر : (تسأله) .. واذا جدت بعد الأمور أمور ؟

شومان : عندئذ أبادر بالحضور .

أم العبر : حسناً يا شومان .. تستطيع أن تنصرف الآن .

شومان : (وهو خارج) .. أتركك بعافية .

أم العبر : (تشيعه قائلةً) وأنت من أهل العافية .

* * *

جلفدان : وهكذا سخر القدر .. وارتفع الكاهن الذى فجر .. وخان وغدر .. فجعله السلطان وزيره .. وأصبح له الرأى والمشورة .. إلى أن كان يوم من ذات الأيام .. وحدث الـ .

* * *

وهنا قطع الأذان .. رواية جلفدان .. فامسكت عن حكايتها .. وانصرفت الى عبادتها .

وبهذا ينتهى هذا اليوم . من الف يوم ويوم .

ولما كان اليوم التالى .. على التوالى .. أسرعت الأميرة الى البستان .. وجلست الى مربيتها **جلفدان** .

وتحت فروع الخميلة .. وعلى أنغام الطيور الجميلة .. فتحت **جلفدان** باب الاحلام .. وجعلت تستأنف الكلام .. وتبدؤه بالصلاة والسلام .

* * *

جلفدان : **وبعد الصلاة والسلام .. على خير الأنام .. يعود بنا الكلام .. إلى ما وقع فى بلاد النهروان .. عندما نجحت مؤامرة الكاهن شومان .. وحكم السلطان .. على الفتى زعفران .. أن يمارس التجربة بنفسه .. ويخترق هذه البحار بشخصه .. فاذا نجحت رحلته .. فقد ثبتتْ براءته .. وارتفع مقداره .. ورُدَّ إليه اعتباره ولكن أحداً لم يقبل أن يشاطره .. فى هذه المغامرة .. ورغم ما عرضوه من المال .. امتنع جميع الرجال .. ورفضوا أن يلقوا بأنفسهم إلى التهلكة .. ويشاركوا زعفران فى هذه الرحلة المهلكة وعندئذ أمر السلطان . فأخرجوا عشرة من السجناء .. الاشقياء الذين صدرت ضدهم الأحكام .. بعقوبة الإعدام .. وشحنوهم فى سفينته.. ليكونوا رفقاء رحلته .. فاذا كتبت لهم النجاة .. فقد فازوا بالحياة .. واذا لاقوا منيتهم .. فقد نالوا عقوبتهم .**

ولكن الشقىّ .. شقى .. وطبيعة السوء .. دائما تسوء .. فما فما كاد هؤلاء الاشقياء .. ينفردون بالفتى بين الماء والسماء .. وبعيدا عن الحياة والأحياء .. حتى وسوس لهم الشيطان .. فتآمروا على زعفران .. وحدث ما نراه الآن :

وهدان : (مشيراً إلى صوت الناى الذى يصل إليهم) .. هو ذا زعفران .. والناى والألحان .

دنكار : من ساعة ما جاءوا بنا .. وأخرجونا من سجننا .. ثم أرغمونا على ركوب هذه السفينة .. وهو جالس على الدفة وحده .. يبث الناى شجوه ووجده .. فهل مثل هذا يفهم فى البحار .

شنكار : لقد ألقوا بنا فى النار .

دنكار : وأى نار يا شنكار .

شنكار : كم يوما ونحن نسير فى عرض البحر .

درغام : نحن مع زعفران على الخير والشر .

دنكار : (معترضا) .. لا .. يجب أن نرسى لنا على بر .

درغام : إنه يقول إن وراء هذه البحار المترامية .. عوالم ثانية .

وهدان : (صائحاً) .. كذاب .

شنكار : إنه كذاب .

درغام : طيب . خلونا مع الكذاب .. إلى الباب .

دنكار : (بلهجة التهويل) .. إذا كان كلامه يخالف ما فى الكتاب .

شنكار : ثم لا تنسوا أن هذه الرحلة عقاب .

وهدان : يعنى يعاقبوننا إذ يعاقبونه ..
لو قد كانت هذه الرحلة مأمونة .. لما أخرجونا من السجون
وأرغمونا .. على مصاحبته فى هذه الرحلة الملعونة .

درغام : (الذى يوافقهم إلى حد ما) .. ما هذا الكلام الذى تقولونه ..
إن وضعنا فى هذه السفينة .. أحسن من وضعنا فى المدينة ..
إنكم تنسون أننا كنا سنواجه حكم الإعدام .. وأنهم كانوا
سيعدموننا بعد بضعة أيام .

دنكار : اسمع يا درغام ..

شنكار : لا يخدعنا هذا الكلام .

وهدان : إنه الموت الزؤام .

دنكار : (ثائراً) .. ولن نُساق إلى الموت كالأنعام .

شنكار : هيا أيها الاخوان .

درغام : ما الذى تريدون أن تفعلوه الآن ؟

دنكار : نقتل زعفران .

درغام : تقتلون زعفران ؟!

دنكار : ونستولى على ما معه من الأموال .. ونرجع بالسفينة فى الحال ..
وننزل فى أى بلد بعيد .. ونبدأ حياتنا من جديد .
هذه فرصتنا جاءت الينا .

وهدان : ولن نضيعها من يدينا .. هيا يا دنكار .

دنكار : هيا يا شنكار ..

درغام : انتظروا .. انتظروا يا رجال .
شنكار : ماذا ؟
درغام : (الذى يوافقهم ولكنه ليس متحمساً) .. سؤال .
دنكار : نعم .
درغام : هل تعرفون أين يخفى زعفران الأموال ؟
دنكار : (فى إصرار) .. إنها فى السفينة على أى حال .
وهدان : وسوف لا نعجز أن نجدها فى أى مكان .. ولو قطعنا من لحم زعفران.
درغام : لا . لا أيها الرجال .. زعفران سيقدم لكم بنفسه ما معه من الأموال (وهو ينهض) .. أنا ذاهب لأتحدث معه .. وأنا مستطيع أن أقنعه.
دنكار : (يحاول أن يسير معه) .. هيا بنا .
درغام : (وهو يبتعد عنهم) .. انتظرونى أنتم هنا .
شنكار : (ودرغام يبتعد عنهم) .. لا تتأخر علينا يا درغام .
درغام : (يصل اليهم صوته من بعيد وهو يتجه إلى زعفران) .. مسافة الكلام .

* * *

جلفدان : ويتقدم درغام .. إلى زعفران .. وهو جالس على مؤخرة السفينة. يبث الناى آلامه وشجونه .

درغام : يا سلام يا سلام .. أحلى أنغام .
زعفران : (يمسك عن العزف ويستقبله قائلا) .. درغام .
درغام : (فى دهشة وقد أبصر الحيوان المائى) .. الله !
زعفران : ماذا ؟
درغام : الحوت .. حوت العنبرول .
زعفران : هو كما تقول .
درغام : كأن انجذابه إلى أنغام الناى شىء حقيقى .
زعفران : إنه يسلينى فى طريقى .. لقد أصبح هذا الحوت صديقى .
درغام : يعنى هذا الحيوان يدرك هذه الأنغام ؟
زعفران : كما ترى يا درغام .
درغام : يا سلام .

(ثم بلهجة التعجيب) .. سمكة من السمك .. تهوى أن تسمعك

زعفران : إنه حوت العنبرول .

درغام : شيء يحير العقول .

زعفران : أليست تتأثر بالأنغام الخيول .. وترقص على دقات الطبول . وهذا كما قلت لك حيوان نادر .. من حيتان العنابر .. يهابه ويتحاماه .. جميع مخلوقات المياه .

درغام : (بلهجة التعجب) يا سبحان الله

دنكار : (يصيح وهو قادم ووراءه بقية الرجال) .. درغام .

وهدان : لماذا تأخرت يا درغام ؟

درغام : آ .

شنكار : ألم ينته الكلام .

درغام : لقد استعجلتمونى أيها الاخوان .. ولما أبدأ حديثى مع السيد زعفران .

وهدان : إلى الآن ؟

دنكار : ففيم كنتما تتحدثان ؟

شنكار : ماذا كنتما تقولان ؟

درغام : أخذنا حديث الناى والأنغام .

وهدان : وهل أرسلناك لتتحدث عن الناى والأنغام ؟

درغام : أخذنا الكلام .

شنكار : لا كلام . ولا سلام .

زعفران : ماذا بهم يا درغام .

درغام : (بلهجة ناعمة لا تتفق مع موقفه) .. آ . لا . شيء بسيط لا هو هنا ولا هو هناك .

زعفران : وماذاك .

دنكار : الأموال التى جئت بها .

زعفران : مالها ؟

دنكار : هاتها

وهدان : أين خبأتها ؟

زعفران : درغام . ماذا أصابهم ؟

درغام : ألست تسمع يا مولاى كلامهم .

زعفران : ماذا تريدون أيها الرجال .

الجميع : ما معك من الأموال .

دنكار : هذا فصل المقال ..
فاذا قدمتها برضاك .. فذاك .. وإلا .
شنكار : وإلا قتلناك .
درغام : (يصيح به) .. إخرس .
شنكار : أيه ؟
درغام : أبهذه اللهجة تخاطبونه .. ألا تعرفون من تكلمونه .
إنكم تكلمون مولانا الوزير .. موضع الاحترام والتقدير .
زعفران : تشكر يا درغام .
ولكن ماذا سمعتُ الآن .. وماذا يريدون أولئك الإخوان .
درغام : (بلهجة لا تتفق مع موقفه) .. المسألة فى غاية البساطة .
وهدان : (صائحاً) .. قلها له على بلاطة .
زعفران : شيء مثير .
درغام : (بأسلوب رقيق لا يتفق مع اشتراكه معهم فى الجريمة) .. إنهم يا مولاى الوزير .. يرون أنهم يقاسمونك المصير .
زعفران : نعم .
درغام : ومادام الأمر كذلك .. فلابد أن يقاسموك أيضا فى أموالك .
زعفران : عجبا .
درغام : ذلك كل ما هنالك .
زعفران : (يقبل عليهم قائلًا) .. لماذا .. لماذا أيها الرفاق .
دنكار : لأننا إلى الموت نُساق .
الجميع : (يتصايحون مطالبين بالأموال)
زعفران : (يصيح بهم) .. أيها الرفاق .. أيها الرفاق .
الجميع : ... ...
زعفران : إنكم تخطئون .. ونحن فى طريقنا سائرون .
الجميع : لا . لن نسير .. ولن نواصل المسير .
وهدان : ولن نقاسمك المصير .
درغام : (بلهجة ناعمة) .. مولاى الوزير .
دنكار : أنت رجل واحد ونحن عشرة رجال .
شنكار : (فى غلظة) .. أين الأموال .
درغام : لا . لا يا رجال .. كفوا عن هذه الأقوال .
وهدان : فليقدمْ ما معه من الأموال .

درغام : مولاى الوزير سيتفضل ويتعطّف عليكم .. ويعطيكم ماسألتم .
(ثم يهمس لزعفران) لا تدفعهم إلى مالا ترضى يا مولاى .

زعفران : بل سأقدم لهم الأموال برضاى .
(ويقدم لهم الصندوق قائلا) تفضّلوا .. فى هذا الصندوق ما تطلبونه .

الجميع : (وهم يمدون أيديهم إلى الصندوق) .. الصندوق .

درغام : أنتظروا أيها الملاحون .. لماذا تسرعون .
لابد أن نتأكد أولا مما يحتويه .. ثم نتصرف فيه .
(ثم يقبل على زعفران قائلا بلهجة ناعمة) .. سيدى الوزير .. هل تتفضّل على عبدك الحقير .. وتعطيه مفتاح الصندوق .

زعفران : (وهو يقدمه له) .. هو ذا مفتاح الصندوق .

درغام : شكراً يا سيدى الـ .

وهدان : افتح الصندوق يا درغام .

درغام : (وهو يفتح الصندوق) .. وهذا هو الصندوق .

وهدان : (يصيح وهو ينظر داخل الصندوق) .. ذهب . ذهب .

درغام : إرفع يدك .

الجميع : ذهب . ذهب .

درغام : إرفعوا أيديكم يا رجال .

دنكار : ألا نقتسم هذه الأموال .

درغام : ليس الآن .. نحن لم ننجز غير الخطوة الأولى يا .

شنكار : نعم نبدأ الخطوة الثانية .

زعفران : وهناك خطوة ثانية .

وهدان : نعم الخطوة التالية .

زعفران : وما هيه ؟

وهدان : أن ننتهى منك الآن .

درغام : (يصيح به) إخرس يا وهدان .

زعفران : تنتهون منى ؟

درغام : إنهم لا يحسنون الكلام .

وهدان : طيب تكلم أنت يا درغام .

زعفران : ماذا تقولون بحق السماء .. وماذا تريدون أيها الأصدقاء .

درغام : (فى أدب) .. إسمع يا مولاى الوزير .

زعفران : نعم .
درغام : أنت تعرف أن أسباب الموت كثير ..
وبالنسبة لمقامك الكبير .. نعرض عليك التخيير .
زعفران : تخيروننى ؟!
دنكار : ألست تحب أن نخيرك .
شنكار : ربما كنت تحب أن نذبحك .
وهدان : وقد تستحسن أن نشنقك .
درغام : أم تؤثر يا مولاى أن نلقى بك إلى الماء .
زعفران : يا للسماء .
دنكار : أمامك ثلاثة أشياء .. ولك أن تختار منها ما تشاء .
زعفران : أيها التعساء .. هل نسيتم أنكم كنتم سجناء .
درغام : سيدى . لاداعى لمثل هذا الكلام .
زعفران : إسمع يا درغام .
درغام : بل إسمع أنت يا سيد زعفران .. لقد اتفق جميع الاخوان .
دنكار : اتفقنا على ثلاثة أعمال .
شنكار : أولًا نأخذ ما معك من الأموال .
وهدان : وثانيا . نتخلص منك فى الحال .
دنكار : وثالثا . نعود بالسفينة إلى أى بلد .. لا يعرفنا فيه أحد .
درغام : وفى هذا البلد البعيد .. نبدأ حياتنا من جديد .
زعفران : بئس هذا التفكير .. إنكم لا ..
شنكار : أيها الوزير .
زعفران : لا . مكنونى من الكلام .
لقد كنتم تواجهون حكم الاعدام .. وكانوا سينفذون فيكم هذه الأحكام .. فأراد الله لكم النجاة .. ومنحكم نعمة الحياة .. وجعلكم الرواد الذين يقهرون البحار .. ويكشفون عما وراءها من أسرار ..
وأنا وأنتم الآن نقتحم الخطر .. فاذا نجحت الرحلة فقد عملتم لخير البشر .. وبهذا النصر المبين .. تعودون عودة الأبطال الفاتحين .. وترفع لكم الرايات والبنود .. ويكون لكم المجد والخلود .
دنكار : (يتضاحك ويقول فى سخرية) .. المجد والخلود !
شنكار : نحن لا نريد إلا أن نعود .

زعفران : وأنا لا أريد أن أموت .
وهدان : بل لابد أن تموت .. وقد عرضنا عليك الاختيار .. فلم تشأ ان تختار
دنكار : اذن نلقى به إلى هذه البحار .
شنكار : هيا يا دنكار .
دنكار : (وهم يهاجمونه ويتكاثرون عليه) .. هيا يا شنكار .
زعفران : (وهو يدافعهم) مكانكم أيها الأشرار .
وهدان : تكاثروا عليه .
زعفران : (وهو يقاوم) .. دعنى يا جبان .
دنكار : شدوه من رجليه ..
زعفران : (وهو يقاوم) .. دعونى اتركونى .
وهدان : إحملوه من يديه ورجليه .
شنكار : القوا به إلى الماء .
زعفران : أيها الأشقياء .. أيها الأشقياء .

* * *

جلفدان : وتكاثر عليه اولئك الأشقياء .. وألقوا به إلى الماء .. فالتقمته الأمواج .. وقد ثار البحر وهاج .. وفى غمرات المياه .. وبين الموت والحياة .. وقعت المعجزة . وحدث ما يحير العقول .. فقد ظهر ال .

* * *

وهنا قطع الأذان .. رواية جلفدان .. فامسكت عن حكايتها .. وانصرفت الى عبادتها .

وبهذا ينتهى هذا اليوم . من الف يوم ويوم .

ولما كان اليوم التالى .. على التوالى .. أسرعت الأميرة الى البستان .. وجلست الى مربيتها **جلفدان** .

وتحت فروع الخميلة .. وعلى أنغام الطيور الجميلة .. فتحت **جلفدان** باب الاحلام .. وجعلت تستأنف الكلام .. وتبدؤه بالصلاة والسلام .

* * *

جلفدان : **وبعد الصلاة والسلام .. على خير الأنام .. يعود بنا الكلام .. إلى ما وقع للفتى زعفران .. لما نجحت مؤامرة الكاهن شومان .. وحكم عليه السلطان .. وأخرجوا له عشرة رجال من السجناء .. الأشقياء .. الذين صدرت ضدهم أحكام .. بعقوبة الإعدام .. ليكونوا رفاق رحلته .. وشحنوهم فى سفينته .. وسارت بهم السفينة .. حتى ابتعدت عن المدينة .. وغابوا عن الأنظار .. وأصبحوا فى عرض البحار ..**

فما كاد هؤلاء الأشقياء .. ينفردون بالفتى بين الماء والسماء .. حتى وسوس لهم الشيطان .. أن يقتلوا زعفران .. ويأخذون ما معه من الأموال .. ويعودوا بالسفينة فى الحال .. وينزلوا فى أى بلد .. لا يعرفهم فيه أحد .. وفى هذا البلد البعيد .. يبدءون حياتهم من جديد ..

وعبثا حاول زعفران .. أن يردّهم عن طريق الشيطان .. فلم يسمعوا إليه .. وتكاثروا عليه .. وحملوه من يديه .. ورجليه .. والقوا به إلى البحر فالتقمته الأمواج .. وقد ثار البحر وهاج .

زعفران : (وهو يصارع الأمواج) .. هه.. هه ..و ياربى .
أين أنا .. هه . هه .. المجرمون ألقوا بى هنا .. هه . هه .
السفينة تبتعد عنى .. والموت يقترب منى ..
الأمواج تدفعنى بشدة .
النجدة . النجدة .
أشهد ألا إله إلا الله .
(ثم فى دهشة) .. الله .. ما هذا الجسم الذى جاء من تحت الماء ..

ورفعنى إنه حيوان يحملنى على ظهره .. ويسرع فى سيره .. نه ال .
(فى دهشة بالغة) .. إنه حوت العنبرول .
شيء يحير العقول .
الحوت . الحوت .. أنقذنى وقد كدت أن أموت .
يا سلام !
الحوت الذى كان يتبع الأنغام !
الحوت الذى كان يتبع السفينة ليسمع الناى .. أدركنى فى شدتى وبلواى . سبحانك ما أعظم شانك .
الوفاء الذى افتقدته فى الانسان .. أجده فى هذا الحيوان .
(ويرفع وجهه إلى السماء ويقول بصوت مختنق) .. يا أنيس من ليس له أنيس .. يا مجير يا مغيث .
أنت تعرف سرى وجهرى.. أسلمت إليك أمرى .
يا موجود .. يا معبود .
يا رازق الدود .. فى الحجر الجلمود .
(ويقول والأمواج ترتفع) .. أمواج تأتى .. وأمواج تفوت ..
وأنا على ظهر هذا الحوت .
إلى أين تسير بى يا صديقى الحوت .
أنا لا أملك ماء للشرب ولا أملك القوت .. فهل تطول رحلتنا ..
وإلى أين تنتهى مسيرتنا .
يا صديقى الحوت .
(وهو يمسك بالناى) .. لقد كان هذا الناى سبب صداقتنا .. إنه سرُّ علاقتنا . أنغامه الحزينة جمعت بيننا .. أنت وأنا .
أتسمعنى ؟
وإذا كنت تسمعنى .. فهل تفهمنى ؟
سأسمعك شكواى .. على الناى .
وهذا هو الناى . إسمع يا صديقى الحوت .

* * *

جلفدان : وتبعث الأنغام .. وتحملها الأنسام .. والحوت يقتحم الموج ويشق المياه .. وكأنما يحدوه الناى إلى الحياة .
أما فى بلاد النهروان .. فلما رأى السلطان .. أن ابنته الأميرة

عطرشان .. تجاهر بالعصيان .. وتتحدى سلطة المعبد .. ولا تتردد .. فتقول بما يقول به زعفران .. عندئذ خاف عليها السلطان .. من غضب الكهان .. وأمر بحبسها فى قصر الأحزان ومرت أيام .. والسلطان لا ينام .. ودعاه إشفاقه عليها .. إلى الذهاب إليها ..

السلطان : (وهو داخل عليها فى قصر الأحزان) .. عطرشان .

عطرشان : (حزينة) .. أبى .

السلطان : ما هذا الذى تفعلينه بنفسك يا ابنتى ؟

عطرشان : وأنتم ماذا فعلتم بزعفران يا أبتى .

السلطان : (فى حزن) .. زعفران .

عطرشان : (منفعلة) .. ماذا فعلتم بزعفران ؟

السلطان : (فى حزن) .. لم يكن أمامى يا أبنتى غير طريقين .. فاخترت أهون الشرّيْن .

عطرشان : (إشد انفعالًا) .. وهل كان زعفران من الملاحين .. حتى تخرجوا له المساجين .. وترسلوه مع هؤلاء الطغام .. متعوّدى الإجرام .. ليواجه الموت الزؤام .

السلطان : قضاء أخف من قضاء .

عطرشان : (ثائرةً) .. بل هو الظلم والافتراء .. والمحنة والبلاء .

السلطان : أليس هذا أفضل من تسليمه إلى المعبد .. حيث تُجمع له الكهنة وتحشد .. ثم يقدمونه إلى المذبح .. لُيضَحّى به ويذبح .

عطرشان : لقد كان الكاهن شومان .

السلطان : (يقاطعها قائلًا) لا تظلمى الكاهن شومان .

عطرشان : ألم يكن فى استطاعته أن يطفىء ثورة الكهان .. ويردهم عن زعفران (تنخرط باكية وهى تقول) .. زعفران . إهى . إهى .

السلطان : (فى غاية الألم) .. يجب أن نسلم امورنا إلى الله .

عطرشان : آمنت بالله .

(وتبكى وهى تقول) .. لكن يسافر دون أن أراه .

السلطان : (وهو يقاوم آلامه) .. إسمعى يا عطرشان .

إن حزنى على زعفران .. لا يضاهيه إلا حزنى على أبيه لقمان .. ولن تفيدنا الدموع والأحزان .

لقد مضى ما مضى .. ولابد أن نستقبل القضاء بالرضا .

عطرشان : (من خلال دموعها) .. تقتلون زعفران ؟!

السلطان : وما أدراك يا عطرشان .

أليس من الجائز أن تتحقق فكرته .. وتنجح رحلته .. ويظهر أن وراء هذه البحار الكبيرة .. أراضى معمورة .. وأمماً مثلنا كثيرة .

عطرشان : (من قلبها) زعفران .

السلطان : (مستمراً فى كلامه) .. وبهذا يكون أول من قهر البحار .. ويُكتب له المجد والفخار .

عطرشان : أبى .

السلطان : ماذا ؟

عطرشان : (بلهجة الاستغراب وقد وجدته لا ينكر أفكار زعفران) .. أنت تقول هذا ؟!

(ثم تقول فى انفعال) .. لم يقل غير هذا زعفران .. وأنت تقوله الآن .. فلماذا حاكمتم زعفران .. ولماذا نزلت على رأى الكهان .

السلطان : (بلهجة التبرير) .. سدُّوا فى وجهى جميع المسالك .. فلم يكن أمامى غير ذلك .

عطرشان : (صوتها يتهدج) .. وترمونه إلى المهالك .

السلطان : عطرشان .. ما كان قد كان .. فما الذى نستطيع أن نفعله الآن ؟

عطرشان : إذا كان قد وقع المحظور .. وتحكم القدر المقدور .. وراح زعفران .. واختفى عن الميدان .. فلا أقل من أن أكون أنا فى مكانه .. على رأس فرسانه .

السلطان : عطرشان .

عطرشان : إذا أردت أن تخفِّف عنى .. فلا تمنعنى .

ودعنى أقود فرسان الليل .. وأخرج بهم على ظهور الخيل ..

السلطان : تخرجين على رأس الفرسان ؟!

عطرشان : ألم أفعل ذلك مع زعفران ؟

السلطان : يعنى تريدين أن تحاربى ؟

عطرشان : أليس هذا واجبى .

السلطان : ... ...

عطرشان : لماذا سكتَّ يا أبى ؟

السلطان : (فى خوف وإشفاق) .. لماذا . لماذا يا عطرشان ؟

عطرشان : ليعرف الأعداء .. ومن يقفون وراء الأعداء .. أننا إذا فقدنا زعفران

.. ظهر فينا ألف زعفران .

لن تتوقف غارات الليل يا أبى .. وما أظنك مانعى عن أداء واجبى.

السلطان : (وصوته يختنق) .. أنت تعرفين يا ابنتى .. انك وحيدتى .

(ثم يستدرك قائلا) .. ولكن اذا كان لابد من ذلك .. فافعلى مابدا لك .

* * *

جلفدان : ويعود بنا الكلام .. إلى الفتى زعفران .. وهو فوق ظهر هذا الحوت .. لا يجد الماء والقوت .. وقد طالت الأيام .. وبرَّحَتْ به الآلام :

زعفران : (فى خوف وقلق) .. وبعد . وبعد يا صديقى الحوت .

إلى متى تشق هذا العباب ؟

إلى متى تقتحم بى الأمواج وتركبُ الصعاب ؟

يا صديقى الحوت . أحس أننى أموت . أنا عطشان .. عطشان ماء .. ماء .

ماأعجب تصاريف القضاء .. أموت من العطش وأنا فى وسط الماء .

يا للسماء . هه .. هه .

(ويسبح بأفكاره وخواطره إلى حبيبته فيقول) .. وعطرشان ! عطرشان .. ياترى ماذا تصنعين الآن .. وماذا قالوا لك عن زعفران ؟

وأبوك السلطان .

لماذا ضعف السلطان أما م الكهان ؟

(وصوته يختنق) .. أنا مظلوم مظلوم ..

علمك بحالى .. يغنى عن سؤالى .

يا حنّان .. يا منان .

عطشان .. جوعان .

يا صديقى الحوت : إلى أين تسير بى .. لقد طالت الرحلة

يا صاحبى أعرف انك تحب أنغام الناى .. وأنك تريد أن تسمع الناى ..

ولكن هل أستطيع وقد خارت قواى .

(ويخرج الناى) وهذا هو الناى ..
(ويعزف عليه وهو يقول) .. إسمع يا صديقى الحوت .

* * *

جلفدان : وانبعثت الانغام .. وتعطرت بها الأنسام .. والحوت يقتحم به الموج ويشق المياه .. وكأنما يحدوه الناى إلى الحياة .
أما فى بلاد النهروان .. فنحن مع الكاهن شومان .. وقد تسلّل مضارب الفجر .. ودخل على الكاهنة أم العبر .

شومان : (وهو يتقدم إليها) .. الأمان . والسلام .
أم العبر : قبل السلام والكلام .. إكشف عن وجهك اللثام .
شومان : (وهو يرفع اللثام عن وجهه) .. وهذا هو اللثام .
أم العبر : (بعد أن عرفته) .. من .. شومان ؟
شومان : نعم يا أم العبر .
أم العبر : هل أتاك رسول الفجر .
شومان : ولهذا جئت على الأثر ..
(ثم يقبل عليها سائلًا) .. خير يا أم العبر .
أم العبر : أعندك علم بما تفعله عطرشان .. مع بقية الفرسان ؟
شومان : عطرشان .
أم العبر : لقد أصبحت قوافلنا مهددة يا شومان .
شومان : إنها تريد أن تفعل ما كان يفعله زعفران .
أم العبر : (مولولةً) .. خلصنا من لقمان .. طلع لنا زعفران .. وخلصنا من زعفران .. فطلعت لنا عطرشان .
شومان : وماذا تريدين الآن .
أم العبر : كما قضيت على لقمان .. وكما قضيت على زعفران .. تقضى على عطرشان .
شومان : (بلهجة التهويل) .. بنت السلطان !
أم العبر : نعم يا شومان .
شومان : (بلهجة الاستنكار) .. أنا أقضى عليها .
أم العبر : (فى سخرية) .. أقلّ منها .
شومان : (وصوته يتهدج) .. إلى أين تقودينني يا أم العبر .

أم العبر : (فى إصرار) .. إلى حيث أراد القدر .

شومان : لا . لا

أم العبر : (بلهجة التهديد) .. نعم .

شومان : أنا لا أستطيع يا كاهنة الغجر .

أم العبر : (وفى صوتها لون الضحك) . وما الذى يمنعك يا صغيرى .

شومان : يمنعنى ضميرى .

أم العبر : (تقهقه ساخرة) ضميرك .. هاهاها .
(ثم تقبل قائلةً بلهجة صارمة) .. الخائن ليس له ضمير .. وأنت الآن الوزير .. يعنى تستطيع أن تفعل الكثير .. ولابد أن تقضى على عطرشان .. كما قضيت على زعفران .. وأبيه لقمان .

شومان : واذا رفضت أن ..

أم العبر : (تقاطعه) .. لا . لن تستطيع يا شومان .
أنت معى .. كالخاتم فى اصبعى .
(وبلهجة أشد عنفا) .. إننى استطيع يا شومان .. أن أكشف حقيقتك للسطان .

شومان : (فى خوف واضطراب) .. لا . لا .

أم العبر : كلمة واحدة وينكشف سرك .. وينتهى أمرك .

شومان : (وهو يلهث) .. لا . لا .. سأضع خطة لهذه الغاية . سأرتكب هذه الجناية .
(وفى صوته لون البكاء) .. سأتمرغ فى الأوحال إلى النهاية .
سأنفذ كل ما تريدون .
أنا ملعون .. ملعون .

* * *

جلفدان : ويعود بنا الكلام .. إلى الفتى زعفران .. فقد وجدوه ملقى بين الصخور .. على شاطىء مهجور .. فحسبوه غريقا فارق الحياة . وقذفت به المياه .

شبيب : (أحد حراس الشاطىء يصيح) .. يا ناس . يا ناس .. ايها الحراس.

حارس : (يصيح) .. ماذا هناك .

حارس : مالك يا شبيب .

شبيب : أعجوبة الأعاجيب .

القائد : (مقبلا عليهم) .. لماذا تصرخ يا شبيب .

شبيب : وجدت جثة هذا المخلوق العجيب .. ملقاة على هذا الشط القريب .

شكيب : ماذا ؟

شبيب : أنظر .

شكيب : (فى دهشة) .. يا لله إنه إنسان مثلنا .

القائد : لا هو مثلنا .. ولا شكله شكلنا .

شبيب : أنظر إلى ملابسه الغريبة .

القائد : وهيئته العجيبة .

شكيب : ولونه الأسمر .

حارس : هذا منظر لا يتكرر .

القائد : ما رأيت مثل هذا المخلوق قط .

شبيب : يبدو أن المياه قذفت به إلى الشط .

شكيب : وما هذا الذى تمسك به يداه .

القائد : (فى دهشة وقد رأه يمسك الناى) ميت وفى يده ناى .. ما أعجب ما تراه عيناى .

زعفران : (يتنفس ويقول بصوت ضعيف) .. ماء .

الحراس : إنه حى .. ليس ميتا .

زعفران : (قبل أن يغمى عليه ثانيا) .. ماء .. ماء .

شبيب : لقد أغمى عليه ثانيا .

القائد : إحملوه إلى بقراط الطبيب .. حتى نكشف سرَّ هذا المخلوق العجيب.

شكيب : إحمل يا شعيب .

شعيب : (هو يحمله معهم) .. هيا يا شكيب .

القائد : إلى بقراط الطبيب .

* * *

جلفدان : وحملوه إلى الطبيب بقراط .. فقدم له بعض الاسعافات .. وخصه بالعناية والاهتمام .. حتى استطاع الكلام .. فأمطره بعلامات الاستفهام .. وعندئذٍ .

* * *

وهنا قطع الأذان .. رواية جلفدان .. فامسكت عن حكايتها .. وانصرفت الى عبادتها .

وبهذا ينتهى هذا اليوم . من الف يوم ويوم .

ولما كان اليوم التالى .. على التوالى .. أسرعت الأميرة الى البستان .. وجلست الى مربيتها **جلفدان** .

وتحت فروع الخميلة .. وعلى أنغام الطيور الجميلة .. فتحت **جلفدان** باب الاحلام .. وجعلت تستأنف الكلام .. وتبدؤه بالصلاة والسلام .

* * *

جلفدان : وبعد الصلاة والسلام .. على خير الأنام .. يعود بنا الكلام .. إلى فكرة الانسان .. فى سالف الزمان .. عن هذه البحار .. وما يكتنفها من الأسرار ..
ومن الأمور المحقَّقَة .. أن العقول مطلقة .. أى أن ما يخطر لإنسان .. يمكن أن يخطر لأى إنسان ..
ولهذا لم ينفرد بفكرته هذه زعفران .. فقد كان يعيش وراء هذا البحر الأكبر .. جماعة من بنى الأصفر .. عليهم ملك مظفر .. إسمه تشيانج شور .. لم يرزق من الأولاد الذكور .. غير ولده كافور .. الأمير الجسور .
وكان هذا الأمير .. واسع الاطلاع بعيد التفكير .. وكان يرى ان وراء هذه البحار الكبيرة .. أراضى معمورة .. وعوالم أخرى كثيرة .. وقد انعزل هؤلاء .. عن هؤلاء .. وفصلت بينهم صحراوات الماء .
ولهذا أعدَّ عمارة بحرية .. وخرج فى ارتياد هذه المجاهل الخفية .. وحاول الملك أن يثنيه .. فلم ينزل على رأى أبيه .
ومرت الأيام .. وتعاقبت الشهور .. وانقطعت أخبار الأمير كافور .. وندم السلطان .. وبرحت به الأشجان .. فأرسل إلى وزيره بعض الأعوان .. وحدث ما نراه الآن :

الحاجب : (بلهجة الاعلان) .. مولاى الوزير هوفنج حور .
حور : (داخلا يحيى السلطان) .. مولاى السلطان تشيانج شور .
شور : إنهض يا حور .
حور : أنا يا مولاى عبد مأمور .

شور : ماذا يفعل الانسان .. إذا ألحت عليه الأحزان .
حور : الصبر يا ملك الزمان .
شور : بعد ما كان .. ليس للصبر مكان .
حور : العبد فى التفكير .. والرب فى التدبير .
شور : كم مضى على غياب الأمير .
حور : من يوم خروج الامير كافور .. ليرتاد البحور .. مضت خمسة شهور .
شور : (فى غاية الألم) .. خمسة شهور .. كأنها خمسة دهور .
(ويتندم قائلًا) .. لا أدرى لماذا سمحت له بهذه المغامرة .. لماذا لم أمنعه عن هذه المخاطرة .
حور : (يشير إلى فكرة الأمير عن البحار) .. أنا شخصيا مقتنع بكلام الأمير .
شور : وأنا أيضا يا وزير .
ولكن ليس معنى هذا أن يغامر الأمير .
حور : إنه يقوم بعمل خطير .. فيه للانسانية خير كثير .
شور : ولكن هذا التأخير .. يحتاج إلى تفسير .. وأخشى ما أخشاه .. أن يضل الأمير طريقه فى وسط هذه المياه .
حور : لا قدَّر الله .
شور : وقد تداهمه العواصف الهوجاء .. وقد ينفد منه الزاد والماء .
حور : لن تتخلى عن الأمير عناية السماء .
سآمر بفتح المعابد وإقامة الصلوات .. وتوزيع القرابين والصدقات .
الحاجب : (يدخل قائلا) ا لناظورية يا مولاى بالباب .
شور : هل عندهم جديد يا حاجب الحجاب .
الحاجب : لا أدرى يا ملك الزمان .
شور : طيب دعهم يدخلون الآن .
(ثم يقبل على الوزير قائلًا) .. بعد أن تأخر الأمير .. وطال التأخير أمرتهم بمراقبة شاطىء البحر الكبير .
وكل يوم فى آخر النهار .. يرجعون إلىَّ بدون أخبار .
الحراس : (وهم داخلون) .. السلام والأمان .. يا ملك الزمان .
حور : تقدموا يا حراس الشواطىء .
شور : هيه ؟ هل من جديد مفاجىء ؟

شكيب : طول النهار يا مولانا .. ونحن نراقب شواطىء المدينة .. فلم نر أى سفينة .. اللهم إلا .

شور : إلا ماذا أيها الحارس .

شكيب : سأقول لك يا مولاى .

شور : نعم .

شكيب : من يوم أن أمرتنا بمراقبة المخارج والمداخل .. ونحن نوزع الناظورية على طول السواحل .. يراقبون السفن والملاحين .. ويسألون الآتين والرائحين .

شور : (فى ضيق) .. ثم ماذا ؟

شكيب : ثم كان هذا الصباح يا مولانا السلطان .. فرأينا أعجب ما تراه العينان .

القائد : مخلوق عجيب .. شكله غريب .

شور : حيوان ؟

القائد : بل إنسان .

ولكنه ليس مثلنا .. وليس شكله كشكلنا .. ولا يمكن أن يعزى لنا .

شكيب : ثم إن ملابسه تغاير ملابسنا .. الأمر الذى أثار هواجسنا .

القائد : ثم إن شعره مقصر .. وليس طويلا كشعرنا .

شكيب : كما أن لونه أسمر .

شور : يعنى ليس من بنى الأصفر .

القائد : وأعجب من هذا يا مولاى أنه كان ممسكاً بناى .

حور : (بلهجة الاستغراب) .. ناى ؟!

القائد : هكذا رأيناه .. بعد ما لفظته المياه .. وقد ماتت عليه يداه .

حور : يا لله .

شور : المهم . ماذا كانت أقواله .

شكيب : لم تؤخذ أقواله .. إذ لم يمكنا سؤاله .. فقد كان فى حالة اغماء .. على شاطىء الماء .. فقدمنا له بعض الاسعافات .. ومن باب الاحتياط .. قلنا نحمله للطبيب بقراط .

شور : وحملتموه إليه ؟

القائد : (بلهجة الايجاب) .. وتركناه بين يديه .. ليجرى تجاربه عليه ..

شور : (بلهجة الاستفهام) .. وهو عنده الآن ؟

شكيب : نعم يا ملك الزمان .

شور : (يلتفت إلى الوزير قائلا) .. أتسمع يا وزير .
حور : يأخذنى فى تفكير .. ويجىء لى تفكير .
شور : إنسان غريب شكله ولونه عجيب .. يوجد مُلقىً على شاطىء الماء .. وهو فى حالة إغماء .
حور : ويختلف شكله ولونه عنا .. الأمر الذى يقطع بأنه ليس منا .
شور : ألا يجوز أنه من وراء البحار .
حور : وقد يكون عنده بعض الأخبار .
شور : أرانى مهتما بأمره .. لابد أن أقف على سرّه .
حور : ونسأله عن أخبار الأمير .
شور : هذا هو ما خطر لى يا وزير .
حور : إذن نرسل بعض الأعوان لاحضاره الى هنا .
شور : لا . مادام مريضاً فلأذهب إليه أنا .. هيا بنا .

* * *

جلفدان : وكان الطبيب بقراط .. قد قدم لزعفران كل الاسعافات .. حتى تمالك زعفران صحته .. وحكى للطبيب حكايته .

بقراط : يا سلام .. ما أعجب تصاريف الأيام .
هذا يا ولدى شىء غريب .. إن حكايتك هذه من الأعاجيب .
زعفران : سيدى الطبيب .
بقراط : لقد قاسيت كثيرا يا ولدى .
زعفران : أريد أن أرجع بلدى .
بقراط : ولكن كيف يلقى بك هؤلاء الأشقياء إلى المياه .. بعد أن واتتهم فرصة الحياة .
زعفران : ولولا ذلك الحوت .. الذى أدركنى قبل أن أموت .
بقراط : كنت أعرف أن حوت العنبرول .. يصول فى هذه البحار ويجول .. ولكنى لم أكن أعرف أنه يتأثر بالأنغام .
زعفران : كما تتأثر الأفاعى والخيول .
بقراط : معقول .
وعلى أى حال أنت على الرأس والعين .. وتستحق التهنئة مرتين : مرة لنجاتك .. ومرة لانتصارك .. وتحقيق كل أفكارك .

إنك لا تعلم يا ولدى زعفران .. انك قد جئت بما يهتم به السلطان.

زعفران : (فى قلق) .. أنا أريد أن أرجع بلدى .

بقراط : أنت مازلت متعبا يا ولدى .. وسوف نتكلم فى عودتك .. بعد أن تستردَّ كامل صحتك .

والآن . لابد أن تنام .. أنت مازلت فى حاجة الى الراحة يا زعفران

* * *

جلفدان : وفى هذه اللحظة يسمع طرق على الباب .. ويصل إلى سمعهما صوت الحاجب افتح يا بقراط انه السلطان .. ويسرع بقراط فيفتح الباب ويستقبل السلطان شور ووزيره حور قائلًا :

بقراط : مولاى السلطان !

أى شرف تسبغه على عبدك يا ملك الزمان .. لقد شرفت المكان .. وصاحب المكان .

شور : اسمع يا بقراط .

بقراط : نعم .

شور : بدون مقدمات .. هل يوجد عندك مريض غريب .

بقراط : الذى حمله إلىَّ الحارسان شكيب وشبيب ؟

حور : (الوزير) .. نعم أيها الطبيب .

بقراط : إن وصول هذا الغريب من وراء البحور .. يطمئننا على سلامة الأمير كافور .

شور : وكيف عرفت أنه من وراء البحور يا بقراط ؟

بقراط : استطعت أن ألتقط منه بعض الكلمات .

شور : لهذا جئت الآن . وسوف يكون لى معه كلام .

بقراط : اذا استطاع الكلام .

(وهو يقودهما إلى حيث نام زعفران) .. ومع ذلك تفضل يا مولاى السلطان .

شور : (وهو يدخل وراءه يقول لوزيره) .. تقدم يا حور .

بقراط : (أمام فراش زعفران) .. هو ذا المريض الغريب .

شور : إنه نائم أيها الطبيب .

بقراط : مازال يغلبه التعب والاجهاد ولهذا نام .
حور : يا سلام .
بقراط : هل أوقظه يا مولاى السلطان .
شور : لا . ليس الآن .
حور : (وهو يتأمل ملابس زعفران وهيئته) .. أنظر يا مولاى السلطان .
شور : إننى فى حيرة من أمره .
حور : إنظر إلى شعره .
بقراط : إنهم لا يرسلون شعورهم مثلنا .. بل يحلقون شعورهم كالنساء عندنا
زعفران : (يتحرك ويتنفس ببطء) .. آه . خ .
شور : ما اسمه أيها الطبيب .
بقراط : اسمه زعفران .
شور : وما الذى يشكو منه هذا الغريب ؟
بقراط : لا . إنه شيىءمن الضعف العام .
لقد مكث فى المياه سبعة أيام .. بلا ماء وبلا طعام .
زعفران : (بصوت لا يكاد يسمع وهو نائم) .. عطرشان .
بقراط : اسم حبيبته يا مولاى السلطان .
شور : زعفران .
بقراط : لن يسمعك يا مولاى الآن .
شور : ومتى يسترد قواه ويستطيع الكلام ؟
بقراط : بعد بضعة أيام .. يكون على ما يرام .
شور : حسن .
(ثم بلهجة الأمر) .. ينقل إلى القصر بقراط الطبيب .. ومعه هذا المريض الغريب .. ويقدم لهما كل ما يطلبان .. إلى أن يستردّ المريض عافيته .. وأستطيع مساءلته .
حور : (الوزير) .. أمر مولانا السلطان .
شور : من الآن .
(وهو يتهيأ للخروج) .. وسأنتظر أخبارك أيها الطبيب .
بقراط : كل آت قريب .

* * *

جلفدان : ومرت بضعة أيام .. وأصبح زعفران على ما يرام .. وذهب

بقراط الطبيب إلى السلطان

بقراط : (داخلا يحيى السلطان) .. مولاى السلطان .
شور : بقراط . كيف تركت مريضك الآن .
بقراط : إنه بفضل الله .. يسترد صحته ويستعيد قواه .
شور : حدثنى عنه أيها الطبيب .. ما الجديد فى أخبار هذا الغريب .
بقراط : يستطيع مولاى أن يسمع منه .. بدلا من أن يسمع عنه .
حور : أهو الآن على مايرام ؟
بقراط : ويستطيع الكلام .
شور : (يسأله) .. ويمكن أن نتحدَّث إليه الآن ؟
بقراط : إذا شئت يا ملك الزمان .
شور : حسن . أنا ذاهب من فورى إلى زعفران .. اسبقنا إليه الآن ..

* * *

جلفدان : وأسرع الطبيب بقراط إلى زعفران .. فأخبره أن السلطان ووزيره . قادمان .. ولم يلبث أن قدم الوزير والسلطان .

شور : (داخلًا عليه) .. هيه . حسن يا زعفران .
زعفران : (يحاول أن يخفّ لاستقباله) .. مولاى .
شور : (يمنعه قائلا فى لطف).. لا . لا تتحرك من فراشك يا زعفران .
زعفران : مولاى السلطان .
شور : كيف أنت الآن .
زعفران : لا ينقصنى إلا الرجوع إلى الأهل والأوطان .
شور : لم نكن نتصور يا ولدى أن وراء هذه البحار المترامية .. عوالم ثانية .. وأنا مهتم برحلتك عبر البحور .. لأنها تشبه رحلة ولدى الأمير كافور .
زعفران : أنا يا مولاى رهن إشارتك .
شور : هل تستطيع أن تحدثنى عن حكايتك .
زعفران : (وهو يتنهد) حكايتى .
شور : هذه رغبتى .

زعفران : رغبتك أمر لا يرد .. وطاعتك فرض .
إليك يا ملك الزمان .. أعجب ما وقع لانسان .

* * *

جلفدان : وبدأ الفتى يحكى حكايته .. ويروى روايته .. وهم مقبلون عليه .
يستمعون إليه .. وقد أخذهم العجب والفضول .. وهو يقول

وهنا قطع الأذان .. رواية جلفدان .. فامسكت عن حكايتها .. وانصرفت الى عبادتها .

وبهذا ينتهى هذا اليوم . من الف يوم ويوم .

ولما كان اليوم التالى .. على التوالى .. أسرعت الأميرة الى البستان .. وجلست الى مربيتها **جلفدان** .

وتحت فروع الخميلة .. وعلى أنغام الطيور الجميلة .. فتحت **جلفدان** باب الاحلام .. وجعلت تستأنف الكلام .. وتبدؤه بالصلاة والسلام .

* * *

جلفدان : وبعد الصلاة والسلام .. على خير الأنام .. يعود بنا الكلام .. إلى الفتى زعفران .. لما دخل عليه السلطان .. وهو فى دور نقاهته .. وسأله عن حكايته – فعندئذ . بدأ الفتى يحكى حكايته .. ويروى روايته .. فذكر لهم قصة بلاده .. وحسن بلائه وجهاده .. وحدثهم عن جماعة الغجر .. وكيف سخر القدر .. فاستولوا على جبل البرتقال .. وطردوا أهله الأبطال .. وذكر لهم أباه .. وما عاناه .. وذكر لهم هواه .. وكيف نشأ مع الأميرة .. وذكر لهم أفكاره الجديدة المثيرة .. وكيف ثار عليه الكهان .. وكيف أنقذ رقبته السلطان .. فبدلًا من قطع رأسه .. حكم عليه أن يمارس التجربة بنفسه ..

وذكر لهم كيف أخرجوا له عشرة من السجناء .. الأشقياء .. وشحنوهم فى سفينته .. ليكونوا رفاق رحلته.. وكيف غدر به هؤلاء .. وألقوا به إلى الماء ..

وذكر لهم كيف تداركه الله برحمته .. ولطف به فى محنته .. فأرسل له الحوت العجيب .. الذى يحب الأنغام والتطريب .

وكان الفتى يحكى .. وهو ينشج ويبكى .. وقد أخذهم الفضول وبلغ منهم الذهول .. وهو يتنهد ويقول :

زعفران : (يتنهد قائلًا) .. هيه .. لا يمكن أن أنسى ما جرى لى .. شىء لا يخطر على بالى .. استولى المجرمون على كل أموالى .. وبعد أن سرقونى .. خيرونى .. وطلبوا منى أن أختار الموتة التى ترضينى .

وأخيرا تكاثروا عليّ .. وحملوني من يديَّ ورجليّ .. وألقوا بي إلى المياه .. وتركوني بين الموت والحياة .. وهنا تداركتني رحمة الله .. فأرسل إليّ .. من يعطف عليّ .. وينقذني من موت محقّق .. قبل أن أغرق .

شور : (في دهشة) .. كيف بالله يا ولدي يا زعفران ؟!

زعفران : نظرت يا مولاي السلطان .. وقد أطبقت عليَّ المياه .. وسُدَّت في وجهي أبواب النجاة .. وإذا الحوت الذي كان يتبع السفينة .. ليسمع أنغام الناي الحزينة – وجدته يشق الماء ويسرع إليَّ من فوره .. ويأتي من تحتي فيرفعني على ظهره .. وبهذا أصبحت على سطح الماء .. وفي مسرى الهواء .

شور : (متعجباً) .. يا للسماء !

زعفران : أحسست بصلة عجيبة بين هذا الحيوان وبيني .. إنه لم ينس الأنغام التي كان يسمعها مني .
ومن أجل هذه الأنغام صادقني .. وجاءني ليرد الجميل وينقذني .
(ثم يتهدج صوته وهو يقول) .. نظرت إلى فعل الانسان .. وإلى فعل الحيوان .. ورفعت وجهي إلى رافع السماء . وباسط الغبراء .. وقلت :
سبحانك .. ما أعظم شأنك .
الحيوان الأعجم يعرف الوفاء .. ويدركني في ساعة الضراء .. وابن آدم يغدر بي ويرميني إلى الماء !!
وأخرجت الناي من جيبي .. وأسمعت الحوت نبضات قلبي .. وهو يسبح ويسرع بي .
لا أعرف يامولاي كم يوماً قضيتها على ظهر الحوت .. وأنا بين الحياة والموت لا طعام معي ولا شراب .. وليس معي فوق هذا العباب .. غير الجوع والعطش والخوف والعذاب .
ومرة أخرى تداركتني ألطاف السماء .. وخفَّفتْ عني هذا الشقاء .
فحتي لا أحس بما أعانيه .. انقذني الله مما أنا فيه .. فأغمي عليّ .. ولم أدرِ بما حواليّ .. وعندما فتحت عينيّ .. وجدت نفسي هنا ..
ما الذي جاء بي إلى هنا .. لا أعرف أنا ..
(ويختم حكايته قائلا) .. هذه يا مولاي هي حكايتي .. وهذه هي روايتي .

شور : يا سلام .. ولا فى الأحلام !
حور : بدون كلام .
شور : لقد قاسيت كثيرا يا ولدى .
زعفران : (بلهجة الرجاء) .. هل أستطيع أن أعود إلى بلدى .
شور : لقد قمت يا ولدى بعمل عظيم .
حور : أنت أول إنسان يصل العالم الجديد بالعالم القديم .
شور : هذا كلام سليم .
زعفران : لكن أنا محتاج إلى عطفك يا عمى .
شور : أنا لا أنظر اليك يا ولدى بعينى ..
إنما أنظر إليك بوجدانى وقلبى .
وعندما أستمع إليك وأنت تحدثنى .. يُخيَّل إلىّ أن أبنى كافور هو الذى يكلمنى .
زعفران : الأميـر .
شور : (وهو فى غاية التأثر) .. كان يا ولدى فى مثل سنك .. وكان فى فكره مثل فكرك .
كان يرى أن هذه البحار الكبيرة .. وراءها أراض معمورة . وأمم مثلنا كثيرة ..
إن وصولك إلى هنا .. ووجودك بيننا .. يحقق صدق نظرته ..
زعفران : (فى لطف) .. وسيكون ذلك إرهاصاً لعودته .. وبشيرا بسلامته .
شور : أملى فى الله كبير .
زعفران : حفظ الله مولاى الأميـر .
حور : (الوزير فى إعجاب) .. إنك تحسن الكلام كما تحسن التفكير .
زعفران : (يرجو السلطان قائلًا) .. عمى .
شور : أنا يا ولدى من ساعة أن وقعت عينى عليك .. اتجهتْ كل عواطفى إليك .. ولما سمعت حكايتك أحببتك أكثر .. وصرت فى عينى أكبر
زعفران : تشكـر .
شور : (يستعيد ما سمعه منه) .. كأنك كنت فى بلادك وزيرا .
زعفران : كما كان أبى وزيرا .
شور : (وهو يتذكر ما سمعه منه) .. الوزير لقمان .. حكيم الزمان .
زعفران : (وصوته مختنق) . أصبح فى ساحة الديان .
شور : على أى حال . مكانتك هناك لن تتغير هنا ..

ستكون يا ولدى وزير الميمنة .

زعفران : (مستنكراً) .. أنا ؟!

حور : (الوزير) .. وزير الميمنة ؟

شور : وستكون أنت وزير الميسرة .

حور : (بلهجة الاستسلام) .. آه . كما ترى .

زعفران : يا مولاى بعد إذنك .

شور : أنا يا ولدى فى حاجة إلى رجل مثلك .. فى ذكائك وفى تجاربك وعلمك .

زعفران : (يحاول الاعتراض) .. لكن .

شور : (يقاطعه قائلًا) .. لعلك تدرك أن وجودك بقُربى .. يبعث الأمل إلى قلبى ..
إنه يخفف عنى .. ويشعرنى أنى .. بالقرب من كافور ابنى .

زعفران : مع تقديرى لكل هذه الظروف يا عمى .. أرجو أن تقبل عذرى .

شور : (بلهجة العتاب) .. تريد أن تتخلى عنى .

زعفران : بالرغم منى .

شور : لماذا . لماذا يا ولدى ؟

زعفران : لابد أن أرجع إلى بلدى .. إن بلادى فى حاجة إلىَّ الآن .
لابد أن أكون على رأس الفرسان .
لابد أن نهزم الغجر ونردّ العدوان .
نشحذ العزيمة .. ونغسل عار الهزيمة .. ونحرر جبل البرتقال من أيديهم .. ونعيد أصحاب الأراضى إلى أراضيهم .
وبهذا أؤدى واجبى .. وأنتقم لأبى .
وأخيراً أرى عطرشان .. وتجمعنا مغانى النهروان .. وترجع أيام زمان .

شور : إسمع يا زعفران .

زعفران : مولاى السلطان .

شور : لن أناقشك الآن ..
أنت مازلت متعباً وسأتركك لتأخذ راحتك .. ثم يكون لى كلام معك .. متى تحب أن أراك يا ولدى .

زعفران : عندما تريد يا سيدى .

شور : طيب قبل أن أتركك الآن .. لى رجاء عندك يا زعفران .

زعفران : أنا تحت أمرك يا مولاى السلطان .

شور : أريد منك أن تتدبر فى أمرك .. وتتصرف فى مسألة شعرك .

زعفران : (بلهجة الاستغراب) .. شعرى ؟!

شور : نعم .

زعفران : ماله شعرى ؟!

شور : كأنك لا تدرى .. بما يجرى .

حور : (الوزير) .. يظهر أن الرجال عندهم .. هم الذين يقصُّون شعرهم

شور : لا . لا يا ولدى .

لابد أن تربى شعرك وتضفره .. أنت رجل ومن المعيب أن تقصُّره .

زعفران : وماذا فى الـ .

حور : ألست ترى ضفائرى .. وكيف تؤثر على مظهرى .

شور : أنظر إلى ضفائر الوزير وانظر إلى ضفيرتى ..

زعفران : إنكم تثيرون حيرتى .

شور : هذه نصيحتى .

زعفران : ولماذا يطيل الرجال شعرهم ويضفرون ضفائرهم ؟!

شور : ليثبتوا رجولتهم .

زعفران : (فى دهشة) .. بالضفائر ؟!

حور : هذه مظاهر .

زعفران : (يحاول الاعتراض) .. لكن .

شور : (يقاطعه قائلا) .. طبعاً لن يطول شعرك فى يوم وليلة .. أنت فى حاجة إلى مهلة .. ولذلك أريدك أن تلبس اللّامة .. حتى لا تظهر من رأسك علامة .

حور : وهكذا يختفى تحتها رأسك .. إلى أن يطول شعرك .

زعفران : لم تفهمونى . لم تفهمونى .. أرجو أن تعذرونى .. أنا لا أستطيع أن أتخلى عن الأهل والأوطان .

شور : (فى شىء من الضيق) .. وبعد يا زعفران .

زعفران : (بلهجة الاستنكار) .. أترك عطرشان !!

شور : قلت إننى لا أناقشك الآن .. سأتركك لتفكر فى الأمر ملياً يا زعفران .. ثم يكون لى بعد ذلك كلام .

(وينهى حديثه قائلًا) .. والآن أتركك فى خير وسلام .

* * *

جلفدان : ونعود إلى بلاد النهروان .. فبينما كان السلطان . كنعان .. فى الديوان .. دخل عليه الكاهن شومان .

شومان : (داخلًا) .. مولاى السلطان .

السلطان : هل من جديد يا شومان .

شومان : نعم يا ملك الزمان .

أتذكر السجناء العشرة الذين أخرجناهم من سجنهم واستبدلنا بإعدامهم مرافقة زعفران فى رحلته .

السلطان : ألم يرحلوا معه فى سفينته ؟

شومان : بلى يا ملك الزمان .

ولكن بعض الأعوان .. أثناء مرورهم على الشطآن .. عثروا على جثث أربعة منهم .

السلطان : (منفعلا) .. ماذا ؟

شومان : قذفت بهم الأمواج ودفعتهم .. بعد أن غرقت سفينتهم .

السلطان : (يسأله) وتأكدتم منهم ؟

شومان : عرضناهم على أقاربهم .. فتعرفوا عليهم .

السلطان : وجثة زعفران ؟

شومان : لم يعثر عليها أحد من الأعوان .. على الرغم من انتشارهم على الشطآن .

السلطان : (فى مرارة) إذن فقد فشلت رحلة زعفران .

شومان : لقد لقى جزاءه يا مولاى السلطان .

السلطان : (فى غضب) .. لا . لا تتكلم هكذا عن زعفران .

زعفران لا يمكن أن أنساه .. ولن أنسى أباه .

رحم الله لقمان .. حكيم الزمان .

شومان : (متراجعاً) تعيش أنت يا مولاى السلطان .

السلطان : شومان .

شومان : أمرك يا ملك الزمان .

السلطان : تفتح المعابد وتقام الصلوات .. وتنحر الذبائح وتوزع الصدقات .. ويعلن الحداد .. فى جميع أنحاء البلاد .. وتنكّس الأعلام .. لمدة سبعة أيام .

شومان : (يحاول أن يتكلم) .. ولكن .

السلطان : (ينهى الحديث قائلًا وهو ينهض) .. انتهى الكلام .

* * *

جلفدان : وكان الملك تشيانج شور .. منذ خرج ولده الأمير كافور .. ليرتاد البحور .. يشم رائحة مؤامرة تدبر .. ففكر وقدر .. ثم أرسل إلى زعفران فى الخفاء .. وفى غفلة من الرقباء .. فأسرع هذا إليه .. وأقبل عليه :

زعفران : (داخلا عليه) .. خيراً يا مولاى السلطان .

شور : بمشيئة الرحمن .. إجلس يا زعفران .

زعفران : (وهو يجلس) شكراً .

شور : لالا تعال إلى جانبى هنا .. حتى ندير الحديث بيننا .

زعفران : سيدى .

شور : هيه . أراك قد استعدت صحتك يا ولدى .

زعفران : لدرجة تسمح لى أن أسافر إلى بلدى .

شور : (يقبل عليه باهتمام) .. إسمع يا زعفران .

زعفران : نعم .

شور : نحن كما ترى منفردان .. والكلام الذى ستسمعه منى الآن .. لم أقله لأى إنسان .

زعفران : نعم .

شور : (يخفض صوته ويسرُّ إليه قائلًا) .. إننى أشم رائحة مؤامرة تدبر ضدى .. بعد أن اختفى ولىّ عهدى .. وأنا فى حاجة إليك يا ولدى .

زعفران : مولاى .

شور : (مستمراً) .. عندما أبحر ولدى الأمير كافور .. ليكشف ما وراء هذه البحور .. وفاتت شهور وراء شهور .. وانقطعت أخباره تأكدوا أنه راح غريقاً وابتلعته البحار .
وعندئذ بدا لهم .. أن الجو قد خلا لهم .. وأنهم إذا ازالونى من طريقهم .. أصبح الملك من نصيبهم .

زعفران : الغدر والخيانة ..
لكن من هؤلاء يا مولانا .

شور : لا أستطيع أن أذكر لك اسم احد بالذات .. كما أنها دعوى ليس فى يدى عليها إثبات .

زعفران : طيب .. من الذى يستفيد .. إذا لا قدر الله ووقع هذا الشر البعيد ؟

شور : كثير .. على رأسهم بنت عمى الأميرة بنزهير .

زعفران : بنزهير .

شور : ومن يدرى فقد يكون معهم الوزير .

زعفران : هو فنج حور ؟

شور : إن رأسى يدور .
أصبحت أشك فى كل هؤلاء الذين أراهم حولى .
اختلطت الأمور علىّ .
لا جد حولى من أثق فيه .. حتى أفضى إليه بما أعانيه .
وأخشى أن أسرَّ إلى بعضهم بما عندى .. فأتبين فى النهاية أنه يعمل ضدى .
أنت الشخص الوحيد الذى أستطيع أن أفتح له قلبى .. وأطلعه على ما أُخبئ .

زعفران : (فى غاية التأثر) .. عمى .

شور : أنا يا ولدى لا أريد أن أحول بينك .. وبين عودتك إلى أهلك .. ولكنى أريد أن تعطينى بعض وقتك .. فتكون إلى جانبى كوزير .. إلى أن يرجع الأمير .

زعفران : وبعد أن يرجع الأمير ؟

شور : تستطيع أن تسير .

زعفران : مسألة تحتاج إلى تفكير .
(ثم يستدرك قائلًا) .. ولكن إذا طالت غيبة الأمير كافور ؟

شور : يكون قد ظهر المستور .. وانكشفت الأمور .

زعفران : عمى .

شور : لقد شرحت لك الظروف يا ولدى .. فاذا أُردت أن تتخلى عنى وتتركنى .

زعفران : إنك بهذا يا مولاى تحرجنى .

شور : بعد هذا هناك شى أحب أن أقوله لك .. أتعرف كم تكلفنى رحلتك .

زعفران : أعرف . أعرف يا عمى .

شور : إذا أردت أن أحمل هَمَّك . فلابد أن تحمل هَمِّى .

زعفران : طيب . أمرك يا عمى .

شور : شكرا لك يا ابنى .. كنت واثقاً أنك لن تخيب ظنى .
(ثم ينهض قائلا) .. هيا بنا إلى الديوان .. والذى كان بيننا الآن .. كأنه ما كان .

زعفران : تفضل يا مولاى السلطان .

* * *

جلفدان : وهكذا بقى زعفران .. وأصبح وزيرا للسلطان .. ومرت الأيام وتعاقبت الشهور .. وتحقق كلام الملك شور .. فقد ظهر ال ..

* * *

وهنا قطع الأذان .. رواية جلفدان .. فامسكت عن حكايتها .. وانصرفت الى عبادتها .

وبهذا ينتهى هذا اليوم . من الف يوم ويوم .

ولما كان اليوم التالى .. على التوالى .. أسرعت الأميرة الى البستان .. وجلست الى مربيتها **جلفدان** .

وتحت فروع الخميلة .. وعلى أنغام الطيور الجميلة .. فتحت **جلفدان** باب الاحلام .. وجعلت تستأنف الكلام .. وتبدؤه بالصلاة والسلام .

* * *

جلفدان : **وبعد الصلاة والسلام .. على خير الأنام .. يعود بنا الكلام .. إلى ما وقع للملك تشيانج شور .. لما غامر ابنه الأمير كافور .. وخرج فى ارتياد هذه البحور .. ومضى على غيبته شهور .. فقد أهتز نظام الوراثة المأثور .. فى بيت الملك شور .. وانتقلت ولاية عهده .. من ابنه إلى بنت عمه .. فحيث اختفى الأمير .. فالعهد لابنة عمه الكبير .. الأميرة بنزهير ..**
ومنذ وليث الأميرةُ عهده .. وهى تتعجل موته .. وشمَّ الملك رائحة المؤامرة .. وداخله الشك وخامره .. وأصبح يقلّب ناظريه .. ويرتاب فى كل من حواليه .. واختلطت الأمور عليه .. ولم يجد من يطمئن له كل الاطمئنان .. غير الفتى زعفران .. وبخاصة بعد أن سمع حكايته .. وعرف مكانته .. وعراقته .. فخاطب ضميره وشهامته .. ليبقى إلى جانبه .. كوزيره وكصاحبة .. إلى أن يعود ابنه الأمير كافور .. أو تنجلى الأمور .. وبينما كان زعفران .. جالساً على الشطّ يتذكر مغانى النهروان .. ويناجى حبيبته عطرشان .. ويترجم على نايه هذه الأشجان .. تحركت أحداث الزمان .. وحدث ما نراه الآن :

بنزهير : (مع وصيفتها على حصانيهما وقد وقفا يسمعان الناى وزعفران مستغرق فى العزف لا يحسُّ بهما . إلا عندما تقول الأميرة بنزهير بلهجة الاعجاب .. يا سلام .. يا سلام .

زعفران : (يترك العزف ويقبل عليهما متسائلًا) .. من ؟ من ؟

بنزهير : (تضحك ثم تترجل عن حصانها وهى تقول) .. إنزلى أيتها

الوصيفة .. لنستزيد من هذه الأنغام اللطيفة .

الوصيفة : تفضلى .

بنزهير : ترجّلى .

الوصيفة : الناى . والنسيم المعطر .

بنزهير : ما أشجى ألحانك أيها الفتى الأسمر .

زعفران : (يتنهد قائلًا) .. إنها حنين الغرباء .. إذا تحكّم القضاء .. وعز اللقاء .

بنزهير : لكأنها تتنزَّل من السماء .

زعفران : شكراً يا سيدتى الحسناء .

بنزهير : لم أسمع مثل هذه الأنغام فى بنى الأصفر .. من أنت أيها الفتى الأسمر .

زعفران : أنا .. اسمى زعفران .

بنزهير : زعفران .

زعفران : غريب الأهل والأوطان .

بنزهير : إذن انت الفتى الغريب الذى جعله عمى وزيراً للميمنة .

زعفران : عمك ؟!

بنزهير : نعم عمى أنا .. يا وزير الميمنة .

زعفران : إذن فأنت الأميرة بنزهير (يقولها وهو يتذكر كلام الملك شور عنها) .

بنزهير : نعم أيها الوزير .

زعفران : هذا شرف كبير .
أقدم احترامى يا سيدتى الجميلة .

بنزهير : تحية مقبولة .
والآن . يا سيد زعفران .. أريد أن أسمع بعض هذه الألحان

زعفران : إنها سمير وحدتى .. أعزفها فى خلوتى .

بنزهير : أسمعنى ثانياً وزدنى .

زعفران : أنا يا مولاتى كالطير الذى يغنى .. عندما يريد أن يغنى .

بنزهير : (فى دلال) .. وأنت لا تريد أن تغنى ؟

زعفران : (يعتذر بلطف) .. شردت هذه الأنغام منى .

بنزهير : (فى دلال) تعتذر لى أم أنت تتهرب منى .

زعفران : (لايعطيها جوابا شافياً) .. يعنى .

بنزهير : (تنفجر ضاحكة) .

الوصيفة : (وهى تضحك معها) .. تعرفين أنه ظريف يا مولاتى .

بنزهير : لم أر أظرف منه فى حياتى .

الوصيفة : (تتقدم إلى زعفران قائلةً) .. اذن فانت الوزير الجديد .

بنزهير : الذى جاءنا من بعيد .. هذا ظرف سعيد .

زعفران : العفو يا مولاتى الأميرة .

بنزهير : ولكن لماذا أنغامك هكذا حزينة .

زعفران : ليست هذه أنغاما يا أميرة .
هذا حنين وأنين .. يرسله الناى الحزين .
إنها دموع الغريب إذا بكى .. وشكاة الموجوع إذا شكا .

بنزهير : (فى اعجاب) .. أرى كلامك .. يشبه أنغامك .

زعفران : الغربة .. صعبة .

بنزهير : لن تكون غريبا بيننا .. ستكون سعيداً عندنا ..
أنا قصرى هنا .. فى آخر الميدان .. وراء قصر السلطان .. ويسرنى أن أستقبلك فى أى وقت كان .

زعفران : بمشيئة الرحمان .

بنزهير : (بلهجة الطلب) .. ستزورنى يا زعفران .

زعفران : كل شىء بأوان .

بنزهير : (وهى تخلع سوارها وتلقى به فى خلسة عند قدميه وهو لا يراها وهى تقول) سأنتظرك لأنى أريد أن أسمع منك .. ما سمعته عنك .
وحتى أسمع طرفاً من ألوان الحياة .. فيما وراء هذه المياه .

زعفران : بمشيئة الله .

بنزهير : حسن . سنفترق الآن .. ونحن على موعد يا زعفران .
(وتقفز إلى ظهر جوادها وهى تقول لوصيفتها) .. هيا يا زهيرة .

الوصيفة : (وهى تقفز إلى ظهر جوادها) .. هيا يا مولاتى الأميرة .

بنزهير : (بصوت مرتفع وهى تركض بحصانها)..سأنتظرك يا سيد زعفران .

زعفران : (بصوت مرتفع وهى تبتعد) .. فى سلام وأمان .
(ثم يقول لنفسه) .. أهذه هى الأميرة بنزهير .. التى حدثنى عنها الملك تشيانج شور .. إنها الـ .
(ويقطع كلمته وقد وقعت عينه على السوار) .. الله ؟ ما هذا ؟

إنه سوار عجيب .. من الماس والذهب ..
لابد أنه سقط من الأميرة .
(ويحاول أن يناديها) .. يا مولاتى الأميرة .. يا مولاتى الأميرة .
(ثم يقول لنفسه) .. لم تسمعنى .. ابتعدت عنى .
نسيت سوارها .. وتركت عنوانها .
إذن يتحتّم أن أزورها .. لأردّ لها سوارها .
هكذا تحكم القضاء ..
إه . يفعل الله ما يشاء .

* * *

جلفدان : أما فى بلاد النهروان .. فقد كانت الأميرة عطرشان .. جالسة فى البستان .. تعزف على الناى بعض الألحان .. عندما أقبلت عليها وصيفتها وردشان .

وردشان : (وهى تتقدم إليها) .. مولاتى الأميرة عطرشان .
عطرشان : وردشانُ .. هل من جديد يا وردشان .
وردشان : ماذا تصنعين يا بنت السلطان .
عطرشان : أرد بالناى على زعفران .
وردشان : (تنفجر باكية) .. زعفران .. إهىء إهىء إهىء .
عطرشان : (ثائرة) .. لا . لايبكى أحد على زعفران .
زعفران لم يمت ولم يغرق .. زعفران حىٌّ يُرزق .
وردشان : (من خلال دموعها) .. يا للمسكينة .
عطرشان : (أشدُّ انفعالًا) .. لا . أنا لست مجنونة .. لست مجنونة .
وردشان : ولكنهم عثروا على جثث من كانوا معه فى السفينة .
عطرشان : ولكن زعفران على قيد الحياة .. لم تبتلعه المياه .. إنه يكلمنى من حيث لا أراه .
وردشان : (تبكى)
عطرشان : (مستمرةً) وتدور بيننا المناجاة .
وردشان : (بصوت مختنق) .. لا حول ولا قوة إلا بالله .
عطرشان : أعرف انك لن تصدقينى .. ولكنى أسمعه يناجينى .
وردشان : (بصوت مختنق) .. ماذا تقولين يا بنت السلطان .

عطرشان : أنا أذنى لا تخطىء ناى زعفران .. إنه يكلمنى على البعد بهذه الألحان .. وأنا أردُّ عليه بالألحان .

وردشان : (باكية) .. يلطف الله بنا أجمعين .

عطرشان : ألا تصدقين .

وردشان : هكذا تتخيلين .

عطرشان : بل هو عين اليقين . ألا تسمعين ؟

المرزبان : (قادماً عليها) .. مولاتى الأميرة عطرشان .

وردشان : المرزبان .

عطرشان : هيه . ماذا فعلت يا مرزبان ؟

المرزبان : كل شيء على مايرام .. والخطة تنفَّذ بإحكام .

عطرشان : وبقية الفرسان ؟

المرزبان : ينتظرونك الآن .

عطرشان : حسن . إسبقنى أنت يا مرزبان .
أنا ذاهبة يا وردشان .

وردشان : الآن ؟

عطرشان : (فى غيظ مكتوم) .. الآن .. وفى كل آن .
لن يشعر الفجر أنهم ارتاحوا من زعفران .. ولن نريحهم لحظة من زمان .. حتى يتجرعوا عاقبة العدوان .

* * *

جلفدان : وكانت الأميرة بنزهير قد تعلقت بزعفران .. منذ أن رأته على الشاطىء يعزف على نايه هذه الألحان .. ولهذا تعمدت أن تسقط سوارها عند قدميه .. حتى يعثر عليه .. ويدفعه ذلك إلى القدوم عليها .. ليرد السوار إليها :

بنزهير : اسمه زعفران .
لن أنسى هذه الألحان .. كم هى شجية مثيرة .

الوصيفة : (تتضاحك) .

بنزهير : ألم تسمعيها يا زهيرة ؟

الوصيفة : بعض هذا يا مولاتى الأميرة .

بنزهير : لم تسمع أذناى .. مثل ذلك الناى .

الوصيفة : (وفى صوتها لون الضحك) .. الناى .. أم صاحب الناى ؟

بنزهير : (فى غضب) .. زهيرة .

الوصيفة : أنا معك يا مولاتى الأميرة ..
الحقيقة لا تنكر .. شاب جميل أسمر .

بنزهير : لكن ألا ترين أنه تأخر .

الوصيفة : حقاً لقد مال ميزان النهار .. وأخشى ألا يكون قد رأى السوار .

بنزهير : (فى قلق) .. ولكنى ألقيته عند قدميه .

الوصيفة : قد لا تقع عيناه عليه .

بنزهير : يعنى ضاع السوار .

الوصيفة : على أى حال نحن فى الانتظار .

بنزهير : (ويصل إلى سمعها صوت طرق على الباب فتقول) .. هو ذا .

الوصيفة : زعفران .

بنزهير : لقد صرفت العبيد والبوّاب .. قومى أنت فافتحى له الباب .
واستقبليه بالترحاب .

الوصيفة : (وهى تتجه إلى الباب) .. صبراً صبراً يا سيدى .
(وتفتح الباب فتفاجأ بالوزير حور فتقول له) .. أهو أنت .

حور : (فى لهفة) .. أين الأميرة .

بنزهير : (من الداخل) من يا زهيرة .

الوصيفة : (وهى تغلق الباب وتتقدمه إلى الداخل) .. إنه الوزير هوفنج حور .

بنزهير : (تستقبله باهتمام) .. حور !

حور : (باهتمام وبصوت منخفض)..هل يوجد هنا..من يسمع حديثنا ؟

بنزهير : كنت أتوقع قدومك اليوم ولهذا صرفت جميع الخدم والعبيد .

حور : هذا تفكير سديد .

بنزهير : (فى سخرية خفيفة) .. بعض ما عندكم يا وزير الميسرة .

حور : (الذى يؤلمه أن الملك أنزله من الميمنة للميسرة) .. لا تذكرينى بما جرى .
(ثم فى غيظ شديد) .. وزير الميسرة !

بنزهير : دعك من هذه الثرثرة ..
أخبرنى ماذا فعلت مع العجوز الساحرة .

حور : ظللت وراءها أُمَنِّيها وأعطيها .. ثم أعطيها .. حتى استقامت لنا

الأمور .. وركَّبتْ لى هذا الذَّرور المسحور .

بنزهير : (تسأله) .. وعرفتْ أنك الوزير حور ؟

حور : (بلهجة الايجاب) .. لولا ذلك ما حصلت على هذا الذرور .

بنزهير : (تشهق فى جزع ثم تسأله) .. وعرفتْ أنك ستستعمل هذا الذَّرُور .. فى قتل الملك شور ؟

حور : نعم .

بنزهير : (فى غاية الغيظ) .. وتقول نعم ؟

حور : نعم .

بنزهير : أيها الأحمق كيف تطلعها على أسرارنا .

حور : أطمئ .

بنزهير : (تقاطعه فى انفعال) .. ألا تخشى أن تشى العجوز بنا .

حور : إطمئنى سرنا مصون .

بنزهير : (غاضبة) .. وكيف تضمن أيها المأفون ؟

حور : لأن الموتى لايتكلمون .

بنزهير : مــوتى ؟!

حور : نعم .

حور : (وقد فهمت أنه قتل العجوز الساحرة) .. أنت؟!

حور : نعم .

بنزهير : كيف ؟

حور : حتى لا نكون تحت رحمتها .. كان لابد أن أسكتها .

بنزهير : يعنى قتلتها .

حور : كل شيء قد انتهى .

بنزهير : والوصفة التى طلبتها .

حور : أخذتها .

(ويخرج لها القرطاس قائلًا) .. هى ذى أنظرى .

بنزهير : (وهى تأخذها منه) .. أرنى .

حور : (فى حرص) .. لا تفتحيها .. حتى لا يقع المسحوق الذى فيها .

بنزهير : أهو مسحوق الحجنجول ؟

حور : (بلهجة الايجاب) .. الذى تجن منه الخيول .

إذا وضعناه فى علوفة الحصان .. الذى يركبه السلطان .. ثم خرج به للصيد والقنص فانه يتقدم الحراس والأعوان .

بنزهير : (وهى تتابع كلامه فى فضول) هيه ؟

حور : فإذا همزه بهمازه السلطان .. جُنَّ الحصان .. وانطلق بالسلطان .. كأنه مارد من الجان .. ووراءه خيول الحاشية والأعوان .. ثم لا يلبث أن يشبَّ على قدميه .. ويرتمى على الأرض بمن عليه .. فتدوسه الخيول التى وراءه .. ولن يستطيع أحد إدراكه .
وبهذا نتخلص من السلطان دون أن يظهر لنا أثر .

بنزهير : (مسرورة) .. ونقول قضاء وقدر .

حور : ولا من سمع ولا من نظر .

بنزهير : (تمنيه الأمانى) .. ويخلو لنا الجو أنت وأنا .
(وهى تضحك) .. السلطانه .. ووزير الميمنة هاهاها .

حور : (يقول فى خوف وحذر وقد سمع طرقاً على الباب) .. مولاتى الأميرة .

بنزهير : انظرى من بالباب يا زهيرة .

الوصيفة : (بصوت مرتفع) .. من الطارق الآن .

زعفران : (ويصل إليهم صوته من الخارج) .. أنا زعفران .

حور : (فى خوف) .. وزير الميمنة .. لا ينبغى أن يرانى هنا .

بنزهير : (بسرعة وبصوت منخفض) .. أخرج من هذا الباب أنت .

حور : (وهو يخرج) .. سأقابلك فيما بعد .

الوصيفة : زعفران . جاء بالسوار الآن .

بنزهير : (بعد خروج حور) .. تستطيعين الآن .. أن تفتحى لزعفران .

* * *

جلفدان : ودخل زعفران . وفى يده السوار .. فاستقبلته الأميرة بالحفاوة والاكبار .
ثم بدأت فى تنفيذ خطتها .. فأشارت إلى وصيفتها .. وعندئذ .

* * *

وهنا قطع الأذان .. رواية جلفدان .. فامسكت عن حكايتها .. وانصرفت الى عبادتها .

وبهذا ينتهى هذا اليوم . من الف يوم ويوم .

ولما كان اليوم التالى .. على التوالى .. أسرعت الأميرة الى البستان .. وجلست الى مربيتها **جلفدان** .

وتحت فروع الخميلة .. وعلى أنغام الطيور الجميلة .. فتحت **جلفدان** باب الاحلام .. وجعلت تستأنف الكلام .. وتبدؤه بالصلاة والسلام .

* * *

جلفدان : وبعد الصلاة والسلام .. على خير الأنام .. يعود بنا الكلام .. إلى الفتى زعفران .. لما اختلى به الملك تشيانج شور .. وحدثه عن اختفاء ولده الأمير كافور .. وأسر إليه بما يجرى فى الخفاء ويدور .. وكيف اختلطت عليه الأمور .. وأصبح يقلّب ناظريه .. فلا يجد من يثق به أو يعتمد عليه .. وتأثر زعفران .. بكلام السلطان .. وقبل أن يبقى إلى جانبه .. كوزيره وصاحبه .. إلى أن يعود ابنه كافور .. أو تنجلى الأمور .

ولكن القدر المقدور .. ساقه إلى حرب القصور .. وما أدراك ماحرب القصور .. فقد رأته الأميرة بنزهير .. على شاطىء البحر الكبير .. وأثارت الأميرة أنغامه المثيرة .. ثم بهرها كلامه كما بهرتها أنغامه .. فتعمدت أن تلقى سوارها .. حتى يزورها .. ليرده إليها .. وتزعم أنه فقد منها ..

وهكذا وجد نفسه بدون أن يختار .. أو يكون له الخيار .. يطرق بابها وفى يده السوار .. وكأنه يطرق باب الأقدار .. وفتحت له وصيفتها زهيرة .. وتقدم إلى الأميرة .

زعفران : (وهو يتقدم إليها) .. مولاتى الأميرة .

بنزهير : (ترحب بمقدمه) .. زعفران .. يا أهلًا وسهلًا ويا مرحباً .

زعفران : سيدتى .

بنزهير : أيه ريح طيبة .. تفضّل تفضل .

زعفران : لقد جئت يا سيدتى لأسأل .
(وهو يقدم السوار) .. هل هذه الحلية تخصك ؟

بنزهير : (تتصنع الدهشة) .. الله ؟
زعفران : ماذا ؟
بنزهير : السوار .
الوصيفة : يا للأقدار .. سوار الأميرة .
بنزهير : أخيراً يا زهيرة .
الوصيفة : لقد قلبنا الدنيا بحثاً عنه .. فلم نجده .
بنزهير : أين وجدته بحق السماء .
زعفران : وجدته على شط الماء .
بنزهير : (بلهجة خالى الذهن) .. وما الذى ذهب به إلى الشطآن .
الوصيفة : لعله سقط من مولاتى فى المكان .. الذى قابلنا فيه السيد زعفران .
زعفران : هو ذاك .
بنزهير : إذن فقد سقط منى هناك .
الوصيفة : لقد كانت مولاتى حزينة .. لضياع حليتها الثمينة .
بنزهير : ليس لقيمتها مع أن قيمتها كبيرة .
الوصيفة : إنها تحمل ذكريات غالية على الأميرة .
بنزهير : حقا يا زهيرة .
زعفران : الحمد لله .
بنزهير : لقد صنعت معى جميلًا لا يمكن أن أنساه .
زعفران : استغفر الله .
بنزهير : لا أكاد أصدق أن سوارى قد عاد .
زعفران : على أى حال حصل المراد .
(وهو يتهيأ للقيام) .. أستأذن أنا .
بنزهير : ماذا ؟
زعفران : إسمحى لى أن أنصرف الآن .
بنزهير : ماذا تقول يا سيد زعفران .
زعفران : حصل المراد يا سيدتى .. وأرجو معذرتى .
بنزهير : (بلهجة العتاب) .. كأنك لم تأت لزيارتى .. وإنما جئت لتردَّ حليتى .
زعفران : يسعدنى أن أردّ إليك حليتك الذهبية .. وبخاصة إذا كانت تذكاريّة .
بنزهير : إذن فلا أقل من الشكر والتحية
(ثم تلتفت إلى وصيفتها قائلة) .. يا زهيرة .

الوصيفة : أمرك يا مولاتى الأميرة .
بنزهير : علينا بالشراب .
زعفران : (بلهجة الاستنكار) .. شراب !
بنزهير : أسرعى يا زهيرة .
الوصيفة : حالا يا مولاتى الأميرة .
زعفران : ولكن موعد انصرافى قد حان .
بنزهير : لا تكن عجولًا يا سيد زعفران .
زعفران : (معتذراً) .. ورائى مهام جسام .
بنزهير : يعدُّلُها من لا يغفل ولا ينام .
الوصيفة : (راجعة تحمل المدام) .. وهذه هى المدام .
بنزهير : هاتى الصينية هنا .. ضعيها أمامنا .
(الوصيفة تضعها أمامهما) .. أسرعى أنت الآن .. وأحضرى النُّقل والريحان .
(ثم تصب الخمر فى الكأس وهى تقول) .. أنظر يا زعفران .
زعفران : أنا يا سيدتى لا أشرب المدام .
بنزهير : (بلهجة الاستنكار) .. لا تشرب المدام .
زعفران : ولا أعرف الجام .
بنزهير : إذن نتساقى الكلام .
(ثم بلهجة من خطرت له فكرة) .. أم أقول لك .
زعفران : هه ؟
بنزهير : نسمع الناى والأنغام .
زعفران : الناى والأنغام (يقولها فى حزن وشجن) .
بنزهير : يا سلام .
زعفران : والليالى والأيام .
بنزهير : (وقد لاحظت آلامه) .. المدام .. تغسل الآلام .
هلمَّ كأسك .
زعفران : لا .. أفرغى لنفسك .
بنزهير : وأنت ؟
زعفران : ما شربتها قط .
بنزهير : إذن تشربها الآن .
زعفران : أنا لا أحب بنت الحان .

بنزهير : هل جربتها ؟

زعفران : سيدتى .

بنزهير : لو جربتها .. لاحببتها .

هذه فرَّاجة الهموم .. علالة كل مهموم .

(وهى تقرب الكاأس منه) .. أنظر إلى لونها .. إنشق شميمها .

زعفران : (يتأفَّف وهو يشمها) .. أف . أف .

بنزهير : (تضحك ثم تقدم له الكأس قائلة) .. خذ . إشربْ على لقائنا .

زعفران : أ أنا .. أنا .

بنزهير : لا تردَّ يدى .. إشرب إشرب .

زعفران : (على غير إرادته) .. ط طيب .. هاتى .

بنزهير : إشرب يا حياتى

زعفران : (يشرب جرعة ويسعل وهو يقول) .. تكاد تحرق لهاتى .

بنزهير : (تضحك فى دلال) .

زعفران : إنها لاذعة جدا يا مولاتى .

وقد قلت لك إننى لا أحبها .. ولا يمكننى شربها .

بنزهير : طيب نترك المدام .. ونرجع للناى والأنغام .

زعفران : سيدتى .

بنزهير : إن أنغامك تدير رأسى .

زعفران : إنها صدى آلامى ويأسى .

بنزهير : ولكنها تفعل فى نفسى .. ما يفعله كأسى .

زعفران .. ألا تسمعنى .

زعفران : قلت لك يا مولاتى إننى كالطير الذى يغنى .. عندما يريد هو أن يغنى

بنزهير : أنت تخجلنى .

زعفران : هموم الحياة تشغلنى .

إننى أعيش معكم ببدنى .. بينما روحى وقلبى فى وطنى

بنزهير : ألا تطيب لك الإقامة بيننا .. ألا يعجبك ما عندنا ؟

زعفران : أنا ؟!

لقد غمرتمونى بكرمكم .. ولا يمكن نسيان جميلكم .. ولكن بلادى تحتاجنى يا أميرة .. هناك مشاكل كثيرة .

بنزهير : زعفران .

زعفران : مولاتى .

بنزهير : ما رأيك إذا بقيت عندنا .. وتبسمت الأيام لنا .. فتكون أنت السلطان وأنا السلطانة .

زعفران : مولاتى .

بنزهير : (مستمرةً) ونقول لك يا مولانا .

زعفران : هذا كلام خطير .

بنزهير : (تتراجع وقد أحست أنها انزلقت فى الكلام) .. أوه إنك لم تفهمنى يا سيدى الوزير .
أنا قصدى .. أن تكون مثل السلطان عندى .. وأكون عندك مثل السلطانة .

زعفران : أطال الله عمر مولانا .

بنزهير : زعفران قل لى .

زعفران : نعم .

بنزهير : ما رأيك فى جمالى وحسنى .

زعفران : مولاتى :
زادك الله جمالا على جمال .. وصانك بالعفة والكمال .

بنزهير : من ساعة أن حمل النسيم إلىَّ أنغامك .. ثم رأيتك وسمعت كلامك .. عرفت الحب لأول مرة .

زعفران : (بلهجة التعجيب) .. الله !

بنزهير : ومن أول نظرة .

زعفران : أرجوك أن تفهمينى .

بنزهير : أنت لم .

زعفران : (يقاطعها قائلًا) .. إسمعينى أرجوك أن تسمعينى .. حتى تعذرينى أنا يا مولاتى خاطب .. خاطب .

بنزهير : (فى غيظ) .. خاطب !

زعفران : نعم . الأميرة عطرشان .. بنت الملك كنعان .

بنزهير : (فى غيظ) .. عجائب .

زعفران : ولا عجائب ولا غرائب .

بنزهير : (تسأله) .. وتحبها ؟

زعفران : هى قلبى وأنا قلبها .. وأملى فى الحياة قربها .

بنزهير : وعطرشان هذه جميلة .

زعفران : للجمال مقاييس كثيرة .. يا مولاتى الأميرة .

بنزهير : وتظن أنها أجمل منى ؟
زعفران : الحب .. لا ينظر لغير من أحب .
وأنا يا مولاتى أرى فلا أرى غيرها .. فكيف أقارن بينك وبينها .
بنزهير : (فى غيظ شديد) .. ولماذا لم تقل لى هذا الكلام .. قبل أن نتبادل أحاديث الغرام ؟
زعفران : غرام !
بنزهير : زعفران .. لقد أحرجتنى الآن .
زعفران : أنا يا مو ..
بنزهير : كان عليك أن تنير لى دربى .. ولا تجعلنى أصارحك بحبى .
زعفران : وما ذنبى ؟
بنزهير : (ثائرة) وتقول ما ذنبى ؟ كيف تجعلنى أحبك ؟
زعفران : أنا يا سيدتى لم .
بنزهير : (تقاطعه صائحة) .. لقد أهنت حبى .. وكسرت قلبى .
زعفران : ولكن .
بنزهير : (مستمرة فى ثورتها) .. إسمع يا زعفران .
ليس من اليسير .. أن تنهزم بنزهير .
سأتركك لنفسك .. لترجع إلى عقلك .
زعفران : لكن .
بنزهير : (لا تمكنه من الكلام) .. فكر على مهلك .
(ثم تصفق وتنادى) .. يا زهيرة .. زهيرة .
الوصيفة : (قادمة) .. مولاتى الأميرة .
بنزهير : (فى غضب) .. أرشدى السيد إلى الباب بأدب .
الوصيفة : وجب .
بنزهير : (تشيع زعفران قائلة) وأنت انصرف الآن .. ولكن أعلم أن كل شىء بأوان .. وأن لهذا اللقاء ما بعده يا زعفران .

* * *

جلفدان : وانطلق زعفران .. إلى السلطان .. فأسرَّ إليه بكل ما كان .. وظل السلطان يستمع إليه .. ثم أقبل بالكلام عليه .

شور : ماذا تقول يا زعفران يا ابنى ؟
إنك تؤكد ما ذهب إليه ظنى .

زعفران : لقد ذكرت لك كل ما كان .. حتى ترى رأيك يا مولاى السلطان .

شور : إنه يا ولدى كلام خطير .. يؤكد شكى فى الأميرة بنزهير .

زعفران : يخيل إلى أن حكاية السوار مفتعلة يا مولاى السلطان .
يخيل إلىّ .. أنها تعمدت أن تلقى حليتها عند قدمىّ .. حتى أعثر عليها .. وأذهب بها إليها .

شور : لقد راودتنى هذه الأفكار .. لما سمعت حكاية السوار .
(ثم يستدرك قائلًا) .. ولكن كل هذا يا زعفران .. لا ينهض دليلا إلى الآن ..

زعفران :كيف يا مولاى السلطان .

شور : أليس من الجائز أن يكون الأمر نزوة حب ولا أكثر .. وأنه ليس وراءها ما نتوهّم وما نتصوّر ؟
من يدرى .. من يدرى ؟
أنا فى حيرة من أمرى .

زعفران : ترى هل هناك طريقة .. لمعرفة الحقيقة ؟

شور : أجل .

زعفران : والعمل ؟

شور : لا تجعلها تقطع الأمل .

زعفران : (يسأله) .. أمضى معها فى دور الغزل .

شور : إذا أردنا أن نأمن الزلل .. ونتجنب الفشل .

زعفران : أنا لا أستطيع يا مولاى السلطان .. أنا مرتبط بالأميرة عطرشان .

شور : أنا يا ولدى أقدر شعورك ولكنى .

نعمان : (داخلًا يقول للسلطان) .. الحملة فى انتظارك يا مولاى السلطان .

شور : طيب . اسبقنى أنت يا نعمان .
(ثم يقبل على زعفران قائلًا) إسمع يا زعفران ..

زعفران : نعم .

شور : أنا خارج للصيد الآن ..

زعفران : ألا أصاحبك يا مولاى السلطان .

شور : لا ستبقى أنت لتصرف شئون الديوان .
(وينهض وهو يقول) .. سأغيب أنا ثلاثة أيام .. ثم يكون لنا كلام

.. اتركك فى خير وسلام .

زعفران : (يشيعه قائلًا) .. فى أمان وسلام .

* * *

جلفـدان : وخرج السلطان .. وبقى زعفران .. ليصرف شئون الديوان .. وفجأةً تحوّل كل شىء وتغيّر .. فقد وقع الحدث الأكبر .. وعندئذ .

* * *

وهنا قطع الأذان .. رواية جلفدان .. فامسكت عن حكايتها .. وانصرفت الى عبادتها .

وبهذا ينتهى هذا اليوم . من الف يوم ويوم .

ولما كان اليوم التالى .. على التوالى .. أسرعت الأميرة الى البستان .. وجلست الى مربيتها **جلفدان** .

وتحت فروع الخميلة .. وعلى أنغام الطيور الجميلة .. فتحت **جلفدان** باب الاحلام .. وجعلت تستأنف الكلام .. وتبدؤه بالصلاة والسلام .

* * *

جلفدان : **وبعد الصلاة والسلام .. على خير الأنام .. يعود بنا الكلام .. إلى الفتى زعفران .. لما رجع إلى السلطان .. وأسرَّ إليه بكل ما كان .. وكيف ذهب إلى قصر الأميرة بنزهير .. وكلامها الغامض المثير .. وحكاية السوار .. وكل ما جرى ودار ..**
وكان السلطان تشيانج شور .. منذ غاب ولده الأمير كافور .. يشعر بجو مريب .. ويداخله إحساس غريب .. ولكنه لا يملك الدليل والبرهان .. فلما سمع كلام زعفران .. تحركت فى نفسه الهواجس .. وتملكته الوساوس .. فى الوقت الذى أقبل فيه الخادم نعمان ليخبره أن حملة الصيد تحت أمره .. ونهض السلطان من فوره .. بعد أن أمر زعفران بالبقاء .. ليراقب ما يدور فى الخفاء .. إلى أن يعود من رحلته .. وينظر فى الأمر برمته .. بعد عودته .

* * *

وبينما كانت الأميرة .. مع وصيفتها زهيرة .. تستعرضان ما كان .. .. حدث ما نراه الآن .

بنزهير : (فى غيظ شديد) .. وبعد ؟ وبعد يا زهيرة .
الوصيفة : يبدو أننا تسرعنا يا مولاتى الأميرة .
بنزهير : وهل كان يخطر ببالى أو يجول بظنى .. أنى أعرض على زعفران جمالى وحسنى .. فيصدّ عنى .

الوصيفة : يجب أن نلتمس له العذر يا مولاتى الأميرة .
بنزهير : كلا . لا عذر له يا زهيرة .
الوصيفة : ألم يقل إنه مرتبط بالأميرة عطرشان .
بنزهير : ولو .
مهما كان .. فلا عذر لزعفران .
كان عليه أن يفهم أن التى تكلمه هى الأميرة بنزهير .. وأن أى كبير .. أمام إرادتى صغير .
الوصيفة : إلى هذا الحد تحبينه يا مولاتى .
بنزهير : بل أمقته كما لم أمقت أحداً فى حيـاتى .
الوصيفة : الكره درجة من درجات الحب فى بعض الأحيان .
بنزهير : إلا مع زعفران .
لقد أهان حبى .. وأرخص قلبى .
الوصيفة : يا ربى .
بنزهير : (ثائرة) .. لا . هذه مهانة .. ولابد أن أغسل الاهانة .. لابد أن يأتى ذليلا إلىّ .. ويركع عند قدمىّ .
الوصيفة : (وقد وصل إلى سمعها طرق متواصل على الباب) .. من الطارق الآن .
بنزهير : من يدرى لعله زعفران ..
الوصيفة : (وهى تسرع إلى الباب) .. صبراً صبراً أيها الطارق .
(وتفتح الباب فتفاجأ بالوزير حور فتقول) .. أهو أنت .
حور : (داخلًا) .. أين مولاتك الأميرة .
بنزهير : (من الداخل) من يا زهيرة .
حور : (وهو يتقدم إليها) .. خادمك يا مولاتى الأميرة .
بنزهير : هوفنج حور !
حور : عبد مأمور .. يسوس الأمور .
بنزهير : هيه . ماذا جرى .. يا وزير الميسرة .
حور : (فى حرص وحذر) .. أولا . هل يوجد هنا.. من يصل إليه كلامنا
الوصيفة : ليس هنا من يمكن أن يستمع إلينا .
حور : حسن .. أغلقى هذا الباب علينا .
بنزهير : نعم . ماذا وراءك يا حور .
حور : ليس فى الإمكان .. أبدع مما كان ..

بنزهير : ماذا عن الدُّرور .. المسحوق المسحور .

حور : وضعه السائس فى علوفة الحصان .. الذى سيركبه السلطان .

بنزهير : (تسأله) .. وأكله الحصان ؟

حور : واستقرَّ فى جوفه الآن .

بنزهير : مسحوق الحجنجول .

حور : الذى تجنُّ منه الخيـول .

والآن سيخرج السلطان ويركب للصيد والقنص .. وبطبيعة الحال سيتقدم الحاشية والحرس .. وهو على ظهر هذا الفرس .. فاذا لاح غزال أو أتان .. غمزه بمهمازه السلطان .. وعندئذ يجمح الحصان . وينطلق بالسلطان .. ووراءه خيول الحاشية والأعوان .. ثم لا يلبث أن يشبَّ على قدميه .. ويرتمى على الأرض بمن عليه .. فتدوسه خيول الأعوان والفرسان .

وفى لحظة من زمان .. ينتهى السلطان .

بنزهير : كل هذا من تأثير ذلك الدُّرور ؟

حور : إنه مسحوق مسحور .

بنزهير : وإذا لم يؤثر هذا المسحوق فى الحصان .. أو إذا أمكن أن ينجو السلطان ؟

حور : هذا شيء محال .

بنزهير : بل هو احتمال .

حور : لن نخسر شيئا على أى حال ..

إن سِرَّنا .. محصور بيننا .. فذا لم يؤثر المسحوق فى الحصان .. يكون كل ما كان .. وكأنه ما كان .

بنزهير : ومتى يخرج السلطان ؟

حور : لقد تركتهم وقد جهزوا له الحصان .. وأرسلوا إليه خادمه نعمان .

(ثم ينهض وهو يقول) .. أنا قائم الآن .. لأدرك الفرسان .. وأسير فى ركاب السلطان .

إنما جئت فقط لأخبرك قبل أن نسير .. لتُعدِّى نفسَكِ لاستقبال هذا الأمر الخطير .

بنزهير : هذا إذا نفع المسحوق يا وزير .

حور : سينفع وستكون لك السلطنة .

بنزهير : وتكون أنت وزير الميمنة .

حور : وزعفران ؟
بنزهير : (وهى تنهض معه) .. زعفران . دعه لى أنا . والآن هيا بنا .

* * *

جلفدان : وخرج السلطان .. على رأس الفرسان .. للصيد والقنص .. ووراءه الأعوان والحرس .. وظل يسير .. وطال به المسير .. حتى أدركه الملل والفتور .. وأقبل على الوزير . هوفنج حور .

شور : (فى ضيق وملل) .. ماذا جرى أيها الوزير .. كم ساعة ونحن نسير . ولم يظهر إلى الآن .. أى غزال أو أية أتان .

حور : صبراً يا ملك الزمان .. كل شىء بأوان .

نعمان : (يصرخ بأعلى صوته وقد رأى فى الأفق سرباً من الظباء) .. يا مولانا السلطان .. يا مولانا السلطان .

شور : (وقد رأى ما رآه نعمان) .. ماذا ترى عيْناىْ .

حور : انظر يا مولاى .

شور : هذا سرب من الغزلان .
(وبلهجة الأمر) .. أطلقوا عليه الكلاب والصقور .
(وينطلق بحصانه فى المقدمة وهو يقول) .. إتبعونى أيها الفرسان ..
(ويسوط حصانه وهو يقول) .. طرْ أيها الحصان .. طيران .. طيـران . ورائى أيها الفرسان .

نعمان : (وقد رأى حصان السلطان يجمح ويشبُّ على قدميه) .. الله ! الله! الحصان .

فارس : (وقد رأى الحصان يرتمى على الأرض فيقع السلطان) مولانا السلطان .

نعمان : (وهو يحاول عبثاً أن يكبح حصانه الذى كان منطلقا وراء حصان السلطان) .. السلطان .. السلطان .

الفرسان : (يتصايحون وهم يحاولون عبثاً أن يكبحوا جماح خيولهم التى كانت تنطلق بأقصى سرعتها وراء حصان الملك) .. قفوا أيها الفرسان .. قفوا أيها الفرسان .

نعمان : (وقد وقفوا ولكن بعد أن نفذ السهم) .. ماذا جرى يا قائد الفرسان .

حور : مولانا السلطان .
فارس : يا للداهية الدهياء .
فارس : هكذا تحكم القضاء .
نعمان : (وهو يبكى) .. يالقسوة الأقدار .. مات الملك المغوار .
حور : أجل .. إنه خطب جلل .
لقد جلّ المصاب عن العزاء .. ولن يجدى البكاء .. والملك لله يورثه من يشاء .
والآن إحملوا جثته الطاهرة .. إلى أحد قصوره العامرة .
أصـوات : هيا أيها الفرسان .. هيا أيها الفرسان .
جلفدان : وأعلن الحداد .. فى جميع أنحاء البلاد .. وأنطلق المنادى .. وهو يصيح وينادى .

المنادى : (ينفخ فى البـوق ثم ينادى) يا أهل المدينة الملك لصاحب الملك .
انتقل إلى رحمة الله .. وأصبح فى جوار الله .. الملك تشيانج شور العظيم .. إثر حادث أليم .
وبموجب ولاية عهده .. ووراثة الملك من بعده .. وبسبب اختفاء الأميـر كافور .. واعتباره مفقوداً من شهور ..
لذلك ترث السلطانة بنزهير .. عرش الملك تشيانج شور .
صلوا من أجل السلطان .
(وينفخ فى البوق ثم يكرر النداء) .. يا أهل المدينة .

* * *

جلفدان : وانطلق الوزير حور . إلى الأميرة بنزهير .. فدخل عليها .. وتقدم إليها .

حور : مولاتى السلطانة بنزهير .
بنزهير : هوفنج حور .. ماذا صنعت يا وزير ؟
حور : أعددت لك موكباً ليس له نظير .. حتى تركبى إلى المعبد الكبير .. ليتم احتفال تنصيبك .. ويضع الكاهن الأكبر التاج على جبينك .
بنزهير : أنا لا أسألك عن هذا .
حور : ماذا ؟

بنزهير : إنما أسألك عن زعفران .
حور : زعفران يلاقى فى سجنه الهوان .
بنزهير : (غاضبةً) .. لماذا سجنته يا حور ؟
حور : لأنه من رجال الملك شور .
بنزهير : ألم أقل لك دعه لى أنا .
حور : ولكنه لم يعد وزيراً للميمنة .
بنزهير : واذا لم يعد وزيراً للميمنة .. فهل هذا يبرِّرُ أن تسجنه .
حور : يا مولاتى السلـ .
بنزهير : (تقاطعه قائلةً) .. أى خطأ فعلته .. وفى أى سجن سجنته ؟
حور : سجنته فى القصر هنا .
بنزهير : تقدمنى إليه .
حور : ولكن الموكب ينتظرنا .
بنزهير : (بلهجة حاسمة) .. أقول لك تقدمنى إليه .
حور : (مستسلماً) .. كما تأمرين .. لك ما تشائين .
بنزهير : إمش قُدّامى .. سرْ أمامى .

* * *

جلفدان : وبينما كان فى سجنه زعفران .. فوجىء بالخادم نعمان .. يتقدم إليه .. مع أن باب السجن مغلق عليه .

زعفران : (وقد فوجىء به) .. من ؟ من ؟
نعمان : ألا تعرفنى يا ولدى يا زعفران .. أنا عمك نعمان .
زعفران : مربِّى السلطان ؟
نعمان : (يهمس له) .. أنا يا ولدى لا أصدق شيئا مما تراه عيناى .. إننى أشم رائحة مؤامرة دُبِّرت ضد مولاى .
وإذا كان فى نفسك أى شك .
زعفران : (يقاطعه قائلا) .. طالما حدثنى المرحوم عنك .. وأنا شخصياً أثق بك .
نعمان : لقد جئت إليك الآن .. لأساعدك يا سيد زعفران .
زعفران : (فى يأس) .. وما الذى تستطيعه يا عم نعمان .
نعمان : لقد سجنوك فى هذا المكان .. ولم يعلموا أن به سرداباً سرياً

يا سيد زعفران .

زعفران : (يسأله) ذلك الذى جئت منه الآن .

نعمان : والذى كان يستعمله السلطان .. فى بعض الأحيان .

زعفران : وماذا تريد منى ؟

نعمان : أخرجك من سجنك يا ابنى .

زعفران : (فى يأس) .. وأفرض أننى خرجت من سجنى .. فالى أين أذهب يا عمى ؟

نعمان : إننى أمدُّ اليك يدى .. أنا خائف عليك يا ولدى .

زعفران : (فى يأس) .. ولكننى أريد أن أرجع إلى بلدى .. فمن لى بالسفن والرجال .. وهذه أشياء تحتاج إلى أموال .

نعمان : (فى فزع وقد سمع طرقاً على الباب) .. يا خبر .

زعفران : ترى من يطرق الباب .

نعمان : (وهو يسرع إلى السرداب السرىّ) .. سأخرج أنا من هذا السرداب .

زعفران : أسرع يا عم نعمان .

نعمان : (وهو يخرج من السرداب) .. سأعود إليك يا سيد زعفران .

زعفران : (والطرق يتكرر يقول لنفسه) .. يا للعجب العجاب .. يطرقون علىَّ الباب .
أهو السجَّان .. يحتاج إلى استئذان !!
(ويتكرر الطرق على الباب فيصيح زعفران) .. أدخل .

* * *

جلفدان : وفُتح الباب .. ونظر الفتى وهو مرتاب .. فاذا الأميرة بنزهير . ووراءها الوزير الشرير .. فتقدما إليه .. وأقبلا عليه .. وعندئذٍ.

* * *

وهنا قطع الأذان .. رواية جلفدان .. فامسكت عن حكايتها .. وانصرفت الى عبادتها .

وبهذا ينتهى هذا اليوم . من الف يوم ويوم .

- ٢٠ -

ولما كان اليوم التالى .. على التوالى .. أسرعت الأميرة الى البستان .. وجلست الى مربيتها **جلفدان** .

وتحت فروع الخميلة .. وعلى أنغام الطيور الجميلة .. فتحت **جلفدان** باب الاحلام .. وجعلت تستأنف الكلام .. وتبدؤه بالصلاة والسلام .

* * *

جلفدان : **وبعد الصلاة والسلام .. على خير الأنام .. يعود بنا الكلام .. إلى الأميرة بنزهير .. لما ذهب زعفران إلى قصرها الكبير .. ليردَّ سوارها إليها .. الذى تعمدت إسقاطه من يديها .. ثم زعمت أنه ضاع منها .. فمنذ وقعت على زعفران عيناها .. حسبت أنه فتاها .. وصارحته بهواها .. وأفهمها زعفران .. أنه مرتبط بحبيبته عطرشان .. فاشتعلت نار الحقد فى قلبها .. واعتبرتها أهانة لحبها .**

وكانت المؤامرة تدور .. على عرش الملك تشيانج شور .. فجاءها الوزير حور .. بالمسحوق المسحور .. فلما طعمه الحصان .. وخرج إلى الميدان .. كبا بالسلطان .. وداسته خيول الفرسان .. وهكذا قضى الملك شور واندثر .. وقالوا قضاء وقدر ..

وكان أول ما فعله الوزير حور .. بعد مصرع الملك شور .. أن أمر الأعوان فقبضوا على زعفران .. وسجنوه فى قصر السلطان .

وغضبت لذلك بنزهير .. وصحبت الوزير .. وانطلقا إليه .. ودخلا عليه .

بنزهير : (داخلة عليه) .. زعفران .

زعفران : من ؟ بنزهير .. والوزير ؟

بنزهير : كيف يقبض عليك العساكر .. إن غضبى ليس له آخر .

زعفران : (فى سخرية خفيفة) إم . أليست هذه هى الأوامر ؟

حور : (مستنكراً) .. أوامر .

بنزهير : معاذ الله يا زعفران .

حور : إن مكانك عندنا فوق كل مكان .

بنزهير : ما كنت أتصور أن شيئاً من ذلك يكون .
حور : كل شدة تهون .
زعفران : هل أستطيع أن أعرف لماذا أنا مسجون ؟
بنزهير : غلطة يجب أن يحاسب عليها المسئولون .
(ثم تلتفت إلى الوزير قائلة) .. إسمع يا حور .
حور : أنا عبد مأمور .
بنزهير : تصدر الأوامر .. بجمع الحرس والعساكر .. وتخرج منهم جميع الأعوان .. الذين اشتركوا فى الاعتداء على زعفران .
حور : متى ؟
بنزهير : الآن .
حور : ولكن الموكب ينتظرك يا .
بنزهير : (تقاطعه قائلة) .. قلت لك الآن .. دعنى مع زعفران .
حور : (وقد فهم أنها تريد أن تخلو بزعفران) .. أ . أنا تحت أمرك .
بنزهير : انطلق من فورك .
حور : (وهو خارج) .. أنا عبد مأمور .
بنزهير : أغلق الباب وراءك يا حور .
(ثم تقبل على زعفران وقد انفردا) .. زعفران .
زعفران : بنزهير .
بنزهير : (وهى تتصنع الحزن) .. أرأيت إلى ما حدث يا زعفران .. وكيف قضى السلطان .
زعفران : البقية فى حياتك يا مولاتى .
بنزهير : وما قيمة حياتى .
إننى أنظر إلى أمسى ويومى .. بعد أن قتل عمى .. فيزداد حزنى وهمى . لم يستطيعوا أن يكبحوا خيولهم .. عندما جمح به الحصان وارتمى أمامهم وراح الملك المأمول .. تحت سنابك الخيول .
ولهذا تجدنى حزنانه .. ولو أنى سأكون السلطانة .
زعفران : سلطانة ؟
بنزهير : على عرش مولانا .
زعفران : قضاء وقدر .
بنزهير : ولا يغنى الحذر .. من القدر .
زعفران : (يعود إلى مشكلته) .. ولكن لم قبض علىَّ أولئك النفر .
بنزهير : هذا خطأ كبير .. سيحاسبهم عليه الوزير .

كيف يجرؤ أولئك العُبدان .. على حبس السلطان .

زعفران : (فى دهشة) .. سلطان ؟!

بنزهير : كأنك لم تفهم بعد يا زعفران .

زعفران : أفهم ماذا يا سيدتى .

بنزهير : إذا أصبحت أنا السلطانة تكون أنت السلطان .

زعفران : (أشد دهشة) .. أنا أكون السلطان !

بنزهير : لأنك ستكون زوج السلطانة .

زعفران : زوج السلطانة ؟!

بنزهير : ونقول لك يا مولانا .

زعفران : (مستنكراً) رجعنا إلى كلام زمان .

بنزهير : زعفران .

زعفران : قلت لك يا سيدتى ألف مرة .. وأقولها مرة أخرى .. إننى إذا كنت معكم اليوم فلن أكون معكم بكرة .

بنزهير : (فى غيظ) .. إذن فانت ترفض .

زعفران : ليس معنى ذلك أننى أرفض .

بنزهير : إذن فأنت تقبل .

زعفران : ولا أقبل .

بنزهير : لا ترفض ولا تقبل .. هذا شيء لا يعقل .

زعفران : سيدتى .. لاداعى لإحراجى .

بنزهير : بل أنت الذى تتسبب فى إحراجى .. حين ترفض زواجى .

زعفران : هذا شيء خارج عن إرادتى .

بنزهير : ألا تعرف أن ذلك يمسُّ كرامتى .

زعفران : إذا كنت لا أحبك يا مولاتى .

بنزهير : (فى غاية الانفعال) .. وأنا أيضا أمقتك كما لم أمقت أحداً فى حياتى.

زعفران : خلاص دعينى أذهب إلى بلادى .

بنزهير : آ . لتعود إلى عطرشان .

زعفران : ... ...

بنزهير : هه ؟ أليس كذلك يا زعفران .

زعفران : سيدتى .

بنزهير : لن تصبر على مكايدتى .. ولن تستطيع منازلتى .. ليس من اليسير .. أن تهزم بنزهير .. ولسوف ترى الآن .

ما أصنعه بك يا زعفران .
(ويسمع طرق على الباب فتصيح قائلة) أدخل .

حور : (يفتح الباب ويدخل قائلًا) .. الموكب يا مولاتى السلطانة فى الانتظار .. وجماهير الناس على الصفين كالبحار .

بنزهير : نعم . سأنطلق إلى المعبد الآن .. ومعى زعفران .

زعفران : أنا ؟!

بنزهير : كواحد من العبيد والأعوان .
كنت أريد أن أصحبك فى هذا المهرجان .. وأنت جالس إلى جانبى كسلطان .
وكنت أريد أن تقف على يمينى .. وتشارك الكاهن وهو يضع التاج على جبينى .
وكنت أريد أن يكون لك شرف مشاركتى فى وضع القفل الحديد على خزانة الملك شديد .

زعفران : تقولين القفل الحديد ؟!

حور : هذه وصية الملك شديد .

زعفران : أنا لا أفهم .

بنزهير : ليس من الضرورى أن تفهم .
كنت أريد أن أقدم لك هذه الخدمة .. ولكن يبدو أنك لست من أهل النعمة . ومادمت ترفض اليد التى امتدت إليك .. فسأجعلك تمشى أمام مركبتى على قدميك .. حتى أفرج الناس عليك .

زعفران : إذا كان هذا يشفيك .. مما فيك .

بنزهير : سأعرف كيف أروّض عنادك .. وأعلمك كيف تخاطب أسيادك .
(ثم بلهجة الأمر) .. خذوه من أمامى .. ليمشى راجلًا قدامى .. وهو يقود زمام جوادى .
والآن إلى المهرجان .

جلفدان : وبدأ الموكب يسير .. وزعفران يمشى فى ركاب بنزهير .. حتى انتهى الموكب إلى المعبد الكبير .. فاستقبله الكهنة بالتهليل والتكبير .. ونهض كبير الكهان .. فبارك المهرجان .. وحيا وسلّم .. ثم بدأ يتكلم .

كبير الكهان : بسم الله الحى الذى لا يموت .. ومن بيده الملك والملكوت ..

أيها النـــاس .
فى هذا اليـوم نذكر الملك الراحل العظيم .. ونتجه بقلوبنا إليه فى جنات النعيم .. بما يليق بذكراه من تكريم .
أما عن تنصيب الأميرة بنزهير .. فى هذا المحفل الكبير .. فلا تتم المراسيم ولا تكون سلطانة .. إلا بعد أن نطّلع على الوصية التى تركها مولانا .

حور : وصية ؟!
بنزهير : أية وصية يا سيدى ؟!
كبير الكهان : التى تسلمتها منه بيدى .
حور : أليس من الممكن يا كبير الكهان .. أن تمضى فى المراسيم الآن .
كبير الكهان : لا يا سيد حور ..
لابد أن نطّلع أولا على وصية الملك تشيانج شور .
بنزهير : (معترضة) .. أهو تعطيل للحقوق المرعيّة .. للراعى والرعيّة ؟
كبير الكهان : قد تكون هناك أسرار خفية .. تظهرها هذه الوصية .
حور : دعيه يا مولاتى السلطانة .
كبير الكهان : هذه أمانة .. تركها مولانا .. ولابد أن نؤدى الأمانة .
بنزهير : (بلهجة الاستخفاف) .. وأى شىء سيكون فى الوصية يا كبير الكهان .
كبير الكهان : ذلك ما سنعرفه الآن .
(ثم ينادى) .. يا خازن .
الخازن : أنا ذا يا سيدى الكاهن .
كبير الكهان : هات الصندوق المختوم .. الذى تركه المرحوم .
بنزهير : ما هذه الوصية يا حور .
حور : لم يحدثنى عنها الملك شور .
الخازن : (وهو يتقدم بالصندوق) .. الصندوق المختوم .
كبير الكهان : معلوم .. هذه وصية المرحوم .. هات أيها الخازن .
الخازن : (وهو يضع الصندوق أمامه) .. تفضل يا سيدى الكاهن .
كبير الكهان : والآن .. وفى حضرة مجمع الكهان .. وأمام شهود العيان .. تفتح الوصية وتُفضّ الاختتام ..
هيا أيها الخازن .
الخازن : (وهو يفض الاختتام ويفتح الصندوق) .. أمرك يا سيدى الكاهن .
كبير الكهان : أخرجْ وصية السلطان .

الخازن : (وهو يخرجها ويقدمها إليه) .. وهذه وصية السلطان .
كاهن : إقرأها يا كبير الكهان .
كاهن : نسمع وصية السلطان .
كبير الكهان : (بلهجة خطابية) .. أيها الجمع الحافل .. إسمعوا وصية الملك الراحل
(ثم يقرأ الوصية) .. بسم الله .. هذا ما عاهد الله عليه .. عبده
تشيانج شور .. إذا جرى عليه القدر المقدور .. وأدركته الوفاة ..
وانتقل إلى جوار الله .. فعندئذ يتولى السلطنة .. وزير الميمنة ..
زعفران .. بن لقمان .. ويكون له الملك والسلطان .
وذلك بصفة مؤقتة .. غير ثابتة .. إلى أن يرجع الأمير كافور .. أو
تنجلى الأمور .. وكل من يخالف وصيتى .. تحل عليه لعنتى .

* * *

**جلفدان : وارتفعت الاصوات من كل مكان .. زعفران . زعفران ..
السلطان زعفران .. بينما طغى على هذه الاصوات صوت كبير
الكهان :**

كبير الكهان : إركع يا مولاى السلطان .
بنزهير : (صائحة) .. إنتظر يا كبير الكهان .
كبير الكهان : ماذا ؟
بنزهير : لقد نسيتم أن زعفران .. ليس من بنى الأصفر فلا يصح أن يكون
السلطان .
زعفران : وأنا أيضا يا كبير الكهان .. لا أريد أن أكون السلطان .
كبير الكهان : مهما كان .
لابد أن تنفذ الوصية .. وإلاحلّت اللعنة الأبدية .
إركع يا سيد زعفران .
زعفران : (يحاول أن يعترض) .. لكن .
الكهنة : إركع يا مولانا السلطان .
زعفران : (وهو يركع أما المذبح) .. ها أنذا قد ركعت .
كبير الكهان : حسناً فعلت .
(ثم يتجه إلى الجميع قائلًا) .. والآن أمام جميع الحضور .. وفى
رحاب المعبد المعمور .. وتنفيذاً لوصية الملك تشيانج شور ..

وباسم الله العلى الأكبر .. أضع تاج بنى الأصفر .. على جبين الملك المظفَّر .. زعفران .. بن لقمان .. على أن تتم بقية المراسيم والتقاليد .. أمام خزانة الملك شديد .. والله على ما أقول شهيد .

الجميـع : (يهتفون) .. المجد للسلطان زعفران .

كبير الكهان : والآن يتحرك موكب السلطان .. وينتقل المهرجان .. إلى مقر الخزانة . لنحتفل بقفل مولانا .

زعفران : (فى دهشة) .. أى قفل يا سيدى ؟ ولماذا به تحتفلون ؟

كبير الكهان : إنه القفل الرابع والعشرون .

زعفران : أنا لا أفهم شيئا مما تقولون .

كاهن : قفل الملك شديد .

كبير الكهان : القفل الحديد .. هذه هى التقاليد .

زعفران : ومن يكون الملك شديد ؟

كبير الكهان : أحد ملوكنا القدماء .. وقد بنى خزانة صمّاء .. وأوصى كل ملك جديد .. أن يضع عليها قفلًا من الحديد .

زعفران : (أشدّ دهشة) .. لماذا ؟

كبير الكهان : هذه تقاليد توارثناها جيلا بعد جيل .

كاهن : (يتقدم قائلًا) .. سيدى الحبر الجليل .

كبير الكهان : (يسأله) .. الكهنة جاهزون ؟

الكاهن : إنهم ينتظرون .

كبير الكهان : (يسأله) .. والحدادون ؟

الكاهن : مستعدون .

كبير الكهان : (يأخذ بيد زعفران قائلًا) .. تفضل يا مولانا السلطان .

الكهنة : (ترتفع أصواتهم من كل مكان) .

كبير الكهان : تفضل إركب يا مولاى السلطان .

زعفران : إركب إلى جانبى يا كبير الكهان .

كبير الكهان : (بلهجة الاستئذان) .. هل يأذن مولانا السلطان فيتحرك الموكب الكبير .

زعفران : أعطهم الإشارة حتى نسير .

كبير الكهان : (بصوت مرتفع) .. بأمر مولانا الملك الجديد .. إلى خزانة الملك شديد .

* * *

جلفدان : **وتحرك الموكب الكبير .. وسط أمواج من الجماهير .. وظل يشق المدينة .. حتى وصل إلى الخزانة .. وعندئذ .**

* * *

وهنا قطع الأذان .. رواية جلفدان .. فامسكت عن حكايتها .. وانصرفت الى عبادتها .

وبهذا ينتهى هذا اليوم . من الف يوم ويوم .

ولما كان اليوم التالى .. على التوالى .. أسرعت الأميرة الى البستان .. وجلست الى مربيتها **جلفدان** .

وتحت فروع الخميلة .. وعلى أنغام الطيور الجميلة .. فتحت **جلفدان** باب الاحلام .. وجعلت تستأنف الكلام .. وتبدؤه بالصلاة والسلام .

* * *

جلفدان : **وبعد الصلاة والسلام .. على خير الأنام .. يعود بنا الكلام .. إلى ما وقع للفتى زعفران .. بعد أن قتل السلطان .. فقد ظنت الأميرة بنزهير .. أنها قد استولت على هذا الملك الكبير .. بعد أن قتلت عمها الملك تشيانج شور .. بواسطة الوزير الخائن هوفنج حور .**

وسخر القدر .. وساقها عبرة من العبر .. فقد أظهر كبير الكهان .. وصية السلطان .. واذا هو يوصى بالسطنة .. لوزير الميمنة .. وهكذا ارتفع زعفران .. إلى الملك والسلطان .

ولكنه ذهل أو كاد .. عندما وجدهم يطلبون له الحداد .. وهو يرتفع إلى عرش البلاد .. ليضع قفلًا من الحديد .. على خزانة الملك شديد .. ثم يأخذونه فى موكب كبير .. ظل يسير .. ويخترق المدينة .. حتى وصل إلى مقر الخزانة .. فتعلّقتْ ببابها الأحداق .. وأشرأبت الأعناق .. ووقف شيخ الحدادين .. فى مقدمة الحاضرين .. وفُتح الباب .. وتصايح الحجاب .

الحاجب : (صائحا) .. الملك المظفّر .. ملك بنى الاصفر .. مولانا السلطان زعفران .

الجميـع : لك المجد والنصر المبين .

زعفران : إنهضوا مشكورين .

كبير الكهان : أين شيخ الحدادين .

الحـداد : (يتقدم قائلًا) .. خادمك الأمين .

كبير الكهان : أين قفل مولانا .

الحـداد : مع الحدادين عند باب الخزانة .

زعفــران : أنا لم أفهم الحكاية إلى الآن .
كبير الكهان : لابد أن تضع قفلك يا مولاى السلطان .
كاهن : تفضل يا مولانا .
شيخ الحدادين: إلى الخزانة .
كبير الكهان : أمامنا يا شيخ الحدادين .. وجميع الموجودين .. تفضلوا .
الكاهن : (وهو يمشى أمامهم صائحاً) .. الطريق . الطريق .
كبير الكهان : (وهو يقوده إلى الخزانة) .. من هنا يا مولاى .
زعفران : أنا لا أصدق ما تراه عيناى .
كبير الكهان : هذه هى التقاليد .
زعفران : (بلهجة التعجيب) .. أى ملك جديد .. تحضرون له قفلًا من الحديد .
الحــداد : ويقام له عيد واحتفال .
كبير الكهان : يسمونه عيد الأقفال .
الكاهن : تفضل يا مولانا .. هذه هى الخزانة
زعفران : أعطهم الاشارة .
كبير الكهان : إرفعوا هذه الستارة .
الحــداد : (وهو يشير إلى الخزانة والأقفال) .. أنظر يا مولانا .
زعفران : أهذه هى الخزانة .
كبير الكهان : أنظر إلى أقفال الملوك السابقين .
الحــداد : تراها ثلاثة وعشرين .
كبير الكهان : وسيكون قفلك الرابع والعشرين .
الكاهن : الحدادون .
الحــداد : نحن مستعدون .
كبير الكهنة : (يبدأ المراسيم) .. بسم الله القوى المعين .. نضع القفل الرابع والعشرين .. برسم ملك بنى الأصفر .. السلطان زعفران المظفر . هيا يا شيخ الحدادين .
زعفران : أنتظر يا شيخ الحدادين .
كبير الكهان : مولانا ؟
زعفران : لابد أن أعرف سرَّ هذه الخزانة .
لماذا تضعون عليها هذه الأقفال .. وماذا داخلها أيها الرجال .
كبير الكهان : من يدرى يا مولانا السلطان .
زعفران : كيف ؟

شيخ الحدادين: لقد جرينا على هذا من قديم الزمان .
كبير الكهان : أى ملك يتولى الملك عندنا .. لابد أن يضع قفله هنا .
زعفران : (فى حيرة وفضول شديد) .. لماذا ؟
الكاهن : هذه وصية الملك شديد .
كبير الكهنة : أى سلطان جديد لابد أن يضع قفله الحديد .
زعفران : ومن يكون الملك شديد ؟!
كبير الكهان : جاء فى كلام السابقين .. أنه أحد ملوكنا الأقدمين .
زعفران : وأين وصيته تلك التى تزعمون .
الكاهن : هذه أشياء مضت عليها قرون ..
كبير الكهان : (وهو يشير إلى الأقفال على باب الخزانة) .. بعدد هذه الأقفال ملوك سابقون.
شيخ الحدادين: إنها ثلاثة وعشرون .
كبير الكهان : وقفل مولانا هو الرابع والعشرون .
زعفران : يعنى هذه الوصية غير موجودة .
كبير الكهان : لا طبعاً مفقودة .
زعفران : (بلهجة التعجيب) .. تنفذون وصية ليس لها وجود !
كبير الكهان : إنها ميراث الآباء والجدود .
أخذنا ذلك عن آبائنا .. وآباؤنا أخذوه عن أجدادنا ..
الكاهن : الذين قبلنا نقلوه عمن قبلهم .. ونحن نفعل مثلهم .
كبير الكهان : ذلك شيء من التراث يا مولانا .
زعفران : (يسأل) ولم يحاول أى سلطان أن يفتح هذه الخزانة ؟
الكاهن : (بلهجة التهويل) .. يفتح هذه الخزانة !
زعفران : أى سلطان أو أى سلطانة .
كبير الكهان : والوصية .
زعفران : وأين هى هذه الوصيَّة .. إنكم تتعلقون بأمور وهميّة .
الكاهن : بل هى أمور خفيّة .
زعفران : (فى حيرة شديدة وفضول) .. غير معقول غير معقول .
شيء يحير العقول .
هذه الخزانة من يعرف خوافيها .. تُرى أى شيء فيها ؟!
أليس مما يجوز .. أن يكون فيها كنز من الكنوز .
وربما كانت فيها الوصية التى تتحدثون عنها .. دون أن تروها .
كيف تسكتون عنها ؟!

كيف تسكتون عنها ؟!

كبير الكهان : هذه أسرار يا مولانا .

زعفران : أنا لابد أن أعرف سرّ هذه الخزانة .

الكاهن : ذلك هو السرُّ المصون .. مضى به ملوكنا الأقدمون .

زعفران : سأفتحها وليكن ما يكون .

كبير الكهان : (فى جزع) .. مولاى .

زعفران : (وهو يزداد انفعالًا) .. أيها الحدادون .

شيخ الحدادين : أمر مولانا .

زعفران : حطموا هذه الأقفال وافتحوا الخزانة .

الكهان : لا يا مولانا .. كيف تفتح الخزانة .

زعفران : (يطغى بصوته على أصواتهم) .. أيها الرجال .. حطموا هذه الأقفال .

شيخ الحدادين: لكن .

زعفران : (يقاطعه) هذا أمر .

الحـداد : ونحن تحت الأمر .

شيخ الحدادين: (ويأمر الحدادين) .. هيا أيها الرجال .. حطموا السلاسل والأقفال .

الحدادون : بسم الله .

كاهن : (أثناء تحطيم السلاسل والأقفال) .. هذا شىء خطير لم يسبق له مثيل .

كبير الكهان : نحن نتوارث هذه التقاليد جيلا بعد جيل .

زعفران : سينكشف سرُّها بعد قليل .

الحـداد : (وقد انتهى رجاله من تحطيم السلاسل والاقفال) .. بس كفى كفى .

(ثم يقبل على زعفران قائلًا) .. هى ذى السلاسل والأقفال يامولانا .

زعفران : إفتح باب هذه الخزانة .

الحـداد : (وهو يفتحه) .. وهذا باب الخزانة .

زعفران : (وهو يتهيأ للدخول) .. حسن سأكشف الستار .. عن الأسرار .

الكاهن : (فى جزع) .. مولاى .

نعمان : انتظر يا مولاى السلطان .

زعفران : (وهو يدخل الخزانة) .. سأرى ما فيها يا عم نعمان .

الكهان : مولانا .. دخل الخزانة .

كبير الكهان : اسألوا له السلامة .

نعمان : ماذا وجدت عندك يا مولاى .

زعفران : (ويأتيهم صوته من داخل الخزانة) .. لا شىء تقع عليه عيناى .. إنها حجرة صغيرة لا شىء فيها يا عم نعمان .
(ثم يستدرك قائلا) .. لكن .. الله ! ما هذا ؟

كبير الكهان : ماذا ؟

زعفران : هذا كيس من القطيفة على أحد الجدران .

كبير الكهان : هاته وتعال يا مولانا السلطان .

نعمان : إطلع يا مولانا .

زعفران : (وهو يخرج من الخزانة) خذ بيدى يا نعمان .

الكاهن : ماذا وجدت يامولانا ؟

زعفران : وجدت حجرة صغيرة نظيفة .. ليس فيها غير هذا الكيس القطيفة .

كبير الكهان : (وهو يتأمله) .. كيس من القطيفة الخضراء .. مربوط بخيوط حمـــراء !

نعمان : ما معنى وجوده فى هذه الخزانة الصماء ؟

الكاهن : وأى شىء فيه يا مولانا السلطان ؟

زعفران : هذا ما سنعرفه الآن .
(وهو يحاول فتحه) . إفتح معى هذا الكيس يا نعمان .

نعمان : (وهو يحاول معه) .. هات .

زعفران : فكّ هذا الرباط .

نعمان : هه . خلاص يا مولاى السلطان .

زعفران : (وقد فتح الكيس) .. بس . فلنر ما فى الكيس الآن .

كبير الكهان : سمّ الله .

زعفران : (وهو يدخل يده فى الكيس) .. بسم الله .
(ثم فى دهشة) .. الله !
(وينفجر ضاحكا) .. هاهاها .

كبير الكهان : ماذا ؟

زعفران : (وهو يخرج المقرعة من الكيس) ما هذا !

نعمان : إنها مقرعة !

الكاهن : عصا من الجريد !

نعمان : عصا من الجريد .. فى خزانة الملك شديد .

زعفران : (وفى صوته لون الضحك) .. حكاية لطيفة .. عصا من الجريد فى كيس من القطيفة (ثم يقبل عليهم قائلًا) .. أمن أجل هذه العصا وضعتم هذه الأقفال .. ومكثتم تضعونها أجيالًا وراء أجيال ؟

كبير الكهان : هذا شىء لم يخطر لنا على بال .

زعفران : (فى سخرية) .. وتقولون لى الملك شديد .. والقفل الحديد .. ثم كانت النتيجة عصاً من الجريد .
(ثم يضرب بها على كفّ يده وهو يقول) .. مقرعة .. مقرعة أتسمعون ؟

نعمان : على أى حال يا مولانا فأل سعيد .

زعفران : نعم . لأنكم تدخلون فى عهد جديد .. وقد تخلصتم من خزانة الملك شديد .. وأقفاله الحديد .

كبير الكهان : يفعل الله ما يريد .

زعفران : يفعل الله ما يريد .

* * *

جلفدان : وذهبت الأميرة بنزهير إلى قصرها .. وقد ارتدّ كيدها إلى نحرها .. ولحق بها الوزير حور .. وهى تنادى بالويل والثبور .. وعظائم الأمـــور .

بنزهير : (تضحك ضحكة هستيرية) هاهاهاها ..
(ثم تقول وهى فى قمة الانفعال) .. زعفران . سلطان .
ثم ماذا يا زمان ؟!

حور : يا مولاتى الأميرة بنزهير .

بنزهير : أرايت إلى ما جرى يا وزير .

حور : كلما تذكرت ما جرى رأسى يدور .

بنزهير : من كان يتصوَّر أن عمى الملك تشيانج شور .. يكتب هذه الوصية يا حور !

حور : فى ساعة واحدة انهدّ ما بنيناه فى شهور .

بنزهير : وما نابنا إلا قتل الملك شور .

حور : كأننا كنا نقضى على السلطان .. ليتولى مكانه زعفران .

بنزهير : (فى قمة الانفعال) .. لكن لا ..لا .
ليس من اليسير .. أن تنهزم بنزهير .
إسمع يا حور .
لن يكون زعفران .. أقوى من السلطان .
وواحدة من اثنتين .. فإما أن نكون زوجين .. فأُكون أنا السلطانة .. ويكون هو السلطان .. وإما أن ينتهى زعفران .

حور : كيف ؟

بنزهير : سأمدُّ يدى إليه .. وأعرض قلبى عليه .

حور : وإذا قابل العرض .. بالرفض .

بنزهير : وتظن ذلك يا حور .

حور : لا تنسْ أنه مغرور .. وأنه يريد أن يرجع إلى بلاده رجوع المظفَّر المنصور .. بعد أن نجحت رحلتُه .. وثبتتْ نظريته .

بنزهير : إذن فقد حانت منيته .

حور : مولاتى .

بنزهير : (هامسةً) عليك بالآتى .

حور : نعم .

بنزهير : تذهب إلى بقراط الطبيب الآن .. ليركب لك السم . لنستعمله إذا رفض القران .

حور : (مستنكراً) .. تقولين بقراط .

بنزهير : نعم بقراط ..
وتلزم الاحتياط .. فتفهمه أن هذا السمّ مطلوب فى مهمة سرية .. لخدمة الراعى والرعية .

حور : أخشى أن تجد بعد الأمور أمور .. وينكشف المستور .

بنزهير : لن ينكشف أمرنا يا حور .
ليس هناك إلا احتمالان .. فإما أن يتم زواجى من زعفران .. ويشاركنى فى الملك والسلطان .. وفى هذه الحالة لا نستعمل السم ويصبح كأنه ما كان .

حور : والاحتمال الثانى .

بنزهير : الاحتمال الثانى نتخلص من زعفران .

حور : وإذا تكلم الطبيب بقراط .

بنزهير : يكون زعفران قد مات .. وإذا مات فلن يهمنا كلام بقراط .

حـــور : ... ...

بنزهير : هيه . ماذا ترى أيها الوزير .

حور : أرى انك أحسنت التفكير .

بنزهير : (معجبة بنفسها) .. أنا بنزهير .

حور : (يطرى ذكاءها) .. يا سلام .

بنزهير : (بلهجة الاستفهام) .. تمام ؟

حور : بدون كلام .

(وهو ينهض) .. سأنطلق الآن إلى بقراط الطبيب .

بنزهير : (تسأله) .. وتغيب ؟

حور : كل آت قريب .

* * *

جلفدان : وأسرع حور إلى بقراط الطبيب .. ليسرّ إليه بهذا الطلب المريب .
وبقيت بنزهير .. فى انتظار الوزير .. وعندئذ .

* * *

وهنا قطع الأذان .. رواية جلفدان .. فامسكت عن حكايتها .. وانصرفت الى عبادتها .

وبهذا ينتهى هذا اليوم . من الف يوم ويوم .

ولما كان اليوم التالى .. على التوالى .. أسرعت الأميرة الى البستان .. وجلست الى مربيتها **جلفدان** .

وتحت فروع الخميلة .. وعلى أنغام الطيور الجميلة .. فتحت **جلفدان** باب الاحلام .. وجعلت تستأنف الكلام .. وتبدؤه بالصلاة والسلام .

* * *

جلفدان : وبعد الصلاة والسلام .. على خير الأنام .. يعود بنا الكلام .. إلى بلاد النهروان .. وما وقع للأميرة عطرشان .. بعد اختفاء زعفران .. فبينما كانوا يعتقدون .. أن زعفران قد طوته المنون .. وأنه راح غريقاً في البحار .. وبخاصة بعد أن ظهرت جثث أولئك الأشرار .. الذين كانوا رفاق رحلته .. على سفينته .. إلا أن الأميرة .. كانت تداخلها إحساسات مثيرة .. وكانت تعتقد أن فتاها لم يغرق .. وأنه حيٌّ يُرزق ..
وهذا الشعور هو الذى دفعها إلى أخذ مكانه .. بين فرسانه .. فكانت تقود فرسان الليل .. ويخرجون على ظهور الخيل .. فيقطعون الطريق على قوافل الغجر .. حتى ضج منها أولئك الغجر .. وأنزعجت أم العبر .. كاهنة الغجر .. فأرسلت بعض الأعوان .. إلى الكاهن شومان .. الذى خان .. وحدث ما نراه الآن :

كاهان : (بلهجة الإعلان) .. مولاى الكاهن الأكبر .
أم العبر : نهاره أغبر .
شومان : (داخلا) .. لماذا .. لماذا يا أم العبر .
أم العبر : لانك تخلو بالغجر .. فى ساعة الخطر .
شومان : (مستنكراً) .. أنا ؟!
أم العبر : كم مرة توقع عطرشان بنا .. وتستولى على القوافل الآتية لنا .
كاهان : وتقتل رجالنا .
أم العبر : أيظن الملك كنعان .. أن ما تفعله عطرشان .. يرغمنا على حمل

أم العبر : وماذاك يا شومان ؟

شومان : إنها ستخرج الليلة على رأس الفرسان .. لتباغت قوافلكم بين الكثبان .. وعندى خطة .. لو نُفذت بدقة .. تتخلصون من عطرشان .. وتقضون على بقية الفرسان .

أم العبر : كيف يا شومان ؟

شومان : سيكمنون لكم فى ظلام الليل .. وطبعا سينزلون عن الخيل .. إذ لابد أن يخفوا خيولهم .. حتى لا تلاحظوا وجودهم .

أم العبر : تمام .. هذا خبر هام .. ولكن أين يا شومان ؟
عصا الترحال .. وترك جبل البرتقال ؟
لقد جئنا إلى هنا .. لنستقر هنا .
نحن شعب بلا وطن .. وقد وجدنا الأرض والسكن .

شومان : لو تسمحين لى .

أم العبر : (تقاطعه قائلةً) .. قلت لك خلصنا من عطرشان .

كاهان : كما خلصتنا من زعفران .

أم العبر : وكما خلصتنا من أبيه لقمان .. فماذا فعلت الآن ؟

شومان : (متردداً) .. عطرشان .

أم العبر : إنها تخرج على رأس الفرسان .. فيكمنون لنا فى ظلام الليل .. حتى إذا ظهرت طلائع الخيل .. انصبوا عليها كالسيل .

شومان : حقا . لقد طفح الكيل .

أم العبر : الويل لك كل الويل .

شومان : وماذا تريدين منى الآن ؟

أم العبر : تقتل عطرشان .

شومان : (فى جزع) .. أنا أقتل عطرشان !

أم العبر : وتريحنا منها يا شومان .

شومان : (وقد خطرت له فكرة) .. إسمعى إذن .

أم العبر : نعم .

شومان : أما قتل عطرشان .. فهذا شىء ليس لى به شان .
ولكنى أدلكم .. على ما فيه خير لى ولكم .

شومان : سيخفونها خلف هذه التلال .. بينما يكمنون هم فوق الرمال .

أم العبر : يعنى لو تسلل بعض الرجال .. وزحفوا فى الظلام وراء التلال .

شومان : (يكمل قائلاً) .. يستولون على خيولهم .. ثم يفاجئونهم فى

كمينهم .

كاهان : وبهذا يقع الكمين فى كمين .

أم العبر : ونقضى عليهم أجمعين .

شومان : وتقتلين عطرشان كما تريدين .

أم العبر : لا . بل نأسر عطرشان .. لنساوم عليها السلطان .

كاهان : كما فعلنا بالأمير عدنان .

شومان : هيه . راضية أنت الآن ؟

أم العبر : كل الرضا يا شومان .
ولكن هل أنت متأكد من هذه الأخبار .

شومان : ليست هذه بأخبار .. إنها أسرار .

أم العبر : ومن أين عرفتها يا شومان ؟

شومان : من المرزبان .

أم العبر : حسن سننتهى من عطرشان .

كاهان : كما انتهينا من لقمان وزعفران .

أم العبر : أدع الشيوخ يا كاهان .

شومان : طيب .. أنصرفُ أنا الآن .

أم العبر : انصرفْ فى أمان .
(وتشيعه قائلةً) .. لا تتأخر علينا يا شومان .

شومان : (وهو خارج) .. كلما كان ذلك فى الإمكان .

* * *

جلفدان : وكان الملك كنعان .. فى الديوان .. ينتظر قدوم الأميرة عطرشان. وقد خرجت على رأس الفرسان .. وطال به الانتظار .. وانقطعت الأخبار .. فقلق السلطان .. وأقبل على شومان .

السلطان : (فى غاية القلق) .. دبّرنى يا وزير .

شومان : لله الأمر والتدبير .

السلطان : لقد ارتفع النهار .. ولم ترجع الأميرة ولا جاءتنا أخبار .

شومان : نحن يا مولاى فى الانتظار .

السلطان : وإلى متى الانتظار .

إنها تخرج للغارة والظلام ستار .. وكان المفروض أن ترجع قبل أن يطلع النهار .

شومان : سأرسل من يقصُّ الآثار .. ويأتينا بالأخبار .

السلطان : (فى قلق) .. متى يا شومان .

شومان : الآن .

المرزبان : (قادما يصيح ويولول) .. يا مولانا السلطان .. يا مولانا السلطان .

شومان : هذا صوت المرزبان .

السلطان : (فى اهتمام) .. المرزبان .

المرزبان : (داخلا يولول) .. الأمان .. الأمان .. يا ملك الزمان .

السلطان : (فى لهفة) .. أين الأميرة عطرشان .

المرزبان : ... ...

السلطان : (صارخا) .. قتلوها ؟

المرزبان : لا . لا يا مولاى .

السلطان : أسروها ؟

المرزبان : (يبكى)

السلطان : ابنتى .

شومان : (يتصنع الحزن) .. الأميرة .

المرزبان : الأميرة .. أسيرة .

السلطان : (فى مرارة) .. أسروا عطرشان .. يا للذل ويا للهوان . لكن كيف أسرها أولئك الأنذال .. وأين بقية الرجال .. وكيف انتهيتم إلى هذه الحال .

المرزبان : (يبكى)

السلطان : (يصيح به) .. تكلم يا مرزبان .

المرزبان : إن ما حدث لنا يا مولانا .. يؤكد أن هناك خيانة .

السلطان : خيانة ؟

المرزبان : لاشك أن أسرارنا وصلت إليهم يا مولانا .

السلطان : (فى غاية الألم والضيق) .. أنا لا أسألك عن رأيك يا مرزبان .. اذكر لى ما حدث وما كان .

المرزبان : نعم يا مولاى السلطان . من يوم أن أختفى الوزير زعفران .. أخذت مكانه الأميرة عطرشان .. بين الفرسان .

السلطان : نعم .

المرزبان : وجود الأميرة بينهم .. ألهب وجدانهم .

كل ليلة تقود فرسان الليل .. فيخرجون على ظهور الخيل ..

ويتسترون بالظلام .. ويكمنون لقوافل أولئك اللئام ..

فاذا لاحت من بعيد .. هبَّ أولئك الصناديد .. وأسرعوا إلى الخيل.

وانصبوا عليهم كالسيل .. فيقتلون من يقتلون .. ويهرب الباقون ..

ونعود بالغنائم سالمين .. بعد أن أوقعنا بالمعتدين .

إلى أن كانت هذه الليلة يا مولانا .. وظهرت آثار الخيانة .

السلطان : كيف ؟

المرزبان : خرجنا كعادتنا .. والأميرة على قيادتنا .. فتخيرنا مكاننا .. ونصبنا

كمينا وربطنا خيولنا .. وظللنا ننتظر ما يكون .. ونحن مختبئون .

وفجأةً . أحسست أننا محاصرون ..

ونظرت ذات الشمال وذات اليمين .. وإذا كميننا يقع فى كمين .

(ويتهدج صوته وهو يقول) .. وفى ظرف ساعة من زمان .. قضى

هؤلاء اللئام .. على جميع الفرسان .. وأسروا الأميرة عطرشان .

السلطان : (فى غاية الألم) .. ابنتى عطرشان .

شومان : بعض هذا يا مولاى السلطان .

السلطان : ماذا نصنع الآن يا شومان .

شومان : ما كان لنا أن نسمح للأميرة عطرشان .. بالخروج مع الفرسان .

السلطان : دعنا مما كان ..

نحن فيما هو كائن .. ماذا نصنع أيها الكاهن .

هذه إهانة .. ولابد أن نغسل الاهانة .

شومان : فلنفكر فى إنقاذ الأميرة أولًا يا مولانا .

السلطان : وكيف ننقذ الأميرة .

شومان : نعرض عليهم فدية كبيرة .

السلطان : (غاضباً) .. لا . المنية .. ولا الدنية .

شومان : مولاى السلطان .. أعطنى الأمان .

السلطان : تكلم أيها الكاهن .. وأنت آمن .

شومان : لقد جربنا يا مولاى حربهم .. وتكررت هزائمنا أمامهم .

وإذا حاربناهم وهم فى قمة الجبل متحصنون .. فان مولاى يعرف

ما سوف يكون .

السلطان : آ . فكرت فى ذلك يا شومان .

شومان : ليس أمامنا غير الفدية يا مولاى السلطان .. أما الحرب والطعان .
السلطان : (يسأله) .. ويقبلون الفدية يا شومان ؟
شومان : سنرى يا ملك الزمان .
السلطان : (بعد تردد) .. إذا قبلت ما به تشير .. فليس له إلا أنت يا وزير .
شومان : يشرفنى أن أقوم بهذه السفارة .. وأرجو أن أعود إليك بالبشارة .
السلطان : (وهو يقاوم آلامه) .. أذهبْ إليهم .. مفوَّضاً فيما تعرضه عليهم .
انطلق الآن .
أسرع يا شومان .

* * *

جلفدان : وأسرع شومان .. فأعد الرواحل فى الحال .. وأخذ معه بعض المال .. والرجال .. وانطلق إلى جبل البرتقال .. وعندئذ .

* * *

وهنا قطع الأذان .. رواية جلفدان .. فامسكت عن حكايتها .. وانصرفت الى عبادتها .

وبهذا ينتهى هذا اليوم . من الف يوم ويوم .

* * *

ولما كان اليوم التالى .. على التوالى .. أسرعت الأميرة الى البستان .. وجلست الى مربيتها **جلفدان** .

وتحت فروع الخميلة .. وعلى أنغام الطيور الجميلة .. فتحت **جلفدان** باب الاحلام .. وجعلت تستأنف الكلام .. وتبدؤه بالصلاة والسلام .

* * *

جلفدان : **وبعد الصلاة والسلام .. على خير الأنام .. يعود بنا الكلام .. إلى الفتى زعفران .. لما ظهرت وصية السلطان .. فقد تقدم الكاهن الأكبر .. ووضع على جبينه تاج بنى الأصفر .. وأفهمه أن التقاليد .. تلزم كل ملك جديد .. أن يضع قفلًا من الحديد . على خزانة الملك شديد .**

وتساءل عن سر هذه الخزانة .. فلما عجزوا عن الإبانة .. أمر بعض العبيد .. فحطموا هذه الأغلاق الحديد .. ودخل خزانة الملك شديد .. فاذا كل ما فيها عصاً من الجريد !

وبتحطيم هذه الاقفال .. انتهى الاحتفال ..

ولكن زعفران .. لم يذق طعم المنام .. فقد عاودته الوساوس والأوهام .. وحدس أن هذه العصا وراءها أسرار .. وتحت تأثير هذه الأفكار .. نهض من فراشه زعفران .. وتسلل فى الظلام .. والناس نيام .

زعفران : (يهمس لنفسه وهو يسير) .. آ .. خزانة الملك شديد ؟ والأقفال الحديد ؟ وتلك العصا الجريد ؟!

(وبلهجة التعجيب) .. وتمر عليهم الأجيال .. وهم يضعون هذه الأقفال .

لماذا ؟

ما معنى كل هذا ؟

لابد أن وراء هذه العصا سراً من الأسرار .. ولابد أن أكشف عنه الستار ..

(ثم ينادى) يا نعمان .. عم نعمان .

(ثم يقول لنفسه) .. ترى أين نعمان ؟
لابد أنه نائم فى حجرته .
فلأذهبْ إليه فى حجرته .. وأوقظه لوقته وساعته .
(وهو يحمل القنديل فى يده) .. وهذا القنديل .. يضىء لى السبيل
(ويصل إلى حجرة نعمان وهو يقول لنفسه) .. وهذه حجرة العم
نعمان .. ولابد أنه نائم الآن .
(ويقرع بابها وهو ينادى) .. عم نعمان .. عم نعمان .
لماذا لا يردّ العم نعمان .
(ويفتح بابها وهو يقول لنفسه) .. إفتح الباب يا زعفران .
عم نعمان .
إنه غير موجود هنا .
لابأس أذهب أنا .
خزانة الملك شديد .. مكانها غير بعيد .
لابد أن أعيد الكرة .. أجرب حظى هذه المرة .
(وهو يمشى إلى الخزانة) .. الدنيا ظلام .. والناس نيام .. وأنا أسير
على هذا الضوء الضئيل .. الذى يصد عن هذا القنديل .
(ويتوقف أمام الخزانة) .. هذه هى الخزانة أمامى
إفتح بابها يا زعفران .. وتوكل على الواحد المنان .
(وهو يفتح بابها ويدخل وهو يقول) .. هه . توكلت على الله .
ها أنذا مرة أخرى فى خزانة الملك شديد .
هنا كانت العصا الجريد .
وهذه هى الجدران .. ولا شىء غير الـ .
(ويقطع كلمته وقد أنطفأ القنديل الذى يحمله) .. الله .! انطفأ
القنديل .. الظلام كثيف ثقيل .
لكن .. كيف انطفأ القنديل ؟!
لابد أنه الهواء .. سبب هذا الانطفاء .
ولكن .. من أين يأتى الهواء .. فى هذه الخزانة الصماء ؟!
أيكون هناك منفذ يأتى منه الهواء ؟

(ثم فى دهشة) .. يا إلهى .. هذا ضوء يلوح من بعيد .
ضوء فى خزانة الملك شديد !
شىء عجيب .

من أين يأتى هذا الضوء البعيد .
(وهو يتجه إليه) إمشِ على هذا الضوء يا زعفران .. وتوكل على
الواحد المنان .
(وهو يمشى ناحية الضوء) .. هه .. هه ..
ياه !
إنه سرداب .
(فى دهشة أكثر) .. ياربى .. ماذا تراه عينى .
هذه شموع مشتعلة .. وهذا باب .. فى نهاية السرداب .
(بلهجة التعجيب) شموع مشتعلة !
لابد أن أحداً قد أشعلها ..
الشموع لا تشتعل وحدها ..
ترى من أشعلها ؟ ولماذا أشعلها ! ولماذا جاء بها إلى هذا المكان ..
وأين هو الآن ؟
(وهو يتجه إلى الباب) .. لعلى أجد الجواب .. خلف هذا الباب .
(ويطرق الباب وهو ينادى) .. يا أهل الله .. يا أهل الله .
(فى عجب) .. لماذا لا يردُّون .. ألا يسمعون .
ألا يوجد وراء هذا الباب .. من يرد الجواب ؟
يا للعجب العجاب !
سأتوكل على الله .. وأفتحه وأرى ماوراه .
(وهو يفتح الباب) .. هه . بسم الله .
(ويدخل وهو يقول) .. يا سكان هذا الـ .
(ويقطع كلمته وقد فوجىء بجثة راقدة على سرير من الذهب ولم يبق منها غير هيكلها العظمى . وعلى جمجمة الميت العظمية تاج وفى إحدى يديه سيف مسلول وفى الأخرى كتاب)

زعفران : (الذى فوجىء بهذا المنظر) .. إه . ب بسم الله .. ما هذا الذى أراه ؟!
إنه هيكل عظمى سليب ..
شىء رهيب .
يا للعجب .. ميت على سرير من الذهب !
على رأسه شمعتان .. مشتعلتان .
ترى من أشعل هذه الشموع ؟

وصاحب هذه الجثة من يكون ؟
لعله سلطان .. من سلاطين زمان .
(وبلهجة الاعتبار) .. لا إله إلا الله .
لم يبق منه غير هيكله العظمى .
هيكل عظمى .. فى لباسه الرسمى .
التاج فوق الجمجمة .. يغطى أعظمه .
وفى يده الشمال سيف بدون جراب .. وفى يده اليمنى كتاب .
ابن آدم من تراب .
ولكن .. ما هذا الكتاب .
لابد أن سرّ هذا الميت فى هذا الكتاب .
لو أخذت هذا الكتاب وقرأت ما فيه .. تنجلى غوامضه وتنكشف خوافيه . نعم سأمد يدى وآخذ الكتاب من يده .. وبعد أن أقرأه وأقف على حكايته .. أعيده إلى ما كان .. وأغادر المكان .
(وهو يمدُّ يده ليأخذ الكتاب) .. هكذا .. هه .
(ويصرخ بأعلى صوته وقد طلعت ذراع الميت فى يده) .. آ ..
(وهو يجرى صارخاً) ذراع الميت طلعت فى يدى .

الميت : (يلاحقه صائحاً) .. هات ذراعى .

زعفران : (وهو يلقى إليه بذراعه) .. هى ذى خذ .
(ويجرى صائحاً) النجدة النجدة .
(ويخرج من الخزانة وهو يصيح) .. يا نعمان .. يا عبيد يا أعوان .

نعمان : (وهو يسرع إليه مع الخدم وبعضهم يحمل القناديل) .. مابك يا مولانا السلطان .

زعفران : أين أنت يا عم نعمان ؟

نعمان : ما الذى أتى بك الآن .. إلى هذا المكان .

زعفران : (وهو يلهث) .. عم نعمان .

نعمان : ما بك يا مولانا .

زعفران : الـ .. الخزانة .

نعمان : مالها الخزانة .

زعفران : (وهو يلهث) .. الميت جرى ورائى .

خادم : ميت !!

نعمان : أى ميت يا مولانا ؟

زعفران : الذى فى الخزانة .
نعمان : خزانة الملك شديد ؟
زعفران : التى وجدنا فيها العصا الجريد .
نعمان : (فى عجب) .. فيها إنسان ميت .
زعفران : جرى ورائى وهو يصرخ بأعلى صوته .
نعمان : (بلهجة الاستفهام الانكارى) الميت ؟!
زعفران : نعم الميت . الميت .
نعمان : أنت متعب يا مولاى السلطان .
خادم : خذ بيده يا عم نعمان .
نعمان : تعال تعال يا مولانا .
زعفران : (يتشبث بمكانه صائحاً) .. أقول لك الميت فى الخزانة .
نعمان : (بلهجة الاستنكار) .. أى ميت يا مولانا ؟
زعفران : الذى فى الخزانة .
نعمان : (وهو يشير إلى الخزانة) .. تلك يا مولانا السلطان .
زعفران : نعم فى داخلها يا عم نعمان .
نعمان : (وهو يتجه إلى الخزانة) طيب تعال معنا يا مولانا السلطان .
خادم : تفضل .
زعفران : أدخلوا أنتم الأول .
نعمان : (وهو يتقدمهم إلى داخل الخزانة) .. تعال يا مولانا .
زعفران : (وهو يدخل معهم) هه . توكلت على الله .
نعمان : (فى الخزانة) .. ها هى ذى الخزانة يا مولانا السلطان .
خادم : ولا جثة ميت ولا كتاب .
زعفران : أليس هنا سرداب .
نعمان : ها هى ذى أمامك يا مولانا .
خادم : إنها صغيرة تلك الخزانة .
نعمان : ها هى ذى جدرانها الأربعة .
خادم : تستطيع أن تلمسها معه .
نعمان : (وهو يخبط الجدار بكفه) .. هو ذا جدار .
(ثم يتجه إلى الجدار الثانى ويخبطه بكفه) .. وهذا جدار .
(ثم يفعل ذلك بالجدار الثالث) .. وهذا هو الجدار الثالث ..
مما يقطع بعدم وقوع هذه الحوادث .

خادم : وهذا هو الجدار الرابع وفيه الباب .
زعفران : (فى غاية الدهش) هذا هو العجب العجاب .
نعمان : فأين هو الميت الذى يحمل الكتاب .
خادم : وأين هو السرداب .
زعفران : (فى غاية الحيرة والعجب) .. يعنى أنا كذاب ؟
الجميـع : حاشا لله .
نعمان : لاشك أنك كنت تحلم يا مولانا .
خادم : وإلا فها هى ذى أمامنا الخزانة .
نعمان : (وهو يأخذ بيد زعفران ويخرج من الخزانة) تعال يا مولانا .
زعفران : (وهو يخرج معهم) تعال .
نعمان : هل تأكدت الآن يا مولاى السلطان .
زعفران : أنا فى حيرة يا عم نعمان .. وكلما فكرت، فيما كان .
نعمان : (وهم يمشون مع زعفران) هذه يا مولاى أضغاثِ أحلام .
زعفران : طيب فرضنا أنها أحلام .. أراها فى المنام .. فما الذى جاء بى إلى هذا المكان .
نعمان : الأمر واضح يا مولاى .
زعفران : كيف يا عم نعمان ؟
نعمان : أليس هناك أناس يمشون .. وهم نائمون .. فاذا أفاقوا يا مولاى السلطان .. وجدوا أنفسهم فى مكان .. غير المكان .
زعفران : (وقد بدأ يتزعزع اعتقاده) .. كذا يا عم نعمان .
نعمان : لاشك فى ذلك يا ملك الزمان .
زعفران : (مستسلماً) .. إه . لعله خير .
نعمان : إن شاء الله خير .
(وهو يقوده إلى جناحه) تفضل يا مولاى السلطان .
زعفران : (وهو يدخل جناحه) شكراً .
نعمان : هل تحب أن أبيت معك يا مولاى السلطان .
زعفران : لا . شكراً يا عم نعمان .. أغلق الباب وراءك الآن .

* * *

جلفدان : وبات زعفران .. وهو قلق حيران .. يفكر فى هذه الأحداث ..

ويضرب أخماساً لأسداس .. حتى إذا أصبح الصباح .. وضاء نوره ولاح .. أسرع زعفران .. إلى الديوان .. وعندئذ .

* * *

وهنا قطع الأذان .. رواية جلفدان .. فامسكت عن حكايتها .. وانصرفت الى عبادتها .

وبهذا ينتهى هذا اليوم . من الف يوم ويوم .

ولما كان اليوم التالى .. على التوالى .. أسرعت الأميرة الى البستان .. وجلست الى مربيتها **جلفدان** .

وتحت فروع الخميلة .. وعلى أنغام الطيور الجميلة .. فتحت **جلفدان** باب الاحلام .. وجعلت تستأنف الكلام .. وتبدؤه بالصلاة والسلام .

* * *

جلفدان : **وبعد الصلاة والسلام .. على خير الأنام .. يعود بنا الكلام .. إلى بلاد النهروان .. وما وقع للأميرة عطرشان .. بعد أن أسرها الغجر .. بواسطة الكاهن الذى غدر .. فقد ظلت الأميرة .. فى مضاربهم أسيرة ..**

وجن جنون السلطان كنعان .. وأراد أن يجهز الجيوش والفرسان .. لإنقاذ ابنته عطرشان .. ولكن الكاهن شومان .. الذى خان. صرفه عن هذه الخطُّة .. وأفهمه أنها أكبر غلطة .. وأنه إذا غامر بحربهم .. كشف مقاتله لسهامهم .. فمادام الغجر فى قمة الجبل متحصنين .. فلابد أن يردُّوا فرسانه مهزومين .. وعرض عليه فى مقابل ذلك .. وبدلًا من ركوب المهالك .. أن يقدم للغجر ما يطلبونه .. فدية للأميرة الأسيرة ..

وقبل السلطان .. وكلّف الكاهن شومان .. أن يذهب إليهم .. مفوَّضاً فيما يعرضه عليهم .. فصحب بعض الرجال .. وانطلق إلى جبل البرتقال .. وشقَّ مضارب الغجر .. حتى وصل إلى كاهنتهم أم العبر .. ودار بينهما ما دار .. وطال الحوار .. حتى انتهيا إلى قرار :

أم العبر : (تضحك عالياً)

(ثم تقول بلهجة التشفّى) .. الآن .. يركع السلطان كنعان .

(وبلهجة المنتصر) .. أنا أم العبر .. التى تلعب بالبيضة والحجر .

شومان : رويدك يا كاهنة الغجر .

أم العبر : يريد أن نطلق ابنته من أسرها ؟

شومان : ويحكمكم فى الفدية التى تطلبونها .
أم العبر : يعنى نطلب ما نشاء يا شومان .
شومان : نعم . بهذا فوّضنى السلطان .
أم العبر : خلاص .
هذا فصل المقال .. نحن نطلب جبل البرتقال .
شومان : ألا ترين أنها فدية كبيرة .. إجابتها عسيرة .
أم العبر : إذا زكّتها الأميرة .. تصبح فدية صغيرة .. إجابتها يسيرة .
شومان : وهل تقبل عطرشان .. أن تكتب بذلك إلى السلطان ؟
أم العبر : ذلك ما رسمناه يا شومان .
(ثم تتساءل) لماذا تأخر سمعان .. يا كاهان .. يا كاهان .
كاهان : (مقبلا عليها) .. أم العبر .
أم العبر : لماذا تأخرتم يا كاهان ؟
كاهان : كنا نحبّر كتاب الأميرة عطرشان .. إلى السلطان .
أم العبر : إقرأ هذا الكتاب علينا يا كاهان .
إسمع يا شومان .
كاهان : (يقرأ الكتاب) .. من الأميرة عطرشان .. إلى أبيها الملك كنعان
من دار الأسر والهوان .. أكتب إليك الآن .
لقد كلفت يا أبى الكاهن شومان .. أن يفاوض كاهنة الغجر ..
أم العبر .. ويعرض عليها فديتى .. لتفك أسرى وتطلق حريتى ..
فرفضوا ما عرض عليهم من الأموال .. وأصروا على جبل البرتقال
وحيث أنه لا يجدى معهم قتال .. ماداموا متحصنين فى جبل البرتقال
.. يردون الفرسان والرجال .. ويمطرونهم بالنبال .. فلابد أن نمدَّ
أيدينا لهم .. إذ لا يجدى قتالهم ..
ولذلك أستحلفك ألا تمانع .. وأن تنزل على الأمر الواقع .. حتى
تغسل هذا العار .. وتطلقنى من ذل الاسار .. وتطلق سراح عمى
الأمير عدنان مادام ذلك فى الامكان .
أم العبر : هيه ؟ ماذا ترى يا شومان ؟
شومان : إذا وقعت هذا الكتاب عطرشان .. فربما رضخ السلطان .
أم العبر : (وهى تنهض) .. إذن هيا بنا الآن .
شومان : (مستنكراً) .. أذهب معك إلى عطرشان ؟
أم العبر : أنت هنا بأمر السلطان .

شومان : آ .. ولكن .

أم العبر : ليس هناك لكن .. تعالى أيها الكاهن ..
إسبقنا أنت يا كاهان .

شومان : (وهو يمشى معها) .. ماذا تقول عطرشان .. إذا رأتنى داخلا عليها الآن .

أم العبر : تقول انك موفد من قبل أبيها .

شومان : ويقنعها هذا الكلام ؟

أم العبر : ويرضيها .

شومان : ولكننى أشك فى موافقة الأميرة .

أم العبر : وهل تظن أن الأميرة .. تحب أن تبقى أسيرة .

كاهان : (يقودهما إلى سجن عطرشان) .. تفضلا من هنا .

أم العبر : تعال يا شومان .

كاهان : (أمام السجن) .. افتح الباب أيها السجان .

السجان : مَنْ أمر ؟

كاهان : أم العبر .

أم العبر : إفتح يا أخا الغجر .

كاهان : (يقودهما إلى الداخل) .. تفضلا .

أم العبر : (وهى تدخل) .. تفضل يا شومان .

شومان : (وهو يتقدم إلى الأميرة) مولاتى الأميرة عطرشان .

عطرشان : (تشهق وتقول) .. من .

أم العبر : (تضحك) .

عطرشان : الكاهن شومان !

شومان : كيف أنت يا مولاتى الآن .

عطرشان : كنت أحس أنك تخوننا من زمان .

شومان : لا يا بنت السلطان .

أم العبر : لا تتسرَّعى يا عطرشان .

شومان : لقد جئت هنا بأمر والدك .. لأفاوض الغجر فى فديتك .. لاطلاق حريتك .

عطرشان : (تسأله) .. وفاوضتهم .

شومان : عرضت عليهم ما شاءوا من الأموال .. فأبوا إلا جبل البرتقال .

عطرشان : لا سبيل أمامنا غير القتال .

شومان : وإذا كنا لا نستطيع قتالهم .. فماذا لو تركنا الجبل لهم .
عطرشان : (مستنكرة) .. أنت تقول هذا يا كاهن الكهان ؟
شومان : وماذا نملك يا بنت السلطان .
أم العبر : (تدخل فى الموضوع) .. هات المحبرة والريشة يا كاهان .
كاهان : (يقدمهما قائلًا) .. هاهما جاهزان .
أم العبر : قدمهما لمولاتك عطرشان .
كاهان : (يقدمهما لها قائلا) .. تفضلى .
عطرشان : (وهى غاضبة) .. ماذا تريدون منى الآن ؟
أم العبر : نريد أن نطلق سراحك وسراح الأمير عدنان .
فقط توقعين على هذه الرسالة التى سنرسلها إلى أبيك السلطان ..
مع وزيره الكاهن شومان .
عطرشان : وما مضمون هذه الرسالة ؟
شومان : تشرحين له الحالة .
أم العبر : وتطلبين منه أن يتنازل عن جبل البرتقال .
عطرشان : يتنازل عن جبل البرتقال !
شومان : ويطلق سراحك فى الحال .
أم العبر : إذا تنازل عن جبل البرتقال .
(وهى تقدم لها الكتاب) .. خذى وقّعى هنا .
عطرشان : (مستنكرة) .. أنا ؟!
أم العبر : (وهى تمد يدها بالكتاب) .. خذى يا مولاتى .
عطرشان : (تخطفها من يدها وهى تقول) .. طيب هاتى .
(وتمزقها وهى تقول) .. وهذه هى الرسالة .
أم العبر : (تصيح فيها) .. ماذا تفعلين .
شومان : مولاتى الأميرة .
عطرشان : (وهى فى قمة الانفعال) .. لن يكون لكم جبل البرتقال .. هذا
محال .. محال .
أم العبر : أخطأت فى حق نفسك يا أميرة .
شومان : ليست المسألة بهذه الصورة .
أم العبر : نحن شعب بلا وطن .. وقد وجدنا الأرض والسكن .
عطرشان : (ثائرة) .. هذه أرضنا .. وأرض أجدادنا .
أخرجوا من بلادنا .. أخرجوا من بلادنا .

أم العبر : أذكرى يا أميرة أننا متحصنون هنا .. وأنكم مهزومون أمامنا .

عطرشان : أذكرى أنت أن الباطل قد ينتصر فى جولة .. وقد تقوم له دولة .. ولكن دولة الظلم ساعة .. ودولة الحق إلى قيام الساعة .

أم العبر : (فى غيظ) حكمتِ على نفسك بالأسر والهوان .

عطرشان : سيخلصنى زعفران .

أم العبر : (تقهقه ساخرة) .. زعفران هاهاها .

عطرشان : إضحكى ما تشائين .. كل شى إلى حين .

شومان : زعفران . فى ساحة الديان .

عطرشان : (صائحة) .. لا . زعفران لم يغرق .. زعفران حى يُرزق وسيعود سالما بإذن الله .. ليهدم أحلام الطغاه . ويُطهر أراضينا من المغتصبين .. ويُعيد إليها أهليها المشردين .

أم العبر : (فى غيظ) .. أنت متوهمة .

عطرشان : (ثائرة) .. إنت مجرمة .

أم العبر : (تصفعها قائلة) .. إخرسى .

عطرشان : (وهى تضع يدها على خدها) .. أى .

شومان : (بلهجة اللوم والعتاب) .. آم العبر .

أم العبر : أسكت أنت يا شومان .

عطرشان : وتصفعيننى !

أم العبر : سترين ما أصنعه بك الآن .
أما أنت يا شومان ..

عطرشان : (من خلال دموعها) .. ماذا تصنع يا كاهن الكهان .

أم العبر : إذهب إلى السلطان كنعان .. وخيره بين جبل البرتقال .. وبين ابن عمه الأمير عدنان .. وابنته الأميرة عطرشان .

* * *

جلفدان : وبينما كانت هذه الحِدثان .. تجتاح بلاد النهروان .. كان الفتى زعفران .. فى بلاد بنى الأصفر .. يواجه الخطر الأكبر .. فقد استهدف لمؤامرات القصور .. وما تدبره الأميرة بنزهير .. مع الوزير هوفنج حور .

حور : (داخلًا) .. مولاتى الأميرة بنزهير .

بنزهير : (فى لهفة وفضول) هيه ؟ ماذا صنعت يا وزير ؟

حور : (وهو يخرج اللفيفة) .. هذا هو السم الذى ركبه الطبيب بقراط .

بنزهير : وماذا قلت وماذا قال بقراط ؟

حور : لزمت الاحتياط .

أفهمته أنها مهمة سرية .. لخدمة الذات العليَّة .. والقضاء على الفتن .. وحماية الوطن .

بنزهير : (تسأله) .. وأقتنع بهذا البيان ؟

حور : وعاهدنى على الكتمان .. لن يبوح بهذا السرّ لأى إنسان .

بنزهير : أحسنت كل الإحسان .. الآن انتهى زعفران ..

حور : إسمعى بقية ما كان .

بنزهير : هيه ؟

حور : اتفقت مع الطاهى منصور .

بنزهير : الذى يشرف على مطابخ القصور ؟

حور : (بلهجة الايجاب) .. ومهدت معه جميع الأمور .

بنزهير : كنت أريد أن أسالك عن ذلك .

حور : ولكنى سبقت الاجابة عن سؤالك .

بنزهير : وكيف حدث هذا وكيف كان ؟

حور : أقنعته أن زعفران .. اغتصب الملك والسلطان .. وأنه أجنبى غريب عنا .. فكيف ينتزع الملك منا .

ومازلت به أغريه .. وأمنيه .. حتى عرض علىّ ما كنت أريد عرضه عليه .. وعندئذ أفضيت بالسر إليه .. ونفحته كيساً من الدنانير .. مع وعدٍ بمركز خطير .. إذا تم هذا التدبير .

بنزهير : أحسنت يا وزير .

حور : إنه يحمل الطعام من المطبخ إلى مائدة السلطان .. وفى طريقه إلى المائدة يدس السمّ لزعفران .. دون أن يحس به أى إنسان .

بنزهير : (راضية) .. تمام . تمام .

حور : كل شىء على ما يرام .

بنزهير : وماذا تريد الآن ؟

حور : تكفى الآن .. صرة من الذهب الرنّان .

بنزهير : بل هما صرتان .

حور : (وهى تحضر له الصرتين) .. مولاتى هذا كثير .

بنزهير : (وهى تقدم له الصرتين) .. الأمر جد خطير .. وأنت خبير .. بفعل الدنانير .

حور : اطمئنى كل الاطمئنان .. نحن فى بر الأمان .
(وهو ينهض) .. اسمحى لى أن انصرف الآن .

بنزهير : ولكنك لم تخبرنى يا حور .. متى يقوم بالتنفيذ منصور .

حور : أنا ذاهب من فورى إليه .. لأضع السمَّ والمال فى يديه .

بنزهير : (بلهجة الطلب) .. وتخبرنى بما تتفقان عليه .

حور : (وهو يخرج) .. بدون تأخير .

بنزهير : مع السلامة يا وزير .

جلفدان : أما فى بلاد النهروان .. فقد رجع الكاهن شومان .. فأفضى للسلطان كنعان .. بما استقر عليه رأى الفجر .. وكاهنتهم أم العبر .. وكيف رفضوا ما عرضه من الأموال .. وأصروا على جبل البرتقال .. فدية لإطلاق سراح الأميرة عطرشان .. وابن عمه الأمير عدنان .

السلطان : (بلهجة التهويل والاستنكار) .. يا إلهى ماذا أسمع الآن ؟!
ماذا تقول يا شومان ؟!

شومان : ناقل الكفر ليس كافرا يا مولاى السلطان .

السلطان : (مستنكراً) .. أتنازل لهم عن جبل البرتقال .. أهذا كلام يقال ؟!

شومان : إذا كنا نريد أن يطلقوا سراح الأميرة عطرشان .. والأمير عدنان .. فلابد أن ندفع الثمن .

السلطان : (ثائراً) .. ولكن هذا ليس بثمن .. إنه تفريط فى حق الوطن .. ليس هذا حقّنا .. الوطن لا نملكه وحدنا .
إنه ملك لنا .. وللأجيال التى تأتى بعدنا .

شومان : (وكأنه يضع السلطان أمام مشكلة) .. إذن نحاربهم .

السلطان : نعم نحاربهم .. ونطهر البلاد منهم .

شومان : قد علمت يا مولاى أننا لا نستطيع أن نطلع إليهم .. ولا نستطيع أن نتغلب عليهم .

السلطان : رحم الله زعفران .. لقد قالها من زمان : « إذا لم نستطع أن نطلع إليهم نرغمهم على النزول إلينا إذا كانت تحميهم معاقلهم »

شومان : وما الذى يرغمهم ؟

السلطان : نحاصرهم .
ونقطع كل شيء عنهم .. حتى يضطروا إلى النزول مستسلمين ..
أو يحاربوا مستقتلين .
هكذا قال المرحوم زعفران .
شومان : هذه مسألة تطول يا ملك الزمان .
السلطان : ولكنها فى النهاية مضمونة يا شومان .
شومان : ألا ننتظر يا مو .
السلطان : (يقاطعه) .. وإلى متى الانتظار .. لابد أن نغسل العار .
شومان : ولكن الـ .
السلطان : (يقاطعه) .. لقد انتهيت إلى قرار .
(ثم بلهجة الأمر) .. عليّ بالمرزبان .. وقائد الفرسان .
شومان : (وهو ينهض خارجا) .. أمرك يا ملك الزمان .
السلطان : (يشيعه قائلًا) .. الآن .

* * *

جلفدان : وخرج الكاهن .. الخائن .. فألقى باوامر السلطان .. إلى المرزبان .. وقائد الفرسان .. ثم انتظر .. حتى خيم الظلام وانتشر .. وتسلل إلى مضارب الغجر .. ودخل على كاهنتهم أمّ العبر .

* * *

وهنا قطع الأذان .. رواية جلفدان .. فامسكت عن حكايتها .. وانصرفت الى عبادتها .

وبهذا ينتهى هذا اليوم . من الف يوم ويوم .

ولما كان اليوم التالى .. على التوالى .. أسرعت الأميرة الى البستان .. وجلست الى مربيتها **جلفدان** .

وتحت فروع الخميلة .. وعلى أنغام الطيور الجميلة .. فتحت **جلفدان** باب الاحلام .. وجعلت تستأنف الكلام .. وتبدؤه بالصلاة والسلام .

* * *

جلفدان : وبعد الصلاة والسلام .. على خير الأنام .. يعود بنا الكلام .. إلى ما وقع للفتى زعفران .. بعد أن أرتفع إلى الملك والسلطان .. فقد كا يذكر حبيبته عطرشان .. ويحنُّ إلى الأهل والأوطان .. ويترقب يوم عودته .. ورد غربته .. ليشترك فى معركة بلاده .. ويحصل على مراده .. ويطهر الوطن من الغجر .. ويقضى على أولئك النفر .. ويستردّ الأرض من المعتدين .. ويعيد إليها أهليها المشردين .

ولكنه كان ينتظر عودة الأمير كافور .. أو انجلاء الأمور .. كما تنص وصية الملك تشيانج شور .. وهكذا سارت الأمور .

وراحت حكاية الخزانة عن باله .. وانشغل عنها بغربته وسوء حاله .. وفى يوم من ذات الأيام .. انفرد بنفسه زعفران .. فخرج يتمشى من الديوان .. فوجد نفسه أمام الخزانة إياها .. فقفزت إلى ذهنه جميع الصور التى رآها .. وتذكر السرداب .. والشموع والباب .. وذلك الميت الذى أثار خوفه .. عندما قام يجرى خلفه .. فوقف يكلم نفسه .. وقد أدارت الأفكار رأسه:

زعفران : (أمام الخزانة يحدث نفسه) .. الخزانة !!
(وهو يستعيد ما رآه) .. خزانة الملك شديد .. والعصا الجريد .. والأبواب التى فتحتها .. والشموع التى رأيتها .
والميت الذى قام يجرى ورائى .. وهو يصرخ : هات ذراعى . هات ذراعى .. أهذه كلها أحلام ؟! أوهام ؟!
ولكنى .. رأيت كل هذا بعينى .. ولن تكذبنى عينى .
لا . لابد أن وراء ذلك أسراراً وخفايا .. ولابد أن أعرف هذه

الحكاية .
هذا باب الخزانة .
أدخلْ يا زعفران .. وتوكل على الواحد الديّان .
نعم سأدخل هذه المرة .. لأعيد الكرة .
(ويدخل الخزانة وهو يقول) .. هه . توكلت على الله .
(وهو فى الخزانة) .. ياه . ظلام حالك .. يغطى جميع المسالك .
يا منجى من المهالك .
ها أنذا أتحسس خطواتى فى الظلام ..
لابد أن أكشف حقيقة ما كان .
هل هى حقا أحلام .. كما قال العم نعمان .
سأعرف ذلك الآن .
(وهو يمشى) .. إِمْشِ يا زعفران .
هه . هذا جدار .. وهذا جدار .. أين هى الأسرار ؟
هنا كانت العصا الجريد .. المقرعة الـ .
(ويقطع كلمته وقد لمح الضوء من بعيد فيصيح فى دهشة) ..
الله ! الضوء . إنه يبدو من بعيد .
إذن . لم تكن أحلاماً .. ليست أوهاماً .
إنها حقيقة .
كيف يتلمس مثلى طريقه .
(وهو يمشى) . إمشِ على هذا الضوء يا زعفران .. هه .. هه .
هذا هو السرداب .. الذى يقع فى نهايته الباب .
وهذه الشموع المشتعلة .
مازالت مشتعلة !!
وهذا هو الباب .
يا مسبّب الأسباب .
الباب إياه ..
والميت الذى وراه .
(ويفتح الباب ويدخل وهو يقول) هه .. بسم الله .
(وفى دهشة) .. الميت .. إنه راقد على سريره كما كان .
(أكثر دهشة) .. وإلى جانبه ذراعاه الاثنتان .
هيكل عظمى .. فى لباسه الرسمى !

الجمجمة فوقها التاج .. من الذهب الوهاج .
وفى يده الشمال السيف بدون جراب .. وفى يده اليمنى كتاب .
(بلهجة الاعتبار) .. ابن آدم من تراب .
ولكن ما الذى أعاده إلى سريره وأرقده عليه .. وما الذى ردَّ ذراعه إليه .
الموتى . هل يتحركون ؟
وهذا الميت من يكون ؟
لابد أن قصته فى هذا الكتاب .
لو عرفت ما فى هذا الكتاب .. لانكشف الضباب .
(وبلهجة الاعتبار والتأمل) .. لا إله إلا الله .. هيكل عظمى .
(وهو يتقدم إلى سرير الميت) .. سلّمْ يا زعفران وسَمِّ .
(ويتجه إلى الميت قائلا) .. السلام عليكم ورحمة الله .. يا أمة رسول الله .

الميت : (يندفع صائحاً بلهجة حماسية) .. وعليكم السلام ورحمة الله .

زعفران : (متفزعاً) .. الـ .. الـ .. بـ بسم الله الرحمن الرحيم .

سيدنا : (الذى ظهر فجأة يقول لزعفران) .. لو فعلت هذا من أول الأمر .

زعفران : (يصرخ ويحاول أن يجرى) .. آ ..

سيدنا : (فى لطف) ..لا . لا .. انتظر يا ولدى .

زعفران : سيد سيدى .

سيدنا : لو كنت من أول مرة سلمت .. واستأذنت .. لما حدث شيء مما رأيت .

زعفران : (ولايزال مضطربا) .. و ..و .. ولكن يا سيدى من أنت .. وكيف ظهرت .. وأين كنت ؟

سيدنا : أنا يا ولدى الحارس الأمين .. وقد بقيت هنا دهوراً وسنين .

زعفران : لماذا ؟

سيدنا : تسألنى لماذا ..

(ويشير إلى الميت قائلًا) .. أقول لك لهذا .

زعفران : أ . أنا يا سيدى خائف .

سيدنا : هذه يا ولدى وظائف .

زعفران : من صاحب هذه الجثة يا سيدى .

سيدنا : سأقول لك يا ولدى .
هذه جثة الملك شديد .
زعفران : (يسأله) .. صاحب الخزانة والأقفال الحديد ؟
سيدنا : (بلهجة الايجاب) .. والعصا الجريد .
زعفران : ما حكاية هذه العصا الجريد .. وما حكاية هذه الأقفال الحديد .
سيدنا : ستجد كل شى فى هذا الكتاب يا ولدى .
زعفران : ولكننى لا أستطيع أن أمد إليه يدى .
سيدنا : إن أحدا لا يستطيع ذلك غيرك .. إنه شيء مكتوب لك .
فقط . تراعى آداب السلوك .. عندما تخاطب الملوك .. لأن قليل الأدب .. يثير الغضب .
وحتى يتأدب .. يجب أن يضرب .
(ثم يصرخ بأعلى صوته) .. أدب .. أدب .
زعفران : (فى دهشة) .. الله !
سيدنا : أدب .
زعفران : (فى دهشته) .. ولماذا هذا الغضب .
سيدنا : لو تعلم الناس الأدب .. ما وجد هذا التعب .. أنت مثلًا .
زعفران : نعم .
سيدنا : هذا الكتاب الذى فى يد الملك شديد .. مكتوب لك من زمان فقط تلزم الأدب .
زعفران : خلاص .. وجب .
سيدنا : تسمى وتسلم وتستأذن .
زعفران : (موافقا) .. أسمى وأسلم وأستأذن .
سيدنا : هيا يا إنسى .. سَمِّ .
زعفران : أسمى . هه .. بسم الله .
سيدنا : سلم .
زعفران : اسلم . هه .. السلام عليكم فى جوار الله .
سيدنا : أستأذن .. ومد يدك إليه .. وخذ الكتاب من يديه .
زعفران : طيب أستأذن .
أيها الراقد فى جوار الله وذمته .. أنا لا أعتدى على جلال الموت وحرمته .. ولكنى أستأذنك فى أخذ الـ .
(ويقطع كلمته ويتراجع صارخا وقد وجد الميت يمد له يده بالكتاب) .. آ .. الميت يمد يده بالكتاب .

سيدنا : خذ منه الكتاب .. وقل يا وهاب .. يا مسبب الأسباب .

زعفران : (مضطرباً) .. ط ط طيب .. يا وهاب .. يا مسبب الأسباب .
(وهو يأخذ الكتاب) .. بس هذا هو الكتاب .

سيدنا : تعال نقرأه فى ضوء الشموع .. حتى نعرف الموضوع .

زعفران : نعم فى ضوء الشموع .

سيدنا : إفتح الكتاب .. وقل يا وهاب .. يا مسبب الأسباب .

زعفران : (وهو يفتح الكتاب) .. يا وهاب .. يا مسبب الـ .
(ويقطع كلمته ويقول فى دهشة) .. الله !

سيدنا : ماذا ؟

زعفران : إنه مكتوب بخط لا أعرفه يا عمى .

سيدنا : آ .. لقد نسيت أنه مكتوب بالخط القديم يا ولدى .. لكن لا بأس
سأقرؤه أنا عليك .. وسترى أنه موجه اليك .. هات .
(ويأخذ منه الكتاب ويفتحه وهو يقول) .. إسمع ما يقول
الملك شديد .

زعفران : نعم . ١

سيدنا : من الملك شديد .. صاحب العصا الجريد .. إلى الإنسان الموعود ..
الذى يظهر إلى الوجود .. ويأتى إلى هذا المكان .. فى آخر الزمان .
إعلم يا عبد الله . أن الدنيا زوال .. وأنها لا تدوم على حال .
واعلم انك ستملك العصا المسحورة .. المسخّرة المامورة ..
فلا تستعملها مع الغير .. إلا فى الخير .
واعلم أننى عشت كثيراً .. ورأيت كثيراً .. وبلغت من المجد
والسلطان .. ما لم يبلغه إنسان .. ثم كانت النتيجة ما تراه الآن .
كنا عظاما .. فأصبحنا عظاما .
كان أبى ملكا عظيما .. عادلا كريما ..
وكان له وزير .. إسمه وشكمير .. نشأ فى بيتنا .. فقد كان أبوه
خادما عندنا .. فنشأ ورُبى .. مع أبى .. وجمعتهما عشرة طويلة ..
وأيام جميلة .. فلما مات جدى الكبير .. جاء أبى بوشكمير ..
ووضعه فى منصب الوزير .
ولكن المجرم قابل الإحسان بالإساءة .. والخسة والدناءة .. فجعل
يجمع حوله الفرسان والعساكر .. ويشترى الذمم والضمائر .
إلى أن كان يوم من ذات الأيام .. وكشف المجرم عن وجهه اللثام .

فبينما أنا عائد من رحلة صيد .. ومعى قلة قليلة من الجند .. طلع علينا جماعة من الفرسان .. وأحاطوا بنا من كل مكان .. وقتلوا من معى من الرجال والعبيد .. وقادونى إلى سجن القلعة البعيد .
وجعلت أسأل نفسى يا تُرى .. ماذا جرى .. وكيف يقع على مثل هذا العدوان .. ومن هؤلاء الفرسان .. ولم تطل هذه الحال علىّ .. فقد رأيت شبحاً يتسلّل إلىّ :

الحارس : (داخلا يقول بصوت منخفض فى حرص وحذر) .. مولاى الأمير .

شديد : (متفزعاً) .. من . من ؟

الحارس : إخفض صوتك يا مولاى الأمير .. فالأمر جدٌّ خطير .

شديد : لماذا جاءوا بى إلى هذا المكان .. ما الذى حدث وماذا كان .

الحارس : الوزير قتل السلطان .

شديد : (فى جزع) .. أبى .

الحارس : قتله الوزير .. وشكمير .

شديد : (بصوت مختنق) .. أبى .

الحارس : قم يا مولاى الأمير .

شديد : (من خلال دموعه) .. ومن أنت أيها الفارس .

الحارس : أنا الحارس .
لم تطاوعنى نفسى على الغدر بكم .. وقد عشت على خيركم .
(ويأخذ بيده وهو يقول) .. قم . قم يامولاى .

شديد : (وصوته مختنق) .. إلى أين ؟

الحارس : سأسهل لك الفرار .. من يد هؤلاء الأشرار ..
(وهو يقوده إلى الخارج) .. تعال يا مولاى .

شديد : الظلام والمطر .

الحارس : سيحميك الظلام والمطر .. حتى تبتعد على الخطر .
هذا هو الباب الصغير .. تفضل يا مولاى الأمير .

شديد : (وهو يخرج) .. شكراً لك أيها الحارس الأمين .

الحارس : مع السلامة يامولاى الأمير .

* * *

جلفدان : وخرج الأمير شديد .. من هذا السجن البعيد .. وهو خائف

يتعثّر .. ودموعه تتحدّر .. وساعده الظلام والمطر .. حتى ابتعد عن الخطر .. وعندئذ .

* * *

وهنا قطع الأذان .. رواية جلفدان .. فامسكت عن حكايتها .. وانصرفت الى عبادتها .

وبهذا ينتهى هذا اليوم . من الف يوم ويوم .

ولما كان اليوم التالى .. على التوالى .. أسرعت الأميرة الى البستان .. وجلست الى مربيتها **جلفدان** .

وتحت فروع الخميلة .. وعلى أنغام الطيور الجميلة .. فتحت **جلفدان** باب الاحلام .. وجعلت تستأنف الكلام .. وتبدؤه بالصلاة والسلام .

جلفدان : وبعد الصلاة والسلام .. على خير الأنام .. يعود بنا الكلام .. إلى ما وقع للفتى زعفران .. لما دخل خزانة الملك شديد .. ليعاود الكرة من جديد .. ووصل إلى السرداب .. ودفع الباب .. ووجد الميت فى نفس المكان .. كما كان .. وظهر له خادم العصا .. وجنّبه المنقصة .. وعلمه آداب السلوك .. فى مخاطبة الملوك .. وعندئذ سمى زعفران وسلم .. ثم تقدّم .. فأخذ من يد الميت الكتاب .. وإذا فيه خطاب .. إلى ذلك الإنسان .. الذى يظهر فى آخر الزمان .. ويأتى إلى هذا المكان . ويملك العصا المسحورة .. المسخّرة المأمورة ..

وجعل الميت يسرد قصته .. ويروى حكايته .. وكيف خانه الوزير .. وشكمير .. فقتل أباه الذى أحسن اليه ورباه .. ثم أرسل بعض سراياه .. فأسر الأمير وسباه .. إلى أن تسلل الحارس إليه .. وقص ما جرى عليه .. وسهّل له سبيل الفرار .. والبعد عن هذه الأخطار .

وتحت ستار الظلام والمطر .. تسلل الأمير حتى ابتعد عن الخطر .. وأصبح فى العراء .. تحت وطأة هذا الشتاء .. فتلفّت حوله يلتمس الاحتماء .. من برد هذا المساء .. ويطلب النجاء .

شديد : (وهو يمشى فى الظلام والمطر) .. هه . ياربى .. أنت تعلم بى .
برد وظلام .. وخوف وأوهام .
قـــدر .

المـــطر . والخطر .
ألا أجد مكاناً ألجأ إليه من هذا الخطر .. واحتمى فيه من هذا المطر .

إلى أين .. ومن أين ؟
(وبلهجة الاستغراب وقد وجد أمامه خرابة) .. الله هذه خرابة
يا للغرابة !
إنها خرابة مهجورة .
(ويتجه إليها وهو يقول) .. إنها خرابة كبيرة .
لن يتصوروا أننى مختبىء فيها .. إذا وصلوا إلى حوافيها .
المطر . والخطر .
سألجأ إلى هذه الخرابة .. ويفعل الله ما أراده .
(ويدخل الخرابة وهو يقول) .. هه . توكلت على الله .
ياه ! ظلام فى ظلام .
يا سلام !
لابد أن الخرابة أصلها خان .
(ويجلس على احدى الأحجار) .. هه . وهذه قعدة .
الفرج بعد الشدّة .
(ويتأمل ما فعله الوزير الخائن) .. يا سلام .. ما أعجب
تصاريف الأيام .

وشكمير .. الذى رباه جدى الكبير .. وأكرمه أبى ووضعه فى
منصب الوزير !
إلى هذا الحد يا وشكمير !
إلى هذا الحد ينحدر الإنسان !
أهذا جزاء المعروف والإحسان !
(وصوته يختنق) .. لماذا يا وشكمير .. لماذا يا وشكمير .
(وينفجر باكيا وهو يقول) .. أبى .. إهىء أهىء أهىء .
(وفجأةً يسمع صوت انفجار شديد وينشق الحائط ويظهر المارد
مقهقهاً) .

شديد : (فى رعب) .. الله .. الحائط انشق نصفين .
المارد : من هذا الذى يبكى بدمع العين ؟
شديد : (من خلال دموعه) .. الـ .. الـ .. من . من .

المارد : كفى . كفى أيها الإنسى .
شديد : بـ بسم الله الرحمن الرحيم .
المارد : دموعك أيها الإنسى .. أثرت فى نفسى .

شديد : (مضطرباً) إإ .. أنا . أنا .
المارد : لا تخف أيها الانسان .. عليك الأمان .
شديد : (من خلال دموعه) .. وأين هو الأمان .
المارد : ما الذى جاء بك إلى هذا المكان .
شديد : (من خلال دموعه) .. الزمان .. والصاحب الذى خان .
المارد : (مستنكراً) .. صاحب ويخون .. لماذا أيها الآدميون ؟!
شديد : (ينفجر باكيا) .
المارد : احكى لى يا إنسان .
من ذلك الخوّان.. وكيف خان .
شديد : (وصوته مختنق) .. وشكمير الوزير .. جدى ربّاه .. وأبى علّاه ..
حتى إذا بلغ مداه .. تنكر للجميل يا سيدى .. واستولى على الملك
وقتل والدى .
المارد : (فى غضب) يقتله ويسلب الملك من يديه .. وهو صاحب الفضل
عليه !
(ثم يصيح بأعلى صوته) .. ياغضب .. يا غضب .
هذه قلة أدب .. وقليل الأدب . لابد أن يتأدب .. ولأجل أن
يتأدب .. لابد أن يضرب .
لابد أن تأخذ بثارك .. وترجع إلى ديارك .
(ثم ينادى بصوت مرتفع) .. يا سيدنا .. يا سيدنا .
بحق الكاف والنون .. والسر المكنون .. إحضر فى الحال .. حقيقةً
لا خيال .. هات العصا واظهر .. لا تتأخر .
(وينبعث صوت هزيم رعد ويصيح المارد) .. إظهر يا سيدنا
عليك الأمان .
سيدنا : (وهو يهبط عليهما) .. من هذا الذى أقسم علىّ الآن .. وجاء
بى من كهوف الزمان .
المارد : تعال يا سيدنا .
سيدنا : (وهو يتبيّنه) .. من ؟ مولانا السلطان ! أنا تحت أمرك يا ملك
الجان .
المارد : حسن .اسأل هذا الإنسىّ عما جرى له .
سيدنا : هو ماله ؟
المارد : إسمع أقواله .

(ثم يلتفت إلى شديد قائلا) .. إحكِ له كل ما كان .

شديد : دموعى تغنى عن كل بيان .

المارد : ما قولك يا سيدنا فيمن يخون العيش .

سيدنا : هذه خسّة وطيش .

المارد : الوزير . المسمى وشكمير .. رباه جد هذا الإنسان .. ورفعه أبوه إلى أعز مكان .. ثم عضّ اليد التى أمتدت إليه بالإحسان .

سيدنا : كيف بالله يا ملك الجان ؟

المارد : قتل أباه واستولى على السلطان .

سيدنا : (بلهجة التهويل والاستنكار) .. بعد أن أحسنوا إليه هذا الإحسان .

(ثم يصرخ بأعلى صوته) .. أدب . أدب .

يا للعجب .

عالم ينقصه الأدب .. قليل الأدب .

المارد : وقليل الأدب ؟

سيدنا : لابد أن يتأدب .

المارد : ولأجل أن يتأدب ؟

سيدنا : لابد أن يُضرب .

(ويضرب بالعصا على كفّ يده وهو يقول) .. هذه هى العصا .

شديد : (بلهجة الاستغراب) .. عصا !

سيدنا : العصا .. لمن عَصَى .

المارد : أذاهب أنت يا سيدنا معه ؟

سيدنا : مادامت معه هذه المقرعة .. فأنا معه .

فليأخذ العصا وليرجع إلى بلدته .. ليعود إلى سلطته .. ويثأر لوالده .

(ويقدم له العصا قائلًا) .. خذ .

شديد : (متردداً) .. أ .. أنا .

المارد : خذها من يده .

شديد : العصا ؟

المارد : هذه مقرعة الملك معتوق .. التى أدخل بها الجن إلى الشقوق .. وعلمهم الأدب واحترام الحقوق .

سيدنا : إنها عصاً مسحورة .. مسخّرة مأمورة ..

المارد : إذا رفعتها والقيت القسم عليها .. تمتد يد سيدنا إليها .. وينزل ضرباً

بهذه المقرعة .. بسرعة مروعة .. فلا ترس يدفعها .. ولاسيف يمنعها .

سيدنا : ولكن لا يرانى أحد وأنا أستعملها .

شديد : عجباً !

المارد : وأى عجب !

سيدنا : (يصرخ) .. أدب . أدب .

المارد : هل فهمتَ يا إنسان .

شديد : فهمتُ يا مولاى السلطان .

المارد : حسن . ستعود إلى بلادك الآن .

(ثم ينادى) .. يا عنكب .. يا عنكب .. يا من يجوب الدنيا ولا يتعب . إظهر الآن .. من أى مكان .. الآن .. الآن .

عنكب : (الذى ظهر فجأة) .. لبيك يا ملك الجان .. لبيك فى كل آن .

المارد : إحمل هذا الإنسان .. إلى قصر أبيه الآن .

عنكب : (وهو يحمله ويطير به) .. فى لحظة من زمان .. تعال يا إنسان

المارد : (يشيعه قائلًا) .. فى سلام وأمان .

مرجان : (العبد يصرخ وقد رأى الأمير شديد) .. يا مولاى السلطان .. يا مولاى الســلطان .

وشكمير : (ومرجان دخل عليه يصيح) .. ما بك يا مرجان .

مرجان : الأمير يا مولاى السلطان .

وشكمير : أى أمير ؟

مرجان : الأمير شديد .. عاد من جديد .

وشكمير : (صائحاً) .. اقبضوا عليه .

مرجان : إنه قادم اليك برجليه .

شديد : (داخلًا يقول بلهجة الوعيد) .. إنما يقبض على المجرم يا وشكمير .

مرجان : الأمير !

وشكمير : شديد .

شديد : وشكمير .

الآن . تلاقى جزاء ما صنعت يداك ..

لماذا قتلت مولاك .

وشكمير : (صائحاً) .. اقبضوا عليه فى الحال .. ماذا تنتظرون يا رجال .

شديد : لن يطيعوا بعد اليوم أمرك .

وشكمير : (وهو يجرد سيفه) .. السيف بينى وبينك .

شديد : قف عندك .. والزم حدك .

وشكمير : (يقهقه فى غيظ وسخرية)

شديد : (يصيح به) .. أدب أدب .

وشكمير : (وهو يتقدم إليه وفى يده السيف) .. لقد دنا أجلك واقترب .

شديد : (ينهره قائلا) .. أنت قليل الأدب .. وقليل الأدب لابد أن يضرب .. حتى يتأدب .

وشكمير : (وهو يتقدم إليه) تعال هنا .

شديد : (يصيح به) .. العصا . لمن عصى .. مقرعيه يا مقرعة .

(وعندئذ تقفز العصا من يده وتنزل ضربا مبرحا على وجه وشكمير وعينيه وأنفه وهو يصرخ والجميع فى ذهول)

وشكمير : (صارخاً) .. آ . آى عينى عينى .

شديد : هذا جزاء الخيانة .

مرجان : (فى ذهول) .. العصا تتحرك وحدها .

شديد : (على صراخ وشكمير) .. خائن العيش .. لا يستحق العيش .

وشكمير : الدم . الدم .

شديد : (على صراخ وشكمير) .. هذا يوم الحساب .. لا جريمة بدون عقاب .

مرجان : (وقد سقط وشكمير صريعا) .. لقد سقط وشكمير .

شديد : إلى جهنم وبئس المصير ..

* * *

سيدنا : (يكمل لزعفران ما حدث فيقرأ له بقية ما ورد فى الكتاب الذى أخذه زعفران من يد الجثة الراقدة على السرير) .. وهكذا مات الوزير الخائن .. وهرب بقية الخائنين . وفتحت أبواب السجون .. وأخرجت أنصارنا الباقين .

ومن يومها احتفظت بهذه العصا .. لردع من عصى .. وحفظتها فى هذه الخزانة .. أمانة .. ووضعت عليها قفلًا من حديد .. وسميتها خزانة الملك شديد ..

ولما قربت منيتى .. كتبت وصيتى .. وألزمت أى ملك جديد .. أن يضع عليها قفلًا من الحديد ..

والآن ..

يا أيها الإنسان .. إذا وصلت إلى هذا المكان .. فلا تستعمل هذه العصا مع الغير .. إلا فى الخير .
هذه وصيتى لك .. والملك لصاحب الملك .

* * *

سيدنا : (وقد انتهى من قراءة الكتاب يقبل على زعفران قائلًا) .. هيه ؟ أسامع أنت يا ..
زعفران : إسمى زعفران يا عمى .
سيدنا : هل سمعت يا زعفران يا ابنى .
زعفران : سمعت يا عمى .
وأرجو أن تفيدنا هذه العصا وتؤيدنا .. أنا شاكر يا سيدنا .
سيدنا : الآن .. وصلنا إلى بر الأمان .. تستطيع أن تتصرف يا زعفران .
زعفران : وأنت ؟
سيدنا : أنا خادم هذه العصا .. ومادامت هذه العصا معك .. فانا معك .
زعفران : وهذه الجثة يا سيدى ؟
سيدنا : كل شىء سيذهب إلى حاله يا مولاى .
إغمض عينيك ثم افتحهما .
زعفران : (وهو يغمض عينيه) .. هكذا . هه .
سيدنا : ... ...
زعفران : إذا لم تردّ علىّ سأفتحهما .
(ثم يفتح عينيه قائلا) .. هه .
(ثم يصيح فى دهشة وقد وجد نفسه ثانيا فى الخزانة الصغيرة وقد أختفى كل شىء) .. الله ! ماذا أرى ؟! أين أنا ؟
الخزانة الصغيرة وليس فيها أى شىء .
اختفى كل شىء .
فى يقظة أنا أم فى منام .
حقيقة هذه أم أحلام .
لا . هذه حقيقة تراها عيناى .. أنا فى كامل قواى .
أين العم نعمان .
(ويخرج من الخزانة وهو يصيح) .. يا عم نعمان .. عم نعمان .
* * *

جلفدان : وانطلق زعفران .. وهو يصرخ يا نعمان . يا نعمان .. وأقبل العم نعمان.. فأفضى إليه بكل ما كان .. وعندئذ .

* * *

وهنا قطع الأذان .. رواية جلفدان .. فامسكت عن حكايتها .. وانصرفت الى عبادتها .

وبهذا ينتهى هذا اليوم . من الف يوم ويوم .

ولما كان اليوم التالى .. على التوالى .. أسرعت الأميرة الى البستان .. وجلست الى مربيتها **جلفدان** .

وتحت فروع الخميلة .. وعلى أنغام الطيور الجميلة .. فتحت **جلفدان** باب الاحلام .. وجعلت تستأنف الكلام .. وتبدؤه بالصلاة والسلام .

* * *

جلفدان : **وبعد الصلاة والسلام .. على خير الأنام .. يعود بنا الكلام .. إلى ما وقع للفتى زعفران .. لما دخل خزانة الملك شديد .. ليعاود الكرة من جديد .. ووصل إلى السرداب .. ودفع الباب. ووجد الميت فى نفس المكان .. كما كان - فقد ظهر له خادم العصا .. وجنَّبه المنقصة .. وعلمه آداب السلوك .. فى مخاطبة الملوك .. فسمَّى وسلم .. ثم تقدم .. فأخذ من يد الميت الكتاب .. وإذا فيه خطاب .. فلما قرأه سيدنا عليه .. تكشفتْ الأمور أما عينيه .. ووقف على قصة الملك شديد .. وهذه الأقفال الحديد .. وسرّ العصا الجريد ..**

وادرك زعفران أنه وقد امتلك هذه العصا المسحورة .. أصبحت فى يده قوة خطيرة ..

وعندئذ أقبل سيدنا عليه .. وطلب منه أن يغمض عينيه .. ثم يفتحهما .. فلما فتحهما .. وجد نفسه فى الخزانة .. وقد أختفى كل ما كان أمامه .. فغادر المكان .. وأسرع إلى العم نعمان .. وأفضى إليه بكل ما كان .. وكان نعمان يقبل عليه .. ويستمع إليه .. وقد أخذه العجب والفضول .. وهو يقول :

زعفران : هذا يا عم نعمان .. كل ما كان .
وعندما فتَحت عيني والتفتّ حولى .. وجدت نفسى من جديد .. فى خزانة الملك شديد .. وقد اختفى كل شيء .
السرداب .. والباب .. وهيكل الميت .. وسيدنا .. والكتاب .

نعمان : (فى غاية العجب) .. يا سلام .

زعفران : وتقول لى إنها أحلام ؟ إنها حقيقة يا عم نعمان .
نعمان : شيء يحير العقول يا ملك الزمان .
زعفران : (يقبل عليه باهتمام) .. إسمع يا عم نعمان .
نعمان : نعم .
زعفران : الملك تشاينج شور .
نعمان : (فى تأثر) .. عليه الرحمة والرضوان .
زعفران : لم يكن الملك شور يثق بأحد غيرك .. وأنا أيضا لا أثق بأحد غيرك .
نعمان : أنا يا مولاى تحت أمرك .

زعفران : بعد أن أمتلكت هذه العصا المسحورة .. أرانى مطالباً بأمور كثيرة وخطيرة
(ثم فى مرارة) .. الغربة أكلتْ قلبى يا عم نعمان .. اشتقت إلى الأهل والأوطان .
يا ترى ماذا فعل السلطان كنعان ؟
هل مازال الغجر يحتلون جبل البرتقال .. أم تغيرت الأحوال ..
وطُرد أولئك المجرمون .. وعاد إلى أرضهم إخواننا المشرَّدون ؟
والأمير عدنان ؟
هل أطلق سراح الأمير عدنان ؟
والأميرة عطرشان ؟
ترى ماذا تصنع الآن ؟
هل مازالت تنتظر أوبتى .. وردّ غربتى .. أم تراها يئست من عودتى ؟
لا . لا يا عم نعمان .
لقد طال بى الزمان
لم أعد أطيق الانتظار يا عم نعمان .
نعمان : أنا أقدر شعورك يا ولدى .. ولكن ماذا بيدى .
زعفران : أنا لم أقل هذا الكلام لأحد غيرك .
نعمان : لا تنس أن هناك عهداً بيننا وبينك .. أتذكر وصية الملك شور ؟
زعفران : (فى ضيق) .. يعنى أظل هنا مثل المأسور .. إلى أن يرجع الأمير كافور ؟
نعمان : أو تنجلى الأمور .
زعفران : (فى مرارة) .. متى متى يا عم زعفران ؟

نعمان : كل شيء بأوان
زعفران : لا . لا معنى للانتظار بعد الآن .
لقد جهزت السفينة والملاحين .. وأمرتهم أن يكونوا مستعدين ..
وأريد الآن .. أن أعود إلى الأهل والأوطان .
نعمان : فى هذه الحالة لابد أن تعرض الأمر على كبير الكهان .
زعفران : لماذا يا عم نعمان .
نعمان : ليدبّر المعبد فى أمر السلطان .. وينزل الاعلان .
زعفران : ولماذا لم تقل لى هذا الكلام من زمان .
(وينهض قائلا) .. تعال تعال معى يا عم نعمان .
نعمان : إلى أين يا مولاى .
زعفران : إلى كبير الكهان .
نعمان : (وهو يخرج معه) .. أمرك يا مولاى السلطان .

* * *

جلفدان : أما فى بلاد النهروان .. فقد كان الملك كنعان .. قد انتهى إلى قرار .. يقضى بفرض الحصار .. وشاعت الأخبار .. وعلى الأثر .. اجتمع شيوخ الغجر .

سمعان : (وقد اجتمع شيوخ الغجر) .. أنا قلتها لكم من الأوّل .. نترك لهم الجبل ونرحل .
كاهان : ماذا تقول يا سمعان .
أم العبر : (مستنكرة) .. نترك جبل البرتقال لهم .
سمعان : مادمنا لا نستطيع قتالهم .
كاهان : نحن فى الـ .
أم العبر : (تسكتهم صائحة) .. كفى كفى .
الجميع : ... ...
أم العبر : فى مواجهة الخطر .. لا يصح الخلاف يا شيوخ الغجر .
سمعان : لكن يا .
أم العبر : أسكت أنت يا سمعان .
سمعان : اذا كنا جزيرة يحيط بها الكره من كل مكان .
كاهان : والعمل ؟

سمعان : نترك لهم الجبل .

أم العبر : (تصرخ فيه) .. لا . لا أسمح بهذا الكلام ..
لقد جئنا هنا لنبقى على الدوام .
نحن شعب بلا وطن .. وقد وجدنا الأرض والسكن .
ضعوا فى الاعتبار .. أنه لا حلاوة من غير نار .
هذه أقدار .
إذا كنتم تريدون أن تصير الأرض أرضكم .. فلابد أن تتحملوا ما يحدث لكم .
(ويسمع طرق على الباب فتقول)... من هذا الذى يطرق باب الغجر .. غير منتظر .

شومان : (من الخارج) أنا شومان يا أم العبر .

سمعان : الكاهن الأكبر .

أم العبر : نهاره أغبر .
إفتح له يا كاهان .

سمعان : سينجلى كل شىء الآن .

كاهان : سنرى ما يأتى به شومان .

أم العبر : ما وراءك يا شومان ؟

شومان : أسوأ خبر .. يا كاهنة الغجر .

أم العبر : وضح كلامك يا كاهن الكهان .

شومان : سيهاجمكم السلطان .. بالعساكر والفرسان .
وإذا تمكن من هزيمتكم .. سينكشف وقوفى إلى جانبكم .. وترتبط نهايتى بنهايتكم .

أم العبر : وعدنان .. وعطرشان بنته ؟

شومان : أنا كلمته .. وحذرته وخوّفته .
ولكنه أصر على القتال .. وقال .. إذا كان الضنا غالياً فان الوطن أغلى .. وجمع الفرسان فما ترك وما خلّى .

كاهان : إذا جاءنا فسوف ننصبُّ من فوق الجبل بسهامنا عليه .. ولن يستطيع أن يطلع لنا برجليه .

شومان : بل سيرغمكم على النزول اليه .
إنه سيفرض عليكم الحصار .. ليل نهار .

أم العبر : ولهذا أنت منهار ؟

شومان : إنهم سيحاربونكم بالحاجة والجوع .. فهل تصبرون على الجوع ؟
سمعان : هذا هو الموضوع .
نحن فى هذا الجبل اللعين .. منذ سنين .. ولكننا غير مستقرين ..
وأرانا منتصرين .. كمنهزمين .
أم العبر : (فى ضيق) .. باختصار .
شومان : باختصار .. سيضيّقُون عليكم الحصار .. وتحت وطأة الحصار ..
يحدث الانهيار .
سمعان : ولن نستطيع الفرار .
أم العبر : خلاص لقد انتهيت إلى قرار .
إن أحلامنا لا تتحقق .. إلا إذا لجأنا إلى السفرتق .
كاهان : سلطان الجن الأزرق .
أم العبر : صحيح أنه سيشاركنا فيما يُنهب ويُسرق .. ولكنه آخر سهم فى
أيدينا .. إذا أحاط بنا أعادينا .
(ثم تقبل عليهم قائلةً) .. مفهوم .
الجميع : مفهوم . مفهوم .
أم العبر : هات مجمرة من النار يا كاهان .
سمعان : تحضّرين ملك الجان .
أم العبر : اخلوا لنا المكان .. انصرفوا كلكم الآن .
كاهان : هذه مجموعة النار .. يتصاعد منها الشرار .
أم العبر : هاتها هنا بين يدىّ .
كاهان : اهىّ .
أم العبر : حسنا . أخرج أنت وأغلق الباب على .
(وقد انفردت بعد خروجه) .. بس . هذا هو البخور وهذه
هى النار .
يا متعتع الجدار . عن الجدار .
بحق النار .. وسر النار ..
البدار . البدار ..
بسر الأسرار .
يا سفرتق يا سفرتقْ .. يا سلطان الجن الأزرق .
اقسمت عليك بالاسم الأكبر .. أن تنزل وتظهر .
يا سفرتق يا سفرتق يا سفرتق .

السفرتق : (من بعيد يقهقه قبل أن يظهر لها)
أم العبر : النجدة .. فى ساعة الشدة .
السفرتق : (وهو يظهر لها) .. أم العبر ؟
أم العبر : التى عاندها القدر .
السفرتق : ما دهاك يا كاهنة الغجر ؟
أم العبر : السلطان كنعان .. يجمع الفرسان .. ليرغمنا على النزول إليه .. وأنت تعرف أننا لا نقدر عليه .
السفرتق : هع . وما الذى يرغمكم على النزول إليه .. إذا كنتم لا تقدرون عليه
أم العبر : الحصار الذى يريد أن يفرضه علينا .
السفرتق : حصار !
أم العبر : أرايت يا ملك الجان .
السفرتق : وما الذى تريدينه منى الآن .
أم العبر : إنك تستطيع أن تقضى عليهم يا ملك الجان .
السفرتق : هه .. والثمن ؟
أم العبر : ما شئت من هذا الوطن .
السفرتق : حسن حسنْ .
سأنفذ لك ما طلبت لكن بشرط ألا أظهر .
أم العبر : لماذا ؟
السفرتق : أخشى أن أظهر .. فيظهر سلطان الجن الأحمر .. وتكبر الحكاية أكثر .
أم العبر : وتتركنا فى مواجهتهم .
السفرتق : ألست تريدين أن تهزميهم ؟
أم العبر : تقضى عليهم وتفنيهم .
السفرتق : سترين ما أفعل بهم .. اذا التقى فرسانكم بفرسانهم .
أم العبر : كيف ؟
السفرتق : عندما تقف الصفوف .. فى مواجهة الصفوف .. وقبل أن تتعانق السيوف .. سأحملك على ظهرى .. واستعمل سحرى .. فأنقلب إلى ثعبان .. يرعب الإنس والجان .. عيناه نار .. وقرونه كبار .. وفحيحه خوار ..
فاذا وقعت عليه عيون خيولهم .. فزعت منه وجمحت بهم .
وعندئذ تأخذونهم بسيوفكم .. وتدوسونهم بخيولكم .
أم العبر : متى يا ملك الجان ؟

السفرتق : هل تحركت جيوش السلطان كنعان .
أم العبر : إنهم فى الطريق الينا الآن ..
السفرتق : إذن هيا بنا .
أم العبر : تعال من هنا .

* * *

جلفدان : وبينما كان يحدث هذا فى بلاد النهروان .. كان الفتى زعفران .. فى بلاد بنى الأصفر .. يتعرض لما هو أدهى وأكبر .. فقد صار هدفاً لمؤامرات القصور .. وما تدبره له الأميرة بنزهير . والوزير حور .
وبينما كان زعفران .. يتحدث مع العم نعمان .. أقبل عليه منصور .. صاحب مطابخ القصور .

منصور : (يتقدم إليه قائلا) .. مولاى السلطان زعفران .
زعفران : منصور .
منصور : المائدة يا مولاى .
نعمان : هل تأذن لى أن أصحبك يا مولاى السلطان .
زعفران : (وهو يتجه إلى حجرة الطعام) .. نعم يا عم نعمان .. حتى نكمل الكلام .. ونحن على مائدة الطعام .
نعمان : (وهو يمشى معه) .. تفضل يا مولاى .
زعفران : ماذا كنت تقول يا نعمان .
نعمان : كنت أقول لابد أن ننتظر عودة الأمير كافور .. كما تقول وصية الملك تشيانج شور .
زعفران : وإذا لم يعد الأمير كافور ؟
نعمان : تكون قد انجلت الأمور .
زعفران : أنا غير مقتنع بكلام كبير الكهان .
(وهو يجلس إلى المائدة) .. إجلس يا عم نعمان .
(ثم يقول لمنصور) .. هات هذا الطبق يا منصور .

نعمان : أنتظر يا مولاى السلطان .
زعفران : ما بك يا نعمان .

نعمان : منصور .. لماذا لم تضعوا ملحاً فى هذا الطعام .
منصور : من قال هذا يا سيد نعمان .
نعمان : (وهو يقدم له الطبق) طيب . حتى نتأكد من هذا الكلام .. ذق هذا الطعام .
منصور : (فى ارتباك خفيف) .. إ إ. أنا .. لقد ذقته .. وأنا الذى طهوته .
نعمان : (يضيق عليه الحصار) فلماذا لا تذوقه أمامنا الآن .
منصور : لا .. إإ .. أنا .
زعفران : (وقد أدرك الموضوع) .. ماذا ؟
نعمان : لقد سقط القناع الآن .
زعفران : ما الحكاية يا نعمان .
نعمان : هذا الطعام مسموم يا مولانا .
زعفران : مسموم .
نعمان : هذه خيانة .
زعفران : (غاضباً) .. من الذى أوعز اليك بهذا يا منصور ؟
منصور : (ينهار ويبكى)
زعفران : من الذى أوعز إليك بهذا يا منصور .
منصور : (يبكى)
زعفران : تكلم .
منصور : (وهو يبكى) .. لا . لا أحد .
زعفران : هذه قلة أدب .. وقليل الأدب لابد أن يؤدب .. ويضرب .

(ويصيح فى غضب) .. أدب . أدب .
العصا لمن عصى ..
مقرعيه يامقرعة .

منصور : (وقد رأى العصا تقفز من يد زعفران وتنزل على وجهه وراسه وأنفه ضرباً مبرحا) .. آ . العصا .. رأسى . آ . عينى .. الرحمة الرحمة .
زعفران : من الذى دسَّك علينا يا منصور .
منصور : سأقول . سأقول كل شىء .
زعفران : كفى كفى يا سيدنا . بارك الله فيك .
(ويسكت الضرب وتقفز العصا إلى يد زعفران)
نعمان : من الذى أعطاك السم يا منصور .
منصور : أعطانيه الوزير هوفنج حور .

نعمان : حور .

زعفران : ارسل بعض الرجال إليه .. وأتونى به مقبوضا عليه .. أسرع يا نعمان .

نعمان : أمرك يا ملك الزمان .

* * *

جلفدان : وفى الحال .. أسرع الرجال .. وجاءوا به إليه .. وأدخلوه عليه . وعندئذ .

* * *

وهنا قطع الأذان .. رواية جلفدان .. فامسكت عن حكايتها .. وانصرفت الى عبادتها .

وبهذا ينتهى هذا اليوم . من الف يوم ويوم .

ولما كان اليوم التالى .. على التوالى .. أسرعت الأميرة الى البستان .. وجلست الى مربيتها **جلفدان** .

وتحت فروع الخميلة .. وعلى أنغام الطيور الجميلة .. فتحت **جلفدان** باب الاحلام .. وجعلت تستأنف الكلام .. وتبدؤه بالصلاة والسلام .

* * *

جلفدان : وبعد الصلاة والسلام .. على خير الأنام .. يعود بنا الكلام .. إلى الفتى زعفران .. لما امتلك العصا المسحورة .. وعرف أسرارها المستورة .. فقد أدرك أنه تملك قوة خطيرة .. وعلّق عليها آمالًا كبيرة .. عندما يرجع إلى بلاده .. بعد طو ل بعاده
وبينما كان زعفران .. والعم نعمان .. يتكلمان .. حضر الطاهى بالطعام .. وبدأ نعمان الكلام .. فطلب من الطاهى أن يذوق هذه الألوان .. قبل أن يطعمها السلطان ..
وعندئذ ارتبك الطاهى وانهار .. وعلاه الاصفرار ..وتحت تأثير العصا المسحورة .. كشف لهم أسرار المؤامرة المستورة .. وسقطت الحواجز والستور .. وظهر المستور .. وانكشف الوزير هوفنج حور .
وفى الحال .. أمر زعفران بعض الرجال .. فقبضوا عليه .. وأسرعوا به إليه.. ووقفوه بين يديه .

حور : (وهم يسحبونه إلى زعفران) .. دعونى اتركونى .

حارس : هذه هى الأوامر .

حور : أخطأتم أيها العساكر .
أيها الأشقياء .. ستلاقون أسوأ جزاء .

نعمان : الوزير هوفنج حور .

حور : (وهو يتقدم إلى زعفران) .. هؤلاء يا مو .

زعفران : دعوه .. اتركوه .

حور : أرايتم .. ألم أقل إنكم اخطأتم .

زعفران : (فى غضب) .. كلمنى أنا .

حور : أنا .
زعفران : تعال هنا .
حور : (وهو يتقدم إليه فى شيء من الارتباك) .. نعم .
زعفران : (وهو يشير إلى منصور الطاهى) أتعرف هذا الرجل أيها الوزير .
حور : (مرتبكاً) .. أنا لا .. لا أذكر أنى رأيته قبل الآن .
منصور : ماذا تقول يا سيدى الوزير .
ألم تقل لى إن مولانا زعفران .. قد اغتصب الملك والسلطان .. وأنه لابد من القضاء عليه .. وانتزاع الملك من يديه .
حور : (منكراً) .. أنا ؟
منصور : نعم . وأعطيتنى كيسا من الدنانير .. ووعدتنى بمركز خطير .. إذا تم هذا التدبير .
زعفران : هيه . ماذا تقول يا حور .. فى كلام الطاهى منصور .
حور : مجنون .. أكيد مجنون .
نعمان : وإذا ثبت أن الطعام مسموم .
حور : طعام مولانا ؟
زعفران : آ .
حور : هذه خيانة .
زعفران : ومن الذى دبر هذه الخيانة .
حور : يسأل عن ذلك هذا الطاهى منصور .
زعفران : ولكنه يتهمك أنت يا حور .
حور : إنه مجرد كلام يا مولاى السلطان .. إنها دعوى لا يملك عليها أى برهان .
منصور : (وصوته مختنق) .. الله يعلم أننى لم أقل غير الحقيقة يا ..
حور : (يقاطعه) .. بل أنت كذاب كذاب .
زعفران : سنعرف الآن من هو الكذاب .
حور : مولاى .
زعفران : ما كنت أظن أننى سأحتاج هنا إلى عصاى .
انتما الآن .. متناقضان .. ولابد أن واحداً منكما كذاب .

والكذاب قليل الأدب .. لابد أن يؤدب .. ويربَّى ويُضرب .
(ثم يصيح بصوت مرتفع) .. أدب أدب .
العصا لمن عصى .

مقرعيه يا مقرعة .

(وعندئذ تقفز العصا من يده وتنزل على رأس حور ووجهه ضرباً بسرعة مذهلة)

حور : الله لله . بـ . بـ . بسم الله الرحمن الرحيم آى آ .

زعفران : (على صراخ حور) تكلم يا حور .

حور : (يصرخ) آ . عينى عينى .

زعفران : (على صراخه) .. تكلم .

حور : (وهو يصرخ من الألم) .. سأتكلم .. سأقول كل شيء .

زعفران : بس كفى كفي يا سيدنا .. بارك الله فيك .

(وعندئذ تكفّ العصا عن الضرب وتقفز إلى يد زعفران)

حور : آه .. آه .

(متوجعا) .. قتلتنى وقتلت نفسك يا منصور .

زعفران : تكلم يا حور .

حور : وتعفو يا مولاى عنى ؟

زعفران : (لايعطيه وعداً) .. أشاور عقلى .

حور : إذا وعدتنى يا مو .

زعفران : (بلهجة حاسمة) .. ليس هناك أى وعد .. سأقدر كل شيء فيما بعد وإذا لم تتكلم .. سأجعل العصا تتكلم .

حور : (باكياً) .. لا لا .. سأتكلم .. إننى أتندم .

جزاؤها على الله الأميرة .

زعفران : أى أميرة .

حور : الأميرة بنزهير .

زعفران : مالها الأميرة بنزهير .

نعمان : (وهو منهار) .. اشتركت معى فى ارتكاب الجريمة ودفعتنى .. ولن أنال العقاب وحدى .

الأميرة بنزهير هى التى قتلت الملك تشيانج شور .

نعمان : بنزهير !

زعفران : ماذا تقول يا حور .

حور : بعد أن اختفى الأمير كافور .. وحتى تصير هى السلطانة .

زعفران : نعم .

حور : فلما ظهرت الوصية أرادت قتلك يا مولانا .

زعفران : كيف بحق الشيطان

حور : (يبكى)
زعفران : (بلهجة صارمة) .. تكلم .
حور : (وصوته مختنق) .. سأتكلم . سأتكلم .
زعفران : نعم .
حور : بعد أن طال غياب الأمير حور .. تأكدت الأميرة بنزهير أنه مات غريقا فى البحور .. وتعجلت موت الملك تشيانج شور .. فجاءت بمسحوق مسحور .. ووضعناه فى علوفة الحصان .. الذى سيركبه السلطان .
زعفران : (وهو يتابعه باهتمام) .. نعم .
نعمان : نعم .
حور : فلما طعمه الحصان .. جمح بالسلطان .. وألقاه على الأرض .. والخيول وراءه تجدُّ فى الركض .. فراح تحت سنابكها السلطان .. وداسته الفرسان .
نعمان : ياللشيطان .
زعفران : وهذا الكلام له أساس .
حور : اسألوا شيخ السياس .. فقد وضع له مسحوق الحَجَنْجول .. الذى تجنُّ منه الخيول .
زعفران : (بلهجة الأمر) .. ينطلق عشرة من الرجال .. ويحضرونه فى الحال .
حارس : أمرك يا ملك الزمان .
زعفران : الآن .
نعمان : أى جريمة ارتكبتموها يا حور .
زعفران : (بلهجة التهويل) .. تقتلون الملك تشيانج شور .
نعمان : ونحن نظن أنه مات قضاء وقدرا .
خادم : (يصيح من الخارج) .. يا مولاى السلطان .. يا مولاى السلطان .
زعفران : ما هذا يا نعمان ؟
نعمان : لعلهم جاءوا بالسائس يا ملك الزمان .
الخادم : (داخلا يقول فى لهفة) .. مولاى السلطان .
زعفران : كذا جئتم بالسائس على عجل .
الخادم : (صائحاً) .. الأمير وصل .
زعفران : أى أمير .
الخادم : الأمير كافور .

نعمان : (يصيح وهو يفتح له ذراعيه) سيدى الأمير كافور .

كافور : العم نعمان .

حور : (يبكى)

كافور : (فى دهشة) .. الله مالك يا سيد حور .

زعفران : هل علمت بما وقع للمرحوم .

كافور : سمعت اليوم بالخبر المشؤم .

زعفران : البقية فى حياتك .

كافور : أبقى الله حياتك .
هل أنا أكلم السلطان زعفران ؟

زعفران : كنت السلطان .. قبل الآن .
لقد جئت فى وقتك وساعتك .. لقد اكتشفنا سرٌّ قتل والدك .

حور : (يبكى)

كافور : ماذا تقول .. أهو مقتول ؟

زعفران : ذلك ما حدث يا مولاى السلطان .

كافور : قيل لى أنه وقع من فوق الحصان .. وداسته خيول الفرسان .

زعفران : وكنا نظن أن ذلك قضاء وقدر .. إذا هو من صنع البشر .

كافور : ماذا تقول .. أنا فى ذهول .

نعمان : وضعوا لحصانه مسحوق الحَجَنْجول .. الذى تجنُّ منه الخيول ..
فلما خرج به السلطان .. جمح به الحصان .

كافور : يا للشيطان ..
من اولئك المجرمون يا سيد زعفران .

زعفران : ستعرف الآن .. تفاصيل ما كان .

السائس : (وهم يسحبونه يصيح) .. الرحمة . الرحمة .

خادم : (يتقدم قائلا) .. السائس يا مولانا .

حور : (يبكى)

السائس : الرحمة يا مولانا .

زعفران : تعال هنا يا رأس الخيانة .
ماذا فعلت بمولاك الملك تشيانج شور .

السائس : إنها الأميرة بنزهير .

كافور : بنزهير !

السائس : والوزير هوفنج حور .

حور : (يبكى)
السائس : هما اللذان أعطيانى الذّرور . المسحور .
كافور : ووضعته فى علوفة الحصان .. الذى رَكبه السلطان .
السائس : (باكياً) وكان ما كان .
كافور : (فى غضب شديد) .. بنزهير والوزير حور .
زعفران : انتظر يا سيد كافور .
كافور : ماذا ؟
زعفران : هناك نَصّ فى وصية المرحوم يقول : يتولى زعفران .. الملك والسلطان .. إلى أن يعود الأمير كافور .. أو تنجلى الأمور .
والآن .. تحقق الشرطان .
نعمان : عاد مولاى الأمير كافور .
كافور : وانجلت الأمور .
زعفران : إذن فقد آن أن أتخلّى عن الملك والسلطان .. وأغادر هذا المكان .
(وهو يخلع التاج) .. هذا التاج كان عندى أمانة .. فاسمح لى أن أردّ الأمانة .. وأضع التاج على جبينك ياමولانا .

كافور : (بلهجة الامتنان) .. زعفران .
زعفران : أنت الآن فى مكان أبيك .. فتولّ أمرك بما يرضيك .
كافور : وأنت ؟
زعفران : أعود إلى بلادى .. واستأنف كفاحى وجهادى .
لابد أن أكون على رأس الفرسان ..
لابد أن نهزم الغجر ونردّ العدوان .
ونحرر جبل البرتقال من أيديهم .. ونعيد أهلينا المشردين إلى أراضيهم
كافور : اسمح لى سيد زعفران .. أنا لا أعرف تفاصيل حكايتك إلى الآن ..
وأريد أن أتحدث إليك ونحن منفردان .
زعفران : (بلهجة الاعتذار) .. لقد أعددت كل شىء يا مولانا .
كافور : (يسأله) .. وجهزت السفينة ؟
زعفران : إنها على استعداد لمغادرة المدينة .
كافور : حسن .
لن أعترض سبيلك .. كما أننا لا ننسى جميلك .
(ثم بلهجة الأمر) .. يا نعمان .
نعمان : أمرك يا ملك الزمان .

كافور : يقبض على الوزير حور .. والأميرة بنزهير .
(ثم ينهض قائلًا) .. والآن يرفع الديوان .
(ويأخذ بيد زعفران وهو يقول) تفضل يا سيد زعفران .

* * *

جلفدان : أما فى بلاد النهروان .. فقد أنتصر العدوان .. بعد أن نفذ اتفاق أم العبر وملك الجان .. فأخذهما على ظهره بعد أن انقلب إلى ثعبان .. له قرنان .. فلما رأته الخيول خافت وجمحت بالفرسان. ووقعت الهزيمة فى معسكر الملك كنعان .. وحمل إليه الأخبار الكاهن شومان .

السلطان : (فى قمة الانفعال) .. شومان .. ما الذى جرى يا شومان ؟
شومان : (يتصنع الحزن) .. الأمان . يا ملك الزمان .
السلطان : ما هذه الأخبار التى جاءتنى الآن ؟
شومان : لولا هذا الثعبان ال .
السلطان : (يقاطعه فى ثورة وغضب) .. ثعبان . ثعبان . ثعبان !
ما حكاية هذا الثعبان .. التى يرددها الفرسان ؟!
شومان : ثعبان فظيع .. شكله مريع .
قرونه كبار .. وفحيحه خوار .. وعيناه يا مولاى نار ..
تقدحان الشرر .. وقد ركبت عليه كاهنة الغجر .
السلطان : (فى عجب ودهشة) .. على الثعبان ؟!
شومان : نعم يا مولاى السلطان .
السلطان : ثم ماذا يا كاهن الكهان .
شومان : عندما ظهر الثعبان .. ونزل إلى الميدان .. ارتعبت منه الخيول وجمحت بالفرسان .. واختلت الصفوف .. ونزل الغجر علينا بالسيوف .
السلطان : (فى مرارة) .. أرأيت يا شومان ؟!
شومان : قلت لك يا مولاى السلطان .. كان يجب أن نعطيهم الجبل من زمان
السلطان : (فى غضب) .. لا . مهما طال الزمن .. فلن نفرط فى شبر من أرض الوطن .. أسامع يا شومان ؟

شومان : إنى أفكر فى الأميرة عطرشان .. والأمير عدنان .

السلطان : مهما كان .. نحن لم نهزم فى حرب الجبل .

شومان : والذى حصل ؟

السلطان : مجرد معركة خسرناها .

شومان : يعنى نحاربهم ثانيا ؟

السلطان : وثالثاً ورابعاً .. وسنظل نحاربهم .. إلى أن نطهر الوطن منهم ..

شومان : (يخوفه) .. والثعبان ؟

السلطان : (ثائراً) .. مهما كان .
إجمعوا بقية الفرسان .. سأنزل بنفسى إلى الميدان .. سأقتل هذا الثعبان ..

شومان : مولاى .

السلطان : أين المرزبان .. أين قائد الفرسان .. يا مرزبان .. يا مرزبان .

* * *

جلفدان : وفى الحال .. أقبل على ندائه الرجال .. وأسرع إليه الفرسان .. فتقدمهم السلطان .. وسار إلى الميدان .. فاذا ال .

* * *

وهنا قطع الأذان .. رواية جلفدان .. فامسكت عن حكايتها .. وانصرفت الى عبادتها .

وبهذا ينتهى هذا اليوم . من الف يوم ويوم .

ولما كان اليوم التالى .. على التوالى .. أسرعت الأميرة الى البستان .. وجلست الى مربيتها **جلفدان** .

وتحت فروع الخميلة .. وعلى أنغام الطيور الجميلة .. فتحت **جلفدان** باب الاحلام .. وجعلت تستأنف الكلام .. وتبدؤه بالصلاة والسلام .

* * *

جلفدان : وبعد الصلاة والسلام .. على خير الأنام .. يعود بنا الكلام .. إلى ما وقع فى بلاد النهروان .. بعد أن ظهر ذلك الثعبان .. عندما التقى الجمعان .. وفرت من أمامه الخيول والفرسان .. ووقعت الهزيمة فى معسكر السلطان ..

وهكذا تكررت الهزائم .. وخارت العزائم .. حتى إذا وصلت الأخبار .. هاج السلطان وثار .. وأمر المرزبان .. فجمعوا له بقية الفرسان .. وقادهم بنفسه إلى الميدان .

بينما كان زعفران .. فى طريق عودته إلى الأوطان .. بعد أن نجحت رحلته .. وتحققت فكرته .. وامتلك العصا المسحورة .. المسخرة المأمورة .. فأطلق لأفكاره العنان .. وقد هاجه الحنين إلى الأوطان .. وحبيبته عطرشان .. فجلس فى مؤخرة السفينة .. وأخرج الناى . وجعل يعاقر أنغامه الحزينة .

القبطان : (ومعه الملاحون يتجهون إليه) .. وبعد . يا سيد زعفران .

زعفران : ما بك أيها القبطان ؟

ملاح : لقد طال بنا السفر .. ونحن لا نأمن الخطر .

زعفران : عهدى بكم أيها الملاحون شجعان .

القبطان : ولكن البحر ليس له أمان .

زعفران : وما الذى أستطيع أن أفعله الآن ؟
إنما أنا واحد منكم .. والذى يجرى علىَّ يجرى عليكم .
وأنا على يقين .. إننا سنصل بإذن الله سالمين .

ملاح : متى يا سيد زعفران .

زعفران : قد لا يمضى يومان .. حتى يظهر برُّ الأمان .

القبطان : (يسأله) .. وإذا مضى اليومان .. ولم يظهر برُّ الأمان ؟

زعفران : عندئذ لكم أن تفعلوا ما تشاءون .

القبطان : خلاص .. انصرفوا أيها الملاحون .

ملاح : سننصرف الآن .. وإذا مرَّ اليومان .. ولم يظهر برُّ الأمان .. يكون لنا معه شان .

ملاح : تفضل يا سيدى القبطان .

زعفران : (وقد انصرفوا) .. يا سلام .. ماذا فعلتْ بى الأيام .. وإلى متى هذه الآلام ترى ماذا فعلت عطرشان .. وماذا تفعل الآن . عطرشان .

(وقد خطر له خاطر) لكن ياربى .. إننى لست وحدى .

إن سيدنا معى على أى حال .. هكذا قال : « مادامت العصا معك .. فأنا معك »

وهذه هى العصا معى .. وإذن فهو معى .

(ويناديه) .. يا سيدنا .. ياخادم العصا يا سيدنا .

أنا أعرف انك معى .. وأنك الآن سامعى

أنا لا أراك .. ولكنك ترانى

لا تدعنى لأشجانى

أرجوك .. إننى أدعوك .

سيدنا : (يردُّ من غير أن يظهر له فهو يسمع صوته فقط) .. ماذا تريد أيها الإنسى ؟

زعفران : لقد نازعتنى اليك نفسى .

سيدنا : وماذا تريد منى ؟

زعفران : لماذا لا تظهر لى ؟

سيدنا : ألست تسمعنى ؟

زعفران : أريد أن أعرف أحوال بلادى وأهلى .

سيدنا : ولماذا لم تقل لى ؟

زعفران : هل تعرف أخبارهم يا سيدى ؟

سيدنا : أنا شخصياً لا أعرف يا ولدى .

ولكنى سآتيك بمن يعرف أحوالهم .. ويقصُّ عليك أخبارهم .

زعفران : من ؟

سيدنا : أنها شقيقتى الوسطى دادان .. التى ترصد الأخبار فى كل مكان ..

وتنقلها إلى ملك الجان .
(ثم ينادى) .. دادان .. دادان .. إهبطى بحق الواحد الديان .
دادان .. دادان .

دادان : (تقهقه وهى تهبط إليهم ثم تقول) .. من هذا الذى أقسم علىّ .. وجعلنى أترك ما لدىّ .. وجاء بى فى الحال .. من جبل البرتقال .

زعفران : (فى دهشة وباهتمام شديد) .. أكنت هناك فى الجبل ؟

دادان : أجل .

زعفران : وماذا حصل ؟

دادان : السفرتق وصل .

زعفران : سفرتق ؟!

سيدنا : (يصيح) .. أدب . أدب .

زعفران : ومن يكون هذا السفرتق .

دادان : سلطان الجن الأزرق .. الشيطان الأشدق .

سيدنا : وماذا فعل ذلك الشيطان ؟

دادان : تمثل فى صورة ثعبان .. وهزم جيوش السلطان كنعان .

سيدنا : يا للشيطان .

زعفران : وكيف وقع هذا وكيف كان

دادان : وقع هذا وكان .. بواسطة الكاهن الذى خان .

زعفران : أى كاهن يا أخت الجان ؟

دادان : شومان .

زعفران : (وقد فوجىء) .. شومان الكاهن .. خائن !
يا لسخرية القدر .

دادان : اشترته أم العبر .. فخان وغدر .. وعمل لحساب الغجر .

زعفران : (متعجباً) .. شومان !!

دادان : ولهذا تكررت هزائم السلطان كنعان .. وقُتل الوزير لقمان .

زعفران : (بصوت يتهدج) .. أبى .

دادان : (تواصل كلامها) .. وأُسرت الأميرة عطرشان .

زعفران : (فى جزع) .. الأميرة .. أسيرة

دادان : تعانى الذّل والهوان .

زعفران : ما المسافة بيننا وبين بلاد النهروان ؟

سيدنا : بيننا وبينها شهران .

زعفران : (فى مرارة) .. شهران يا عمى .

سيدنا : وماذا تريد منى ؟

زعفران : أنا الآن . أملك العصا المسحورة .. المسخرة المأمورة .. وأستطيع أن أن أنقذ الأميرة عطرشان .. والأمير عدنان .. وأدرك السلطان .. قبل أن يواجه ذلك الثعبان .

سيدنا : طلباتك يا سيد زعفران ؟

زعفران : (بلهجة الرجاء) .. أصل إلى بلاد النهروان .. قبل أن يفوت الأوان .

سيدنا : أنا شخصياً لا أستطيع ذلك يا زعفران .. ولكنى سآتيك بمن يحملك إلى بلاد النهروان .. فى لحظة من زمان .

زعفران : من ؟

دادان : أخونا الأكبر عنكب .

زعفران : (يتذكره) .. آ . عم عنكب .

سيدنا : يا عنكب .. يا عنكب .. يا من يلفُّ الدنيا ولا يتعب .

فى قمم الجبال .. فى السهول والرمال .. فى قرار البحار .. فى الفلك الدوَّار .. أينما كنت .. وحينما كنت .. إحضر . لا تتأخر .. بحق الكاف والنون .. والسرِّ المكنون .

يا عنكب .. يا عنكب .. يا عنكب .

عنكب : (يقهقه وهو يهبط عليهم)

سيدنا : اظهر الآن .. عليك الأمان .

عنكب : من ؟ سيدنا وددان ؟!

دادان : أخواك القريبان .

عنكب : فماذا تريدان ؟

دادان : لقد حانت نهاية السفرتق .

عنكب : سلطان الجن الأزرق .. ذلك الشيطان الأشدق .. ولكن كيف يا دادان ؟

سيدنا : إذا حملت هذا الانسان .. إلى بلاد النهروان .. فانه يقضى على ذلك الشيطان .

عنكب : وماذا تنظران ..

زعفران : أريد أن أصل إلى جبل البرتقال .

عنكب : فى الحال .. تعال .

زعفران : (فى خوف) .. عم عنكب .

عنكب : إركب .
زعفران : حاسب يا أخا الجان .
عنكب : لا تخف يا إنسان .
سيدنا : على جناح الرياح .
عنكب : (وهو يطير به) .. على جناح الرياح .. يا روّاح .

* * *

جلفدان : وكان الغجر .. فى مواجهة الخطر .. يستعدون لملاقاة السلطان .. كنعان .. معتمدين على السفرتق .. سلطان الجن الأزرق .. فهبطت عليهم أم العبر .. وكأنها بركان قد انفجر .. واقبلت على شيوخ الغجر .

أم العبر : (داخلة عليهم تصيح وتولول) .. أنتم هنا يا معشر الغجر .. ولا تشعرون بالخطر .
كاهان : ما بك يا كاهنة الغجر ؟
أم العبر : (مولولةً) .. خطر خطر .
سمعان : تكلمى ياأم العبر .
أم العبر : الأميرة عطرشان .. والأمير عدنان .
كاهان : الأسيران ؟
أم العبر : الأسيران .
سمعان : ما بالهما ؟
أم العبر : هربا من سجنهما .
كاهان : يا خبر !
سمعان : كيف حدث هذا يا أم العبر .
أم العبر : لم نعرف كيف حدث .
كاهان : والجنود والحرس ؟
أم العبر : وجدناهم جميعاً مقتولين .
سمعان : (فى جزع) .. ماذا تقولين .
كاهان : وكيف حدث هذا بحق الشيطان .
أم العبر : لم ينج أحد من الحرس .. ليخبرنا بما حدث . ولكن الذى يحيرنى فى أمرهم .. أننا لم نجد أثرا للسلاح فى

أجسامهم .

كاهان : فكيف ظفروا بهم .

أم العبر : وجدناهم ميتين من شدة الضرب .

كاهان : (فى عجب) .. ضرب !

سمعان : هذا هو الكرب .. لابد من الرجوع إلى الحرب .

كاهان : وماذا نصنع الآن .

أم العبر : أرسلت وراءهما بعض الفرسان .

شومان : (قادماً عليهم) .. أم العبر .

أم العبر : من ؟

كاهان : الكاهن شومان .

أم العبر : (تستقبله مولولةً) أسمعت يا شومان .. بما جرى وكان ؟

شومان : (وهو يحمل خبراً هامكا) .. أسمعت أنت ؟

أم العبر : لقد هربت عطرشان .. وهرب عدنان .

شومان : عطرشان وعدنان .. وكيف يهربان .

أم العبر : من يدرى يا شومان .
ولكن ما الذى جاءبك الآن .

شومان : جئت لأحذركم من السلطان .. لقد قام بنفسه على رأس الفرسان .

أم العبر : السلطان !

شومان : إنه فى طريقه اليكم الآن .

أم العبر : حسن لقد جاء الينا برجليه .. وسأقضى هذه المرة عليه .
وإذا كان قد هرب الأسيران .. فسنعوضها بالسلطان .
(ثم بلهجة الأمر) .. علىَّ بمجمرة النار يا كاهان .

شومان : ماذا ؟

أم العبر : سأحضر السفرتق .

شنومان : (بلهجة التهويل) .. سلطان الجن الأزرق .

أم العبر : لا سند لنا غير هذا المارد الاشدق .
والآن .
أيها الفرسان .. اسبقونى أنتم إلى الميدان .. وسألحق أنا بكم
على ظهر الثعبان .

* * *

جلفدان : وفى الميدان .. أقبل الجمعان .. وانفتح باب الحرب والطعان .. وجعل السلطان .. يصيح بالفرسان .

السلطان : (صائحاً) .. المرزبان .

المرزبان : مولاى السلطان .

السلطان : أنظر . أنظر ودقّق النظر .

المرزبان : هذه يا مولاى خيول الغجر .

السلطان : المرزبان يهجم على ميسرتهم .. وقائد الفرسان يهجم على ميمنتهم .. وأنا سأهجم على القلب .
(صائحاً) .. هيا يا فرسان .

الفرسان : (يتصايحون وهو يهجمون) .. هيّاً يا رجال .. الموت للجبناء الأنذال .. أيها المجرمون .. لا تدعوهم يفلتون .

المرزبان : (وقد رأى الثعبان يتقدم صفوف الغجر وعلى ظهره أم العبر) الله الله .. أنظر يا مولاى .

فارس : الثعبان .

فارس : الثعبان ظهر .. وعلى ظهره أم العبر .

السلطان : الكاهنة المجرمة .

أم العبر : (تصيح من بعيد) .. أيها الفرسان .. انتظروا يا عساكر السلطان .

السلطان : أنتظروا أيها الرجال .. حتى نرى ما يريد أولئك الأنذال .

أم العبر : أيها السلطان .. أتسمعنى يا كنعان ؟

السلطان : ماذا تريدون الآن .

أم العبر : نحن لا نريد القتال .. وإنما نريد جبل البرتقال .. فاذا سلّمتم .. سلمتم .. وإلا فدونكم الحرب والطعان .. ومواجهة هذا الثعبان .

السلطان : أيها المجرمون .. الجواب ما ترون لا ما تسمعون .
إهجموا عليهم يا فرسان .. هيا يا مرزبان .

المرزبان : خذوهم بالسيوف .

السلطان : اخترقوا الصفوف .

فارس : الثعبان . الثعبان .

السلطان : ارشقوه بالسهام .

المرزبان : السهام لا تؤثر فى الثعبان .

السلطان : الثبات الثبات .. حتى الممات .

فارس : الخيول تجمح خوفاً من الثعبان .

المرزبان : إننا ننهزم مرة أخرى يا مولاى السلطان .
فارس : (فى دهشة) .. الله ! أنظر يا مولانا السلطان .
السلطان : ما هذا ؟
المرزبان : ثلاثة فرسان .. ينزلون إلى الميدان .
السلطان : من أين جاء هؤلاء الفرسان الملثمون ؟
فارس : إنهم يهجمون .
المرزبان : أولهم يتقدم إلى الثعبان .
فارس : أنظر يامولاى السلطان .
السلطان : (يسكته) .. إسمع .
زعفران : (وهو ملثَّم) .. أيتها الكاهنة .. لابقاء لكم هنا .
أم العبر : عليه أيها الثعبان .
الثعبان : (يخور كما يخور الثور) .
زعفران : إخسأ أيها اللعين .. يا أخس الثعابين .
الثعبان : (يحاول أن يتقدم إليه)
زعفران : أنت ثعبان قليل الأدب .. وقليل الأدب لابد أن يتأدب .. ويُربَّى ويُضرب .
الثعبان : (يسمع خواره وهو يتقدم)
زعفران : (يصرخ فيه) .. أدب . أدب .
العصا . لمن عصى .. مقرعيه يا مقرعة .
(وعندئذ تقفز العصا وتنزل على وجه الثعبان ورأسه ضرباً سريعا متلاحقا بسرعة مذهلة والثعبان يتلوى ويتراجع)
أم العبر : (تصرخ) .. آ . الثعبان .
زعفران : هذه نهاية العدوان .
المرزبان : الثعبان يرتمى على الأرض .
فارس : إنه ينهد .
زعفران : (صائحاً) انتهى الثعبان .. اهجموا يا عساكر السلطان ..
السلطان : اهجموا يا فرسان .
المرزبان : الغجر يولون الأدبار .
فارس : إنهم يركنون إلى الفرار .
عطرشان : (وهى ملثمة) .. اليوم يوم الحساب .
عدنان : (وهو ملثم) .. لا جريمة بدون عقاب .
زعفران : (وقد خلا الميدان منهم يتقدم إلى السلطان ويخلع اللثام قائلا) ..

مولاى السلطان .

السلطان : (وقد فوجىء) .. زعفران .. لقد فاجأتنا يا ولدى بما لم يكن فى الحسـبان .

عطرشان : (وهى تخلع اللثام وتتقدم إلى السلطان) .. أبى .

السلطان : (صائحاً) .. عطرشان .

عدنان : (وهو يخلع اللثام ويتقدم إلى السلطان) مولاى .

السلطان : (صائحاً) عدنان .
من كان يتصور أن هذا يمكن أن يكون .

زعفران : ولكنه قد كان .

السلطان : ابنتى عطرشان .. وابن عمى الأمير عدنان .. وأنت يا زعفران .

المرزبان : الثلاثة الفرسان .

زعفران : شكراً للسماء يا ملك الزمان .

السلطان : ولكنك لم تذكر لنا يا زعفران .. كيف وقع هذا وكيف كان ؟!

المرزبان : وما سر هذه العصا التى قتلت بها الثعبان ؟!

السلطان : وماذا عن رحلتك .. وعودتك .. بعد طول غيبتك ؟

المرزبان : وكيف ظهرت فى الجبل .. بعد أن قطعنا منك الأمل ؟

السلطان : وكيف خلصت الأميرة عطرشان .. والأمير عدنان ؟

زعفران : حكايتى طويلة يا مولاى السلطان .. وإذا كان لابد من سماعها ففى غير هذا المكان .

السلطان : (وفى صوته لون الضحك) .. نعم لماذا نحن وقوف هنا الآن .
أيها الأعوان ..
لقاؤنا فى الديوان ..
(وهو يأخذ بيد زعفران) .. تعال يا زعفران .

* * *

جلهدان : وكان حديثهم فى الديوان .. شجون واشجان .. وقد اجتمعوا على زعفران .. من كل مكان .. فحكى لهم كل ما كان .. من يوم بدء رحلته .. إلى ساعة عودته .. وكانوا يستمعون اليه .. ويقبلون عليه .. وقد أخذهم العجب والفضول .. وهو يقول :

زعفران : (وهو ينتهى من حكايته) .. هذا يا مولاى كل ما حصل ..

حول معركة الجبل .. من يوم فارقتكم .. إلى أن عدت لكم .

الجميع : يا سلام .. ولا فى الأحلام .

السلطان : لقد قاسيت كثيرا يا زعفران .

زعفران : العبرة بالخواتيم يا ملك الزمان .

لقد انتهى العدوان .. ورجع كل شيء كما كان .

فارس : (داخلًا يقول) .. يا مولانا السلطان .

السلطان : ماذا ؟

الفارس : عثرنا بين جثث الغجر على جثة الكاهن شومان .

السلطان : شومان .. الذى خان .

زعفران : والغجر .

المرزبان : لم يبق لهم أثر .

زعفران : الآن . وقد حررنا الجبل من أيديهم .. يستطيع أهلونا المشردون أن يرجعوا إلى أراضيهم .

السلطان : من الحكم الإلهية ألا يكون للغجر وطن .. حتى تتوزع المؤامرات والفتن .

زعفران : حقا . إذا توزّع الحمل يهون .

السلطان : هذا ما كان . وهذا ما سوف يكون .

أما الآن فاننا نحتفل بأعياد النهروان .

عيد النصر .. وعيد التاج .. وعيد الزواج .

إركع يا زعفران .

زعفران : مولاى .

السلطان : يا أهل النهروان .. أنا السلطان كنعان .. بن كهلان .. أضع التاج على جبين الملك زعفران .. زوج ابنتى الملكة عطرشان .

الجميـع : (يتصايحون .. مباركين مهنئين)

* * *

جلفدان : وأقيمت الأفراح .. والليالى الملاح .. وطابت لهم أوقاتهم .. وصفت مسراتهم .. إلى أن أدركهم هادم اللذات .. ومفرق الجماعات .. فسبحان الحى الذى لا يموت .. ومن بيده الملك والملكوت .

منشورات مكتبة مدبولى
٦ ميدان طلعت حـرب
القاهرة ت ٧٥٦٤٢١

المطبعه الفنيه بالقاهره ت ٩١١٨٦٢

